

المختصر الأمين

لكتاب إحياء علوم الدين

شرح عصري مبسط لكتاب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في سنة 505هـ

ويليه مقتطفات من كتاب عوارف المعارف

للعارف بالله الإمام السهروردي

تأليف أ.د. محمد إبراهيم طه

مراجعة أ.د. / محمد عبد الحافظ عون

المختصر الأمين لكتاب إحياء علوم الدين

شرح عصرى مبسط لكتاب
إحياء علوم الدين
للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي
المتوفى في سنة ٥٠٥ هـ

ويليه مقتطفات من كتاب

عوارف المعارف

للمعارف بالله الإمام السهروردي
المتوفى في سنة ٦٣٢ هـ

تأليف أ.د. / محمد إبراهيم طه
أستاذ المسالك البولية جامعة أسيوط
مراجعة أ.د. / محمد عبد الحافظ عون
وكيل كلية أصول الدين جامعة الأزهر أسيوط
الطبعة الأولى

2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المختصر الأمين لكتاب إحياء علوم الدين

مقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ سيد الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم.

فقد قرأت الكتاب ووجدت فيه مصلحة كبيرة وكما قالوا لا حياة لمن لم يقرأ الإحياء، فرأيت أن أجعل له تلخيصًا بسيطًا رجاء أن يستفيد به المقبلون على الله وأنال بفعلهم الثواب لأمر كثيرة قصرت أن أعملها. ولأنني رأيت أن أكتبه بطريقة بسيطة يستطيع أن يفهمه أهل العصر الذين بعدوا شيئًا عن اللغة العربية ولذلك عند كل باب سجلت الصفحة المقابلة من الكتاب الأصلي ليرجع إلى التفاصيل من أراد أن يستزيد ويتوسع في فهم التفاصيل. والكتاب هو (كتاب إحياء علوم الدين تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ، طباعة دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).

وهذه الطبعة من الكتاب متوفرة في موقع <https://www.archive.org> تحت اسم "Ehiaa٤" ويمكن البحث عليها باستخدام التالى: (إحياء علوم الدين & طالمعرفة) أو (Ehiaa٤) أو الدخول على هذا الرابط مباشرة: <https://archive.org/details/4Ehiaa> والكتاب مقسم إلى أربعة أرباع أسماها الإمام الغزالي: ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات ويشتمل كل ربع على عشرة كتب.

مختصر الجزء الأول من كتاب إحياء علوم الدين ربع العبادات

كتاب العلم ص — ٤

العلم نوعان : علم المعاملة وعلم المكاشفة.

علم المكاشفة : وهو غاية العلوم، وهو علم الباطن، وأدنى درجاته هو التصديق به وتسليمه لأهله وهو علم الصديقين والمقربين، وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهره وتركيبه من صفاته المذمومة، ويكتشف من ذلك النور أمور كثيرة وتحصل المعرفة الحقيقية بالله سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله والحكمة في خلق الدنيا والآخرة، وتنتهي معرفة الله عز وجل بالاعتراف بالعجز عن معرفته.

أما علم المعاملة فهو العلم الذي يؤدي عند العمل به إلى علم المكاشفة، وهو العلم الذي جاءت به وبثته الرسل وأدلة الطريق وهم العلماء، وعلم المعاملة ينقسم إلى درجتين:-

الدرجة الأولى : وهو علم الظاهر، وهو عمل الجوارح.

الدرجة الثانية : وهو علم الباطن، وهو علم بأحوال القلب.

وعلم أحوال القلب منها ما هو محمود مثل الصبر والشكر والخوف ومنها ما هو مذموم مثل الكبر والرياء والغضب.

وأفضل العمل هو العمل بالعلم النافع، وأشرف العلوم ما يحض على تهذيب النفوس من الأخلاق الذميمة، وهذه العلوم عز في الدنيا وقرب من الله في الآخرة، وقالوا (كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالث فتهلك)، وقالوا (أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل على نشر العلم).

وكذلك تنقسم العلوم إلى قسمين، فرض كفاية وفرض عين، فرض العين هو الشهادة وأركان الإسلام وأحكام العمل بها، وغير ذلك (وما دون ذلك) هو فرض كفاية.

أما علوم الطب والهندسة والفقه فهي فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الباقيين، ومن تخصص في علم من العلوم أصبح هذا العلم بالنسبة له فرض عين وما عداه فرض كفاية.

وللعلم فإن أئمة المذاهب الفقهية الإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أبا حنيفة والإمام أحمد بن حنبل والإمام سفيان الثوري كانوا أئمة في علوم الحقيقة، وعلوم الفقه جزء من علومهم.

وهناك نوع ثالث من العلوم مثل علوم السحر والمطلسمات والكلام في القدر فهو علم لا ينفع وجهل لا يضر.

بيان ما يدل من ألفاظ العلوم:-

الفقه : وهو علم طريق الآخرة وكما قال تعالى "لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ" (١٢٢) التوبة ولكن حالياً الفقيه هو الحافظ لفروع الفتاوى في الصلاة والصيام والطلاق واللعان والحيض والنفاس.

العلم : كلمة العلم تطلق على العلم بالله تعالى وبأفعاله في عبادته، وحاليًا تطلق على كل تخصص وإن كان هزلاً.

التوحيد : هو أن يرى الأمور كلها من الله عزَّ وجلَّ رؤية تقطع الالتفات للأسباب والوسائط، وحاليًا يُطلق على علم الكلام ومعرفة طريق المجادلة، فتخصَّص الناس لحراسة القشر دون اللب أي دون الدخول للباب كمن يهتم بالخط المكتوب ولا يتدبر اليد التي كتبت والعقل الذي يحكم اليد ويوجهها. الذكر والتذكير المحمود شرعًا هو الكلام في علم الآخرة والتفكير بالموت وذكر الله المجرد عن الطلب، أمَّا الآن فهي مجالس لقص القصص والأشعار وتاريخ الفضلاء.

الحكمة : ويطلق اسم (الحكيم) على كل من تخصص في فرع من العلوم، ولكن الحكمة هي مصدر الخير الكثير لقوله تعالى "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا" (٢٦٩) البقرة. والعلم المحمود هو العلم بالله تعالى بصفاته وأفعاله وسُنَّته في خلقه، فعليك بإصلاح نفسك قبل إصلاح غيرك، والمجاهدة مفتاح البداية، والمجاهدة تعني الاشتغال بعلاج علل الباطن، وإيَّاك والجدل المقصود به المنافسة والظهور على الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليك.

آداب المتعلم والمعلم

من طلب العلم النافع فعليه آداب أن يجاهد فيها، ومن جملتها:-

(١) طهارة النفس عن رذائل الأخلاق لأنَّ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقرية الباطن إلى الله تعالى، وكما قال الحق "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ" (٢٨) التوبة، وربما يكون نظيف الجسم والثوب تنبيهًا عن نجاسة الباطن، والمطلوب هو طهارة الباطن لأنَّ العلم نور يقذف في القلب السليم.

(٢) أن يقلل علاقته من الاشتغال بالدنيا.

(٣) أن لا يتكبر على العلم أو المعلم بل ينبغي له أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم) وكل متعلم استبقى لنفسه رأيًا واختيارًا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه (لأنَّ من حقِّ العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، ولا تلح عليه، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفش له سرًا، ولا تفتن أحداً عنده، ولا تطلبين عثرته، وإن زل اقبل معذرتة، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم لخدمته).

(٤) أن يحترز الخائض في العلم عن الإصغاء إلى اختلاف الناس والآراء لأنَّ في بداية السلوك يكون الاهتمام بعمل الجوارح ولكن في النهاية يكون عمل القلب هو الأهم دون التقصير عن الفرائض والرواتب لأنَّ هفوات الأولياء لا تضرهم كما تضر أهل البدايات لأنَّ إلقاء الميتة في البحر لا تنجسه.

(٥) أن لا يدع طالب العلم فتًا من العلوم المحمودة إلا وينظر فيه نظرًا يطلع على مقصده وغايته، فالعلوم على درجاتها إمَّا سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو مُعينة على السلوك والفضيلة نسبية.

(٦) لا تخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة بل يُراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم ولا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله.

(٧) أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم وهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله.
(٨) أن يكون قصد المتعلم في الحال تحليه باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المال القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملا الأعلى.

(٩) أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد، والعلوم على ثلاث مراتب:-
علم يجري مجرى إعداد الزاد والمال والاستعداد للحج
وعلم يجري مجرى سلوك الطريق وقطع عقبات الطريق إلى مكان الحج، وهو علم تطهير الباطن ولا يصلح إلا بممارستها ومعاناتها بالمجاهدة ومباشرة التهذيب.
وقسم ثالث وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته، وهو بمثابة أداء مناسك الحج والطواف بالبيت والوقوف بعرفة.

بعد ذكر آداب المتعلم يأتي دور آداب المعلم وهي كثيرة وأهمها :-
اعلم أنَّ الإنسان له في أمواله أحوال تبدأ باقتناء الأموال واكتسابها ثم ادخارها ثم إنفاقها، وكذلك العلم يبدأ بحال طلب العلم واكتسابه وتحصيله ثم حال تبصّر وتفكّر من علم وعمل ثم بث العلم ونشره على أهله، وهنا يلزم الشفقة على المتعلمين ويعتبرهم بئيه ولا يقصد بعلمه أحدًا بعينه ولا يقصد به جزاء ولا شكرًا اقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ، ولا يدع من النصيحة شيئًا، ويراعي التدرج في ترقية المتعلم، ولا يحدث بحديث لا ترقى إليه عقولهم، وأن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب فعله قوله، وليعلم المعلم أنه إذا أخطأ يضاعف له العذاب لأنه عصى عن علم.

آفات العلم وبيان علماء الآخرة وعلماء السوء

الرجال أربعة :- رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدري ويدري أنه لا يدري فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فافضوه.

ولا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم فإذا ظنَّ أنه قد علم فقد جهل.

وعلماء الآخرة هم الفائزين المقربين ولهم علامات :-

(١) أن لا يطلب الدنيا بعلمه لحقارتها وهو طلب المال والجاه وكما قال الحبيب المصطفى ﷺ (من طلب علمًا ليصيب به عَرَضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة)، وأن لا يكون في علمه مثل السلطان يَغْضِب لِمَن يناقشه، ولا يُخْزِن علمه ولا يَبْتَه للناس، وأن لا يجعل علمه للصفوة وأهل اليسار، ولا يَنْصِب نفسه للفتيا وهو ليس أهلاً لذلك، وأن لا يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليعزز علمه.

(٢) أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشئ ما لم يكن هو أول عامل به وكما قال سبحانه وتعالى "اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ" (٤٤) البقرة وكما قيل (أنت لا تعمل بما تعلم فكيف تطلب علم ما لم تعلم)، وقالوا (لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم).

(٣) أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والملبس والمسكن.

(٤) أن يكون بعيدًا عن الحكام والسلاطين.

٥) كلمة (لا أدري) حكمة لا بد أن تكون واردة في كلامه، ولذلك قالوا {العلم ثلاثة كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري}.

٦) أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب لأن الحكمة تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة، والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب صافي الفكرة والانتقطاع إلى الله تعالى عما سواه.

٧) أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين في الله ويسعى أن ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين ثم إلى حق اليقين فإن تعلم اليقين يزيل عن قلبه الوسائط وينزلها في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يفضض عليهما بل يراها التين مسخرتين فقط، وهذا المقام يُورث الحياء والخوف والانكسار والاستكانة وجملة الأخلاق الحمودة، وكما قالوا :-

إذا رأيت الله في الكلِّ فاعلا ***** وجدت جميع الكائنات ملاحا

وإن لم تَرَ إلا مظاهر ضنعه ***** خسرت وصيرت الملاح قباحا

٨) أن يكون حزينًا منكسرًا مطرقًا صامتًا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته، فالعلماء اثنان كما قال سهل التستري رضي الله عنه :-

- عالم بأمر الله ولا يعلم بأيام الله تعالى وهو المفتي بالحلال والحرام، وهذا العلم لا يُورث الخشية.

- وعالم بالله تعالى وعالم بأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون، وهم إذا رؤوا ذكر الله.

وقيل (خمسة من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة وهي الخشية والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا والزهد).

كتاب قواعد العقائد ص ٨٩

عقيدة أهل السنة هي أنه سبحانه وتعالى في ذاته واحد احد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، متفرد لا ند له، وأنه واحد احد قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، ابدى لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال والجمال والكمال، لا يحمل على العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، تعالى أن يحويه مكان كما تقدس أن يحده زمان بل كان قبل خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان، لا تأخذه سنة ولا نوم، المبدئ المعيد الفاعل لما يريد، حي قادر سميع بصير متكلم عليم، لا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يضاف لغيره ملك أي شيء حتى يكون تصرفه فيه ظلم، متفضل بالخلق والإبداع.

ثم شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، ثم الإيمان بالكتب والملائكة وكل ما أخبر به ﷺ، والإيمان بما يحدث بعد الموت من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر والصراف والحوض والحساب والجنة والنار، وأن يؤمن بالشفاعة، وإن يعتقد بفضل الصحابة رضي الله عنهم.

التدرج وترتيب درجات الاعتقاد

كما قال الحبيب المصطفى ﷺ (ما حدث أحد قومًا بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم) وكما قال أبو هريرة (حفظت عن رسول الله ﷺ وعائين، أمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر لو بثثته لقطع هذا الخلق) وقال سهل التستري رضي الله عنه (للعالم ثلاثة علوم، علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله، وعلم بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد)، والحقيقة لا تخالف الشريعة ولكن مكملة لها ويتركها أهلها فمن قال أن الحقيقة تُخالف الشريعة والباطن يُخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه للإيمان، والأسرار التي يختص بها المقربون ويمتنعون عن إفشائها ترجع على أن الشيء في نفسه دقيق تكل أكثر الإفهام عن إدراكه كما قال الصديق رضي الله عنه (سبحان الذي لم يجعل للخلق سبيلاً على معرفته إلا بالعجز عن معرفته).

كتاب أسرار الطهارة ص ١٢٥

قال النبي ﷺ (الطهور نصف الإيمان)، والطهارة لها أربعة مستويات :-

١) عمارة الظاهر بالتنظيف عن الأحداث والأخبار والفضلات.

٢) تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام.

٣) تطهير القلب عن الأخلاق الذميمة والذائل الممقوتة.

٤) تطهير السر عما سوى الله.

ويا خسارة من انشغل بالمرحلة الأولى واعتبرها نصف الإيمان.

وتبدأ الطهارة بقضاء الحاجة وآدابها وكيفية الاستنجاء.

آداب الوضوء والدعاء قبله وأثناءه وبعده.

فضيلة السواك.

- الغسل للطهارة من الحدث الأكبر ويشمل النية واستيعاب البدن جميعه بالماء وآداب ذلك.

- التيمم وأحكامه

وكل ذلك مفصل في كتب الفقه.

كتاب أسرار الصلاة ومهماتهما ص ١٤٠

أولاً فضيلة الأذان :-

المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، وقال ﷺ (ثلاثة يوم القيامة على كتيب أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس، رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل، ورجل أم قوم وهم به

راضون، ورجل أذن في مسجد ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ ابتغاء وجه الله، ورجل ابثلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة).
ثانياً فضل المكتوبة:-

يقول الحق سبحانه وتعالى "إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا" (١٠٣) النساء.
ويقول حضرة النبي ﷺ (الصلاة عماد الدين، فمن تركها فقد هدم الدين)، وقال ﷺ (يا أبا هريرة مُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكَ بِالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).
ثالثاً : فضيلة إتمام الأركان، لأنَّ أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته.
رابعاً : فضيلة الجماعة، وكما قال ﷺ (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة).
خامساً : فضيلة السجود، وكما قال الحبيب المصطفى ﷺ (ما تقرب العبد على الله بشيء أفضل من سجود خفي).

سادساً : فضيلة المسجد، قال ﷺ (من بنى مسجداً ولو كفحص قطعة، بنى الله له قصرًا في الجنة).
سابعاً : فضيلة الخشوع، قال الحق سبحانه وتعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ" (٤٣) النساء، وقيل في معنى (سُكَارَى) كثرة الهم، وقيل حُب الدنيا، وقال ﷺ (لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها مع بدنه) ، وقال بعضهم (بلغني أَنَّ العُشَاق يصبرون تحت أسواط السلطان لِيُقَالَ فلان صبور ويفتخرون بذلك، فإذا كنت قائم بين يدي ربك أفتتحرك لذنابة) وكيف تُقبل صلاة عبد جسده في المسجد وعقله وروحه في السوق.

في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة

يستقبل القبلة ويجعل بصره محصوراً في مُصلاه لِيَمْنَعَ تَفَرُّقَ الْفِكْرِ وَلَا يَقُولَ (اللهُ و أَكْبَرُ) أَوْ (اللهُ أَكْبَرُ) ثُمَّ يَضَعُ الْيَدَيْنِ عَلَى مَا فَوْقَ السُّرَّةِ وَتَحْتَ الصَّدْرِ، وَيَضَعُ الْيَمْنَى عَلَى الْيُسْرَى إِكْرَامًا لِلْيَمْنَى بِأَن تَكُونَ مَحْمُولَةً، يَبْدَأُ الْقِرَاءَةَ بِالِاسْتِعَاذَةِ سِرًّا وَيُسَمِّي اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ جَهْرًا فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ وَسِرًّا فِي الصَّلَاةِ السِّرِّيَّةِ.

والمنهيات في الصلاة:-

الصفن : وهو رفع إحدى الرجلين.
الصفد : وهو ضم القدمين، والفرج وهو إبعاد القدمين أكثر من اللازم.
السدل : وهو أن يصلي داخل القميص.
الكفت : وهو رفع الثوب عند السجود.
الاختصار : وهو وضع يديه على خاصرتيه.
الصلب : وهو أن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين عضديه في القيام.
الإقعاء : وهو أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب.
المواصلة : وهو وصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة وتكبير المأموم بتكبير الإمام وتسليمه بتسليمه (أي الإمام).

صلاة الحاقن : وهو المحصور في البول.

صلاة الحاقب : وهو المحصور في البراز.

صلاة الحاذق : وهو الذي يصلي في الخفاء الضيق.

صلاة الجائع والغضبان والمتألم، وكذلك تشبيك الأصابع أو فرقعتها أو ستر الوجه وكذلك لا يستند على حائط في قيامه إلا لضرورة.

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب:

- كم من قائم حظه من صلاته التعب والنَّصب ، وكذلك ليس للعبد من صلاته إلا ما عَقَلَ منها.

- المُصلي متابع لربه عزَّ وَجَلَّ فكن حاضر القلب.

- مقصود الصلاة ليس الهذيان بالحروف وحركة الأعضاء ولكن حضور القلب والإعراب بما في الضمير.

- تحرك اللسان بحكم العادة والقلب بحجاب الغفلة محجوب ما أبعدته عن العبادة.

- أقل ما يبقى روح الصلاة هو الحضور عند تكبيرة الإحرام والنية، وبقدر الزيادة في الحضور تنبسط الروح في أجزاء الصلاة.

المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة

سنة وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء.

(١) حضور القلب : أي أن يفرغ القلب من الشواغل فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بها ولا يكون الفكر جائلاً في غيرها.

(٢) التفهم : أي فهم معنى الكلام والحركات، وهذا من حضور القلب فرمما يكون القلب حاضرًا مع اللفظ وليس معنى اللفظ.

(٣) التعظيم : أي حاضر القلب ومتفهم المعنى مُعظماً للرب، لأنَّ التعظيم معنى زائد عليها.

(٤) الهيبة : وهي زائدة على التعظيم وهو الخوف مع التعظيم، فالهيبة هي الخوف مع الإجلال وتسمى الخشية.

(٥) الرجاء : ربما يخاف السلطان أو يهابه ولكن لا يرحوه، فالرجاء زائد على ما قبله، فعلى العبد أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله عزَّ وَجَلَّ.

(٦) الحياء : وهو زائد على الجملة، وهو استشعار تقصير وتوهم ذنب.

وأما أسباب هذه المعاني الستة فهي :-

- حضور القلب، وسببه الهمة فإنَّ قلبك تابع لهمتك، ومهما أهتمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى، فإن

لم يحضر القلب فذلك لضعف الإيمان، فالمطلوب هو الاجتهاد لتقوية الإيمان بِمَلِكِ المُلُوكِ.

- التفهم لدفع الخواطر الشاغلة، فحضور القلب وإدمان الفكر يؤدي إلى إدراك المعنى.

- التعظيم ويتم بمعرفة جلال الله وعظمته، وفي المقابل حقارة النفس وخستها.

- الهيبة والخوف يتولد من المعرفة بالله، وكلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة.

- الرجاء سببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم أنعامه.

- الحياء باستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل.
 فخط كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه "وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا" (١٣٢) الأنعام.

بيان الدواء النافع في حضور القلب

دفع الخواطر الخارجية وهي كل ما يُسمع وما يُرى وما يُحس، وكذلك دفع الخواطر الداخلية وهي أشد فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى آخر، والعلاج أن يرد النفس قهراً أو يُعاقب نفسه بالزوع عن تلك الشهوات وقطع العلائق، فكل ما يُشغله عن صلاته فهو ضد دينه ومن جند إبليس، فشجرة الشهوات كشجرة عليها عصافير تُشغلك عن عملك فكلما طردتها عادت، فالعلاج هو قطع الشجرة أي قطع العلائق.

بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب أثناء الصلاة

- إذا سمعت المؤذن اذكر نداء يوم القيامة.
 - ستر العورة : اذكر ستر العورات الداخلية.
 - استقبال القبلة : جميع المصلين يتجهون إلى جهة واحدة، وكذلك اجعل قلبك يتجه إلى جهة واحدة.
 - الوقوف يكون بانكسار أمام الله عز وجل ويساعدك على ذلك تصور أن سيدنا رسول الله ﷺ واقف أمامك أو أن شيخ جليل ينظر إليك ويهيمك أن يُحسن الظن بك، وقُل لنفسك اتخشين الناس ولا تخشين الله.

- النية : استحضر وانظر من تُناجي وكيف تُناجي وبماذا تُناجي.
 - التكبير : إذا انطلق لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك أو عملك.
 - دعاء الاستفتاح : عند قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض اذكر أنه ليس الوجه الظاهر الذي وجهته للقبلة ولكن وجه القلب الحقيقية وإلا كنت كاذباً في قولك (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض).

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، نذكر أنه لعن بسبب سجدة واحدة رفض أن يسجدها ولم يُوفق لها.
 - أثناء القراءة تذكر أن حركة اللسان ليست مقصوده بل المقصود المعاني، ولا تكن كاذباً عند قولك (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) لأن الناس ثلاثة :-

رجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع لسانه.

رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل.

رجل قلبه يسبق المعاني أولاً ثم اللسان.

- عند قولك (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) انو بها التبرك لتلاوة القرآن.

- عند قولك (الحمد لله) توجه بالشكر لله قولاً وفعلاً.

- عند قولك (الرحمن الرحيم) تذكر جميع أنواع اللطف والرحمة.

- عند قولك (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) استثر من قلبك التعظيم والخوف.

- عند قولك (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) تذكر الإخلاص.

- عند قولك (وإياك نستعين) تذكر العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة، ثم اطلب حاجتك ببقية الفاتحة، ثم التمس الإجابة وقُل (آمين).
- وبذلك كما قال الله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا رسول الله ﷺ (قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ، نَصْفَهَا لِي وَنَصْفَهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ).
- يراعي الهيبة في القرآن فيرتل ولا يسرد، وكما يجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات يجب حراسة السر عن الالتفات لغير الصلاة (اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح).
- وفي السجود تمكن أعز الأعضاء وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب.
- عند التشهد تقول (التحيات لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله)، وتقول (السلام عليك أيها النبي) بكاف الخطاب (وكلمة (أيها) لا تقال إلا للحاضر أمامك) ثم تسلم على نفسك وعلى عباد الله الصالحين وتأمل أن يرد الله عليك سلامًا وافيًا بعدد عباد الله الصالحين.
- عند التسليم تقصد السلام على الملائكة والحاضرين.
- فصل صلاة مُودِع.

الإمامة والقُدوة

- لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه.
- لا يجمع بين الأذان والإمامة، وإذا خُير فله أن يختار الإمامة.
- على الإمام أن يصلي في أول الوقت ولا ينتظر إلا بقدر وضوء المصلين.
- أن يكون حريصًا في طهارته، مخلصًا في صلاته ومؤديًا بأمانته، وكما قال الحبيب المصطفى ﷺ (فإن أتمّ فله ولهم، وإن نقص فعليه لا عليهم).
- أن يكون للإمام في القيام ثلاث سككات بين تكبيرة الإحرام والقراءة، وبين الفاتحة والسورة، والثالثة إذا فرغ من السورة قبل الركوع.
- من صلى بالناس فليخفف فإنّ منهم الضعيف والكبير وذو الحاجة، وإذا صلى بنفسه فليطول ما يشاء.
- أن يخفف الركوع والسجود.
- له أن يطيل الركوع ليدركه المسبوق ولكن بدون الإخلال بالصلاة وحق المصلين السابقين.
- بعد التشهد يدعو بالدعاء المأثور عن سيدنا رسول الله ﷺ وهو الاستغاثات الخمس وهي (نعوذ بك من عذاب جهنم، وعذاب القبر، ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا غير مفتونين).
- عليه أن يثبت بعد السلام ويصلي النافلة في مكان آخر.

شروط الجمعة وآدابها

- يوم الجمعة يوم عظيم يُستحب فيه الغُسل ويكره الانشغال بأمور الدنيا قبل الصلاة.
- ولا تعقد الجمعة إلا في القرى والمدن ويحضرها ٤٠ فردًا من بداية الخطبة الأولى، ويسبق الصلاة خطبتان الأولى أطول وفرائضها أربعة (التحميد، الصلاة على النبي ﷺ، الوصية بالتقوى، ثم قراءة آية

(من القرآن)، والخطبة الثانية أقصر من الأولى وتشمل الدعاء إضافة لما سبق، وعلى الأربعين سماع الخطبة، وأن تكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة.

- ومن آداب الجمعة الاستعداد لها من يوم الخميس ليلاً بالذكر والصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ، ويستحب أن يُجامع أهله في هذه الليلة أو يوم الجمعة ليغتسل ويغتسل كما في الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (رحم الله من بكر وابتكر، وغسل واعتسل) فالفعل مُستحب استحباباً مؤكداً والبكور إلى الجامع بملابس نظيفة طيب الرائحة وينوي الاعتكاف، فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام التي بيد الملائكة الذين يسجلون المصلين، ولا يتخطى رقاب الناس، ولا يجلس أو يصلي في ممشى الناس، وأن يطلب الصف الأول بالحضور مبكراً، وله أن يتأخر إذا كانت نيته البعد عن الرياء فإنَّ المراد قرب القلوب لا قرب الأجساد.

- أن يحضر مجالس الذكر، واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل، وفي يوم الجمعة ساعة إجابة قلَّ أن يترقبها.

- كثرة الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ في ليلة الجمعة ونهارها وكذلك الاستغفار، ويستحب قراءة سورة الكهف، وكان العابدون يستحبون أن يقرأوا يوم الجمعة "قل هو الله أحد" ألف مرة.

- الصدقة مستحبة في ذلك اليوم ولكن خارج المسجد وكما قال ابن مسعود رحمه الله (إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى، وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه).

- أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فلا ينشئ فيه سفراً إلا لضرورة شديدة أو بعد الصلاة.

- أن يزيد في أوراده وأنواع خيراته يوم الجمعة.

النوافل من الصلاة

صلاة النوافل منها سُنَّة ومُستحبات وتطوعات.

السُّنَن : ركعتان قبل الصبح، أربع ركعات قبل الظهر واثنان بعده، ركعتان قبل العصر، ركعتان بعد المغرب، ثمَّ الوتر.

التهجد : وهو سُنة مؤكدة وأكثره (١٣) ثلاثة عشرة ركعة إن لم يكن قد صلى الوتر.

صلاة الضحى : أربع إلى ثمان ركعات.

إحياء بين العشاءين وهو ست ركعات.

صلاة التراويح، صلاة العيدين.

صلاة رجب، وصلاة النصف من شعبان وتسمى (صلاة الخير).

صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء.

تحية المسجد، صلاة الجنازة.

ركعتان بعد الوضوء.

ركعتان عند دخول المنزل والخروج منه.

ركعتان عند ابتداء السفر، وركعتان عند الرجوع من السفر.

من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فإذا سَلَّمَ قضى وأجاب وإن كان المؤذن سكت.
من كان له وُرد ففاته لعذر فينبغي أن يقضيه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية.
صلاة الاستخارة :

من همَّ بأمر وكان لا يدري عاقبته فعليه أن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية يقرأ الفاتحة وقل هو الله أحد، فإذا فرغ دعا وقال (اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن في هذا الأمر خيرًا لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرًا لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير أينما كان إنك على كل شيء قدير).
صلاة الحاجة :

أن يصلي (١٢) ركعة يقرأ في كل ركعة بِأَمِّ الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد، فإذا فرغ خَرَّ ساجدًا وسبَّح الله وأثنى عليه وصلى على سيدنا رسول الله ﷺ وطلب حاجته.
صلاة التسايح :

يستحب أن لا يخلو منها أسبوعًا أو مرة في الشهر، وهي أربع ركعات وفي كل ركعة (٧٥) سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وموزعة كالآتي (١٥) بعد القراءة ثم (١٠) بعد الانتهاء من كل حركة من حركات الركعة فهي (٧٥) خمسة وسبعون تسبيحه في كل ركعة وجلتها (٣٠٠) في الأربع ركعات.

كتاب أسرار الزكاة ص — ٢٠٨

أنواع الزكاة :

- زكاة النعم : والتفاصيل في كتب الفقه.
- زكاة الحبوب : وهي ٤/١ العُشر في الزراعة على آلات الري أي (جوال قمح مثلاً عن كل ٢٠ جوال)، ٢/١ العُشر في الزراعة التي تعتمد على المطر أي (جوال قمح مثلاً عن كل ١٠ أجولة).
- زكاة الأموال والتجارة : وهي ٤/١ العُشر على كل ما حال عليه الحول.
- زكاة الركاك : وهو كل ما يخرج من تحت الأرض ولا يخص أحداً، وزكاته ٥/١ (الخمس) والحول غير معتبر.
- صدقة الفطر : والتفاصيل في كتب الفقه.
- الشروط الباطنة :

آداب على المؤدي للزكاة أن يُراعها وهي :-

- (١) النية : وهو أن ينوي تعيين الأموال التي يقصد إخراجها وخاصة زكاة الفرض.
- (٢) البدار : أي يخرجها بمجرد أن يحين أوان خروجها.
- (٣) لا يخرج بدلاً باعتبار القيمة (وفي ذلك تفصيل في المذهب).
- (٤) لا ينقل الصدقة لبلد آخر إلا لضرورة.
- (٥) أن يقسم المال بعدد الأصناف الموجودة ومحتاجه للزكاة.
- (٦) الزكاة امتحان لصدق النطق بالشهادة لأن التوحيد باللسان سهل وإنما يمتحن بمفارقة المحبوب وهي الأموال، وعلى ذلك فإن الناس ثلاثة أصناف :
 - من يخرج من جميع ماله مثل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
 - من يخرج من نصف ماله مثل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
 - من يقتصر على أداء الواجب ولا يزيدون.
- (٧) إخراج الزكاة هو تطهير من صفة البخل وقهر النفس على تطهير صاحبها من خبث البخل.
- (٨) شكر للنعمة أن أغناه عن السؤال وأحوج غيره إليه.
- (٩) إدخال السرور لقلوب الفقراء.
- (١٠) الإسرار بإخراجها وذلك أبعد للرياء، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (إنَّ العبد ليعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرّاً، فإن أظهره نُقل من السرّ وكتب في العلانية، فإن تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء) والتصدق سرّاً له وسائل كثيرة وحتى لا يعرف المسكين من تصدق عليه.
- (١١) أن يظهر الصدقة إذا رأى أن في ذلك ترغيباً للناس وخاصة إذا كان المتصدق قدوة بين الناس وكذلك في زكاة الفرض لقوله تعالى "إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ" (٢٧١) البقرة.
- (١٢) أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى لقوله تعالى "لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى" (٢٦٤) البقرة. وقالوا (لأنَّ المن هو أن يذكر صدقته ويُحدِّث بها أو يستخدم الفقير مُقابل العطاء) لأنَّ الله لا يقبل صدقة منان، أو يرى نفسه مُحسناً للفقير والحق أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول صدقته.
- وكما قال ﷺ (إنَّ الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل) ويتحقق أنَّ الفقير آخذ من الله تعالى، والمن كذلك يعني طلب المكافأة بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور من قبل الفقير.
- والأذى هو أن ينتهر الفقير أو يُوبخه بالمساءلة أو أن يُعيره لفقره (وهو جهل من المتصدق) ومن مظاهره التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقضيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف، وباطنه كراهية رفع اليد عن المال وحبه للمال وكذلك رؤية أنه خير من الفقير وأنَّ الفقير لسبب حاجته أخس منه، وكل ذلك سببه الجهل لأنَّ مَنْ كره بذل درهم مقابل ما يساوي ألفاً فهو شديد الحق، وجهل آخر فلو عرف فضل الفقير على الغني لعرف خطر الأغنياء ولما استحققر الفقير بل تَبَرَّك به وتمنى درجته فضلاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام، وكذلك الغني مستخدم للسعي في رزق الفقير

ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق إلى أن يموت فيأكله أعداؤه، وإذا أدرك ذلك يُعطي الفقير عطاء الخجل من بخله لأنه يُعطي فقط (٤/١) ربع العشر. وَمَنْ فَهَمَ ذَلِكَ يَبْسُطُ كَفَّهُ لِيَأْخُذَ الْفَقِيرَ مِنْ كَفِّهِ وتكون يد الفقير هي اليد العليا، وكانت السيدة عائشة وأم سلمة رضي الله عنها إذا أرسلتا معروفاً إلى فقير قالتا للرسول (أحفظ ما يدعوه) ثم كانتا تزدان عليه مثل قوله وتقولان (هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا) فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه مكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله.

وفي النهاية فإنَّ صدقة المئتان والمؤذي لا تقبل لقوله تعالى "لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى" (٢٦٤) البقرة. (١٣) أن يستصغر العطية فإن استعظمها أُعجب بها والعُجب من المهلكات (والاستعظام غير المن والأذى) والعُجب بالصدقة يحدث كثيراً عند صرف الأموال في عمارة مسجد أو مدرسة لقوله تعالى "وَيَوْمَ حَتَّيْنِ إِذْ أَعْجَبْتُمْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً" (٢٥) النوبة وقالوا (إنَّ الطاعة كلما استصغرت عَظُمَت عند الله عَزَّ وَجَلَّ، والمعصية كلما استعظمت صَغُرَت عند الله عَزَّ وَجَلَّ).

(١٤) ومن سوء الأدب أن ينتهي من ماله أجوده وأحبه إليه ويحافظ عليه ويتصدق بغيره ولا يعلم أنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وكذلك ليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى، ويقول الحق سبحانه وتعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ" (٢٦٧) البقرة وقوله تعالى "وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ" (٦٢) النحل.

(١٥) أن يطلب بصدقته من تركوه به الصدقة ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية، فمثلاً: - أن يطلب الفقير أو المسكين التقي المعرض عن الدنيا المتجرد لتجارة الآخرة لأنَّ هؤلاء قوم همهم الله فإذا أطرقتهم فاقة تشتت فكرهم.

- أن يُعطي صدقته للفقير أو المسكين الذي يسعى للعلم حتى يتفرغ للعلم والدراسة. - أن يُعطي صدقته للصادق في تقواه وعلمه بالتوحيد وعند ذلك يوجه شكره لله ولا ينظر للأسباب (والمصدق واحد من هذه الأسباب) وأمَّا الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالقطع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة، ومن هؤلاء عندما وصلته صدقة قال (الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره).

- أن يُعطي الصدقة لمن هو مُستتر خفي لا يُكثر البتَّ والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يعيش في جلباب التجمل "يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيْمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً" (٢٧٣) البقرة فتواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يُصرف للمجاهرين بالسؤال.

- يصرف الصدقة لمن كان معيلاً أو مَحْبوساً بمرض أو بسبب من الأسباب وهم الذين أُحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض.

- أن يُعطي الصدقة لنوي الأرحام فتكون صدقة وصلة رَحم وكذلك يتقدم الأقارب على الأجانب.

المستحقون للصدقة

- يقول الحق سبحانه وتعالى "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ" (٦٠) التوبة
- (١) الفقراء : الفقير هو الذي لا يجد قوت يومه وليس له قدره على الكسب.
 - (٢) المساكين : المسكين هو من لديه سبب من أسباب الرزق ولكن لا يكفيه كما سَمِيَ الحق أصحاب السفينة "مَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ" (٧٩) الكهف.
 - (٣) العاملون عليها : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات.
 - (٤) المؤلفة قلوبهم : أشرف أسلموا وهم مُطَاعُونَ فِي قَوْمِهِمْ (وهذا الصنف غير موجود حالياً).
 - (٥) وفي الرقاب : (المكاتبون) وهذا الصنف غير موجود حالياً.
 - (٦) الغارمون : وهو الذي استقرض في طاعة أو مُباح ولم يستطع السداد (وهم كثير في هذا الزمان).
 - (٧) الغزاة : وهم الذين يُنفذون أمر الحاكم (وفي هذا الزمان تلك مسئولية الحاكم وبيت المال).
 - (٨) ابن السبيل وهو المسافر في غير معصية ويُعطى ما يُبلغه أهله وبلده.
- آداب الآخذ للصدقة.**

وعلى الآخذ آداب عليه أن يُراعيها :-

- أن يأخذ ما يكفيه فقط ولا يزيد.
- أن يشكر المُعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره بحيث لا يُخرجه من كونه واسطة كما قال الحبيب المصطفى ﷺ (مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ)، وَمِنْ تَمَامِ الشُّكْرِ أَنْ يَسْتُرَ غُيُوبَ الْعَطَاءِ فوظيفة المُعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام، وكل ذلك لا يُناقض رؤية النعمة من الله عَزَّ وَجَلَّ.
- أَنَّهُ ﷺ نَهَى عَنِ السُّؤَالِ مَعَ الْغِنَى فَقَالَ (مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَالٌ يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ).
- أن ينظر الفقير فيما يُعطى له فإن كان من حرام لا يأخذه ويتورع عنه.

صدقة التطوع.

- يقول الحبيب المصطفى ﷺ (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ).
- كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس.
- لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِأَلِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ.
- لو صدق السائل ما أفلح من رده.
- قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (الصلاة تُبلغك نصف الطريق، والصوم يُبلغك باب الملك، والصدقة تُدخلك عليه).
- إذا أخطأت خطيئة فأعطِ صدقة.
- ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض، وكتمان الصدقة، وكتمان المصائب.

- مَنْ لَمْ يَرِ نَفْسَهُ إِلَى ثَوَابِ الصَّدَقَةِ أَحْجَاجٌ مِنَ الْفَقِيرِ إِلَى صَدَقَتِهِ فَقَدْ أَبْطَلَ صَدَقَتَهُ.

بيان إخفاء الصدقة وإظهارها.

الإخفاء :-

- (١) أبقي للستر على الآخذ.
- (٢) أسلم لقلوب الناس وألسنتهم.
- (٣) إعانة المعطي على إسرار العمل.
- (٤) في إظهار الصدقة ذل وامتهان للآخذ وليس للمؤمن أن يذل أخيه.
- (٥) الاحتراز من شبهة الشراكة فمن أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها.

أما إظهار الصدقة فله شروط :-

- (١) يحتاج للإخلاص المطلق.
- (٢) أن يكون مِمَّنْ يَقْتَدِي بِفَعْلِهِ.
- (٣) إظهار لِسُنَّةِ الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ.
- (٤) أن يكون مِنَ الصَّدَقَاتِ الْمَفْرُوضَةِ.

كتاب أسرار الصوم ص ٢٣٠

- الصيام ربع الإيمان بمقتضى قوله ﷺ (الصوم نصف الصبر) وبمقتضى قوله ﷺ (الصبر نصف الإيمان).
- الصوم كف وترك وهو نفسه سر بين العبد وربّه وليس فيه عمل يُشَاهَد وهو قهر لعدو الله إبليس لأنّ الشهوات وسيلة الشيطان.
والصوم ثلاث درجات :-

- (١) صوم العموم : وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.
- (٢) صوم الخصوص : وهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام.
- (٣) صوم خصوص الخصوص : وهو صوم القلب عن الهمم الدنيوية والأفكار الدنيوية وكفه عمّا سوى الله بالكلية، وهؤلاء يتخلقون بخلق الله عزّ وجلّ وهو الصمدية وهو اقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات.

والصوم أمانة فليحفظ أحكم أمانته وكما قال سبحانه وتعالى "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا" (النساء ٥٨) كما أنّ السمع أمانة والبصر أمانة فأني جدوى لتأخير أكله حتى العشاء مع الانهماك في الشهوات طوال النهار.

والصوم درجتان :-

- (١) صوم الفرض وهو صوم شهر رمضان.

٢) صوم النفل : يوم عرفة، يوم عاشوراء، العشر الأوائل من ذي الحجة، العشر الأوائل من المحرم، الأشهر الحرم، رجب وشعبان ورمضان، الاثنين والخميس من كل أسبوع، ثلاثة أيام من كل شهر عربي (١٣، ١٤، ١٥)، صوم سيدنا داود (وهو صوم يوم وإفطار يوم).

كتاب أسرار الحج ص ٢٣٩

يقول الحبيب المصطفى ﷺ (من مات ولم يحج فلميت إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا، والحاج قاصد إلى الله عزَّ وجلَّ) وقوله تعالى "لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ" (٢٨) الحج قيل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة، وأعظم الناس ذنبًا مَنْ وَقَفَ بعرفة فَظَنَّ أَنَّ الله تعالى لم يغفر له.

- إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غُفِرَ لِكُلِّ أهل عرفة وهو أفضل أيام الدنيا.
- الحجر الأسود ياقوته من يواقيت الجنة وكما قال الإمام علي رضي الله عنه (بل يضر وينفع، قيل كيف ؟ قال إِنَّ الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كِتَابًا ثُمَّ الْقَمَةُ هذا الحجر فَهُوَ يَشْهَدُ للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجُحود).

- كره الخائفون المُحتاطون من العلماء المُقام بمكة لِمَعَانِ ثلاثة:-

١) خوف التبرم والأنس بالبيت.

٢) يهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث دواعي العودة.

٣) الخوف من ارتكاب الخطايا والذنوب بها لأنَّ العبد يُؤَاخِذُ على نيته قبل العمل.

ولا تظن أنَّ كراهة المُقام يتناقض مع فضل البُتَّة. (وتفاصيل أركان الحج وشروطه وسُنَّته ومُستحباته مُفصلة في كُتُب الفقه) ومن ذلك له أن يتطيب في ثيابه وبدنه قبل الإحرام ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام، ومن ذلك أنَّ لبس الثياب لا يعني انعقاد النية وله أن يصبر بعد لبس الثياب قبل أن تنبث (تتحرك) به الراحلة، وَمِن السُّنَّة أن يقرن النية بالتلبية وصلاة ركعتين.

والغسل المُستحب في الحج له عدة مواقع :-

للإحرام، لدخول مكة، لطواف القدوم، للوقوف بعرفة، للوقوف بمزدلفة، للاغتسال لرمي الجمار (ولا غُسل لرمي جمره العقبة) الغسل لطواف الوداع.

- أن يقصد الحجر الأسود ويقبله أو يمسه بيده اليمنى ويقول (اللَّهُمَّ أمانتي أديتها، وميثاقي وفيتها، اشهد لي بالموافاة).

- الطواف صلاة ولذلك يُراعى فيه شروط الصلاة وعليه أن يضطبع قبل ابتداء الطواف ويقطع التلبية ويستغل بالأدعية وأن يقول قبل أن يُجاوز الحجر في ابتداء الطواف (بسم الله، الله أكبر، اللَّهُمَّ إيمانًا بك وتصديقًا لكتابك ووفاء لعهدك وإتيانًا لِسُنَّة نبيك سيدنا مُحَمَّد ﷺ) ويطوف فإذا جاوز الحجر يقول قبالة باب البيت (اللَّهُمَّ هذا البيت بيتك، وهذا الحرم حرملك، وهذا الأمن أمنك، وهذا مقام العائذ بك من النار) وعند مقام إبراهيم يقول (اللَّهُمَّ إِنَّ نبيك عظيم، ووجهك كريم، وأنت أرحم الراحمين، فأعذني من

النار ومن الشيطان الرجيم) وعند الميزاب يقول (اللَّهُمَّ أَظْلُنَا تَحْتَ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ، اللَّهُمَّ اسْقِنِي بِكَأْسِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ شَرْبَةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا) فإذا بلغ الركن الشامي قال (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا (عمره) مبرورًا وسعيًا مشكورًا وذنبًا مغفورًا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور) فإذا بلغ الركن اليماني قال (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود (اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ) فإذا بلغ الحجر الأسود قال (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي بِرَحْمَتِكَ، أَعُوذُ بِرَبِّ هَذَا الْحَجَرِ مِنَ الدَّيْنِ وَالْفَقْرِ وَضِيقِ الصَّدْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ).

- وعليه أن يرمي في ثلاثة أشواط الأولى، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتِي الطَّوَّافِ بَعْدَ الْإِثْتِهَاءِ، وَلَهُ أَنْ يَقْرَنَ بَيْنَ أَسْبَاحِ (أَيِ طَوَّافٍ سَبْعًا ثُمَّ سَبْعًا ثُمَّ سَبْعًا ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي النِّهَايَةِ).
- المَكْتُبُ فِي مَنَى يَوْمِ التَّرْوِيَةِ هُوَ مَبِيتٌ نَزَلَ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ نُسُكٌ.
- لَا يَقْطَعُ التَّلْبِيَةَ يَوْمَ عَرَفَةَ.

- الْمُزْدَلِفَةُ مِنَ الْحَرَمِ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَدْخُلَهَا مَاشِيًا وَبَعْدَ غُسْلِ وَيْتِ فِيهَا (وَالْمَبِيتُ فِي الْمُزْدَلِفَةِ مَبِيتٌ نُسُكٌ) وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بَعْدَ انْتِصَافِ اللَّيْلِ وَجَمْعِ (٤٩) حِصَاةً.

- وَادِي مُحَسَّرٍ يَقَعُ بَيْنَ مُزْدَلِفَةٍ وَمِنَى (وَفِيهِ حُسَيْرٌ فِيلُ أَبْرَهَةَ عَنْ دُخُولِ الْكَعْبَةِ).
- رَمَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ لِيَوْمِ النَّحْرِ ثُمَّ الذَّبْحِ ثُمَّ الْخَلْقِ ثُمَّ طَوَّافِ الْإِفَاضَةِ وَيَتْبَعُهُ سَعْيُ الْحَجِّ.

- أَوَّلُ لَيْلَةٍ فِي مَنَى تُسَمَّى لَيْلَةُ الْقَرِّ لِأَنَّ النَّاسَ فِي غَدٍ يَقْرُونَ وَلَا يَنْفِرُونَ وَهُوَ يَوْمُ الْعِيدِ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

- فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنَ الْعِيدِ بَعْدَ الزَّوَالِ يُسْتَحَبُّ الْغُسْلُ ثُمَّ رَمَى الثَّلَاثِ جَمْرَاتِ كُلِّ وَاحِدَةٍ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ (الْجَمِيعُ ٢١).

- ثَانِي لَيْلَةٍ فِي مَنَى تُسَمَّى (لَيْلَةُ النَّفَرِ الْأَوَّلِ) ثُمَّ إِذَا قَرَّ إِلَى مَكَّةَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَإِذَا مَكْتُ فِي مَنَى لِلْغُرُوبِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى لِرَبْمِي فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ (٢١ حِصَاةً) وَتُسَمَّى (لَيْلَةُ النَّفَرِ الثَّانِي)، وَهَذَا مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ فِي الْحَجِّ الَّتِي لَا تَهْتَدِي إِلَيْهَا الْعُقُولُ فَحَجَرٌ يَقْبَلُ وَحَجَرٌ يُرْمَى بِحَجَرٍ.

زِيَارَةُ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ

يقول الحبيب المصطفى ﷺ (مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا يَهْمُهُ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا، وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُتَ بِالْمَدِينَةِ فَلِمْتُ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

- الزَّائِرُ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّهُ يَزُورُ حَيًّا حَيَاةً خَاصَةً وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِحُضُورِكَ وَقِيَامِكَ، فَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ ﷺ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ تَصَلَّاهُ فَكَيْفَ بِمَنْ حَضَرَ (كَذَلِكَ زِيَارَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ أَحْيَاءٍ أَوْ أَمْوَاتًا لَهَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْفَضْلِ الْكَثِيرِ) وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَزُورَ شُهَدَاءَ أَحَدٍ وَالْبَقِيْعَ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي مَسْجِدِ قِبَاءٍ.

الآداب الدقيقة في الحج:

- (١) أن تكون النفقة حلالاً وتكون اليد خالية من تجارة تُشغل القلب.
- (٢) التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والعطاء.
- (٣) ترك الرفث والفُسوق والجدال.
- (٤) أن يحج ماشياً إن قدر (استطاع) على ذلك.
- (٥) أن لا يكثرث بالزينة وأسباب التفاخر.
- (٦) أن يتقرب بإراقة الدم وإن لم يكن واجباً عليه.

كتاب آداب تلاوة القرآن ص—٢٧٢

- لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.
 - هو حبل الله المتين الذي لا تنقضي عجائبه (من أوتي القرآن ورأى أحداً أوتي أفضل ممّا أوتي فقد استصغر ما عظمة الله).
 - أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن.
 - خيركم من تعلم القرآن وعلمه.
 - أهل القرآن أهل الله وخاصته.
 - إن الله لا يعذب قلباً هو وعاء للقرآن.
 - من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين.
 - يقول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه (رأيت ربي في المنام فقلت يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك ؟ قال بكلامي يا أحمد، قال قلت بفهم أو بغير فهم ؟ قال بفهم أو بغير فهم).
- دَم تلاوة الغافلين :

- رُب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه.
 - إنَّ العبد لَيَتْلُو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم مثل قوله تعالى "أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" (١٨) مود وهو ظالم لنفسه، وقوله تعالى "لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ" (٦١) آل عمران وهو منهم.
- آداب التلاوة :

- أن يتلو القرآن ويُرْتَل ترتيلاً وهو على وضوء، في هيئة الأدب والسكون، مُستقبلاً القبلة كمن يجلس لأستاذه أو في مجلس سيدنا رسول الله ﷺ، البكاء أو التباكى. وخاصة عند آيات العذاب.
- في مقدار التلاوة :

- من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفهمه، والمطلوب هو التدبر لآيات القرآن، والأفضل ما كان يفعله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ القرآن في أسبوع بداية من يوم السبت يقرأ (٣) ثلاث سور ثم يوم الأحد (٥) سور ثم يوم الاثنين (٧) سور ويوم الثلاثاء (٩) سور ويوم الأربعاء (١١) سورة ويوم

الحفيس (١٣) سورة ثُمَّ يوم الجمعة يقرأ باقي القرآن من بداية من سورة (ق) وهو المفصل، أي يختم القرآن يوم الجمعة ، وهكذا كان يفعل سيدنا رسول الله ﷺ.

- الجهر بالقراءة أفضل وأقله أن يسمع نفسه، فإن لم يسمع نفسه إن كان في صلاة فلا تصح صلاته.
- تحسين الصوت أثناء القراءة كما قال الحبيب المصطفى ﷺ (زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ) وقال عن أبو موسى الأشعري (لقد أوتي هذا من مزامير آل داود)، وأن يكثر من القراءة ليلاً.
الأعمال الباطنة في التلاوة تسعة وهي :-

التعظيم، حضور القلب، التدبر، التفهم، التخلي عن موانع الفهم، التخصيص، التأثر، الترقى، التبري.
(1) التعظيم : فهم عظمة الكلام وعلوه وهي صفة قديمة قائمة بذاته، ومن لطفه بخلقه نزل عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه، ولولا استتار كنهه جلالته لكلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسامع الكلام عرش ولا ثرى (وهو كما يتنازل البشر عن لغتهم لإفهام الدواب) ومع هذا رفيع الدرجة قاهر السلطان.

(2) حضور القلب وتعظيم المتكلم فلا يمسه إلا المطهرون شكلاً وموضوعاً ظاهراً وباطناً، وفي المقابل ترك حديث النفس كما قال الحق تعالى "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ" (١٢) مريم

(3) التدبر أي التفكير فيما وراء الكلمات من معاني ظاهرة أو خفية وهذا يلزمه القراءة بترتيل وتهمل، ولقد روي أن سيدنا رسول الله ﷺ قرأ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فرددها (٢٠) عشرين مرة لتدبره في معانيها.

(4) التفهم عند ذكر صفات الله وذكر أفعاله كقوله تعالى "الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ" (٢٣) الحشر وكذلك أفعاله في السموات والأرض، التفهم عند ذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وسيرتهم وعند ذكر أحوال المكذبين، ولا يكون المرید مُريدًا حتى يجد في القرآن كل ما يُريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد.

(٥) التخلي عن موانع الفهم وهي :

(أ) أن يكون مُقلداً لمذهب وجمد عليه.

(ب) أن يكون مُصرّاً على ذنب أو مُتصفاً بكبر أو مُبتلى بهوى، فالقلب مثل المرأة والشهوات مثل الصدا الذي يغطيها.

(ج) أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن السابقين.
(6) التخصيص : وهو أن يُقدر أنه المقصود بكل خطاب كما قال بعض العلماء (هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل فاجعلوها رسائل من حبيب).

(7) التأثر : وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة حسب اختلاف الآيات بين الحزن والخوف والرجاء، وقال حسن البصري رضي الله عنه (والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن مؤمن به إلا كثر حزنه وقَلَّ فرحه وكثر بكاهه وقَلَّ ضحكاه وكثر شغله) فلا يكون حاكياً لكلام الله فمثلاً يقول "رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" (٤) المتحنة ولم يكن حاله التوكل، أو يقول "وَلَتَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنَاكَ" (١٢) إبراهيم ولا يكون حاله

الصبر، وفي هذه الحالات يكون حظه من التلاوة حركة اللسان، فتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فاللسان يُرْتَل والعقل يُترجم والقلب يتعظ.
(٨) الترقى : أن يترقى وكأنه يسمعه من شيخه ثم من سيدنا رسول الله ﷺ ثم أنه يسمع الكلام من الله عز وجل.

ودرجات القراءة ثلاثة:-

- (أ) أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل.
- (ب) أن يشهد بقلبه كأن الله يراه ويُخاطبه بالطفاه. ويُناجيه بإنعامه وإحسانه فقامة الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم.
- (ج) أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلام الصفات كأنه مُستغرق بمُشاهدة المتكلم عن غيره وكما قال سيدي جعفر الصادق (لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يُصرون).
- (٩) التبري : أن يتبرأ من حوله وقوته فإذا شاهد نفسه بعين الرضا صار محبوباً بنفسه، فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يُشاهد إلا الله في قراءته كشف له سر الملكوت.
- في تفسير قوله ﷺ (مَنْ فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) أي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون اجتهاد، والصحيح مَنْ بادر على استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطة ودخل في زمرة مَنْ يُفسر بالرأي فلا بد أولاً أن يفهم ظاهر التفسير لأنه يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم والا كيف يفهم قوله ﷺ :

(١) إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنًا وَحَدًّا وَمُطْلَعًا.

(٢) اقرءوا القرآن واتمسوا غرائبه.

(٣) اللَّهُمَّ فَقهه في الدين وعلمه التأويل (لسيدنا عبد الله بن عباس).

وقوله تعالى سبحانه "لَعَلِمَةُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ" (٨٣) للنساء وقوله تعالى "وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا" (٢٦٩) البقرة، ويقول الإمام على رضي الله عنه (لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب) وقوله رضي الله عنه (في القرآن مُتَسَعًا لأرباب الفهم)، وقال (إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن)

فَمَنْ زَعَمَ أَنْ لَا مَعْنَى لِلْقُرْآنِ إِلَّا مَا تَرْجِمُهُ ظَاهِرُ التفسير فهو يحكي عن نفسه فقط.. فَمِنْ هَذِهِ الْوَجْهَةِ يَتَفَاوَتُ الْخَلْقُ فِي الْفَهْمِ بَعْدَ الْإِشْتِرَاكِ فِي مَعْرِفَةِ ظَاهِرِ التفسير فَظَاهِرُ التفسير لَا يُغْنِي عَنْهُ.

كتاب الأذكار والدعوات ص ٢٩٣

- ليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تُؤدَّى باللسان أفضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة لله.

- قال تعالى "فاذكروني أذكركم" (١٥٢) البقرة وقال ﷺ (ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله).
وقال ﷺ (من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله عز وجل) وقال ﷺ (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فضربوا أعناقهم ويضربون أعناقكم، قالوا وما ذاك يا رسول الله؟ قال ذكر الله عز وجل دائماً) وقال ﷺ (قال الله عز وجل من شغلته ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين).
فضل مجالس الذكر :

قال ﷺ (ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده) وفي حديث طويل يقول ﷺ في آخره (هم القوم لا يشقى جليسهم) والذكر هو ميراث سيدنا رسول الله ﷺ كما قال أبو هريرة رضي الله عنه.
- فضل التهليل (وهو قول لا إله إلا الله).

يقول الحبيب المصطفى ﷺ (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له) وقال ﷺ (ليس على أهل لا إله إلا الله وحشه في قبورهم ولا في نشورهم، كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور)
وقال ﷺ (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) وأن يساعد حاله مقاله، وفي تفسير قوله تعالى "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" (٦٠) الرحمن قال (إحسان الدنيا لا إله إلا الله، وإحسان الآخرة دخول الجنة).

فضل التسبيح والتحميد وبقية الأذكار

قال ﷺ (من سبّح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غُفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر) وقوله ﷺ لسائل (قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة) وقال ﷺ (الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله) وقال ﷺ (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأين بدأت) وقال ﷺ (عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فإنها مستنطقات) وقال ﷺ (لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)، والأذكار كثيرة وفي كل لحظة ذكر.

- حضور القلب مع الله تعالى على الدوام وهو ثمرة العبادات.
- والذكر يوجب الأُنس والمحبة لله، وعند الموت يفارقه الأهل والمال والولد ولا يبقى معه إلا ذكر الله عز وجل.

- ويجب الحرص والمثابرة فإن القلب وإن لزم الذكر فهو مُتقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا.
- والشهيد قال بلسان الحال (لا إله إلا الله) إذ لا مقصود له سواه، فمن قال لا إله إلا الله مُخلصاً (ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال) دخل الجنة، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل لا إله إلا الله

حالاً ومقلاً ظاهرًا وباطنًا حتى تودع الدنيا غير ملتفتين إليها مُحيين للقاء الله فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهَ لِقَاءَهُ.

آداب الدعاء

- (١) أن يترصد الأوقات الشريفة كيوم عرفة ويوم الجمعة.
- (٢) أن يهتم الأحوال الشرعية كنزول الغيث وإقامة الصلوات بين الأذان والإقامة وحالة السجود.
- (٣) أن يدعو وهو مستقبل القبلة إن أمكن ويرفع يديه ثُمَّ يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء.
- (٤) خفض الصوت بحيث يكون بين المخافتة والجهر في الدعاء
- (٥) لا يتكلف السجع في الدعاء بل يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه، قال ﷺ (سيكون قوم يعتدون في الدعاء) وقال عَزَّ وَجَلَّ "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً" (٥٥) الأعراف وقال ﷺ (لِيَاكُمُ السَّجْعُ فِي الدَّعَاءِ، حَسْبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ) وَيُقَالُ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَالْأَبْدَالَ لَا يَزِيدُونَ فِي الدَّعَاءِ عَلَى سَبْعِ كَلِمَاتٍ فَمَا دُونَهَا وَيَشْهَدُ لَهُ آخِرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.
- (٦) التضرع والخشوع والرغبة والرهبة.
- (٧) أن يُجْزَمَ الدعاء ويُوقَفَ بالإجابة ويصدق رجاءه فيه، وقال ﷺ (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ الدَّعَاءَ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ).
- (٨) أن يُلْحَقَ في الدعاء ويكرره ثلاثًا.
- (٩) أن يفتح الدعاء بذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ويصلي على سيدنا رسول الله ﷺ ثُمَّ يسأل حاجته ثُمَّ يختم الدعاء بالصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ.
- (١٠) الأدب الباطن وهو التوبة ورد المظالم والإقبال على الله بالذل والافتقار.

فضيلة الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ وفضله

قال تعالى "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" (٥٦) الأحزاب .
 وقال ﷺ (لَنْ أُولَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَى صَلَاةٍ) وقال ﷺ (أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ).
 وقال ﷺ (لَنْ فِي الْمَلَائِكَةِ سَيَّاحِينَ يُبْلِغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ).
 - يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بأي أنت وأمي يا رسول الله جعل طاعتك طاعته، عفا عنك قبل أن يُخبرك بالذنب، بعثك آخر الأنبياء وذكرك أولهم لقوله تعالى "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ.....(الآية)" (٧٧) الأحزاب (وبقية خصائصه ومعجزاته ﷺ) بأي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤًا لك ما جالسنا، ولو لم تنكح إلا كفؤًا لك ما نكحت إينا، ولو لم تواكل إلا كفؤًا لك ما أكلتنا.....الخ).

فضيلة الاستغفار

قال الله عَزَّ وَجَلَّ "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ" (١٣٥) آل عمران وقوله تعالى "وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ" (١٧) آل عمران وقال ﷺ (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبَشَرُوا

وإذا أساءوا استغفروا) وقالت رابعة العدوية رضي الله عنها (استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير سبحانه اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أستغفرك وأتوب إليك وأتبرأ من كل شيء لا يرضيك).

- لا يقولن أحدكم (أستغفر الله وأتوب إليه) فيكون ذنباً وكذباً إن لم يفعل.
- اللهم إنَّ استغفاري مع إصراري لؤم وإنَّ تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك عجز.
أدعية مأثورة : وهي كثيرة منها :-

- يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكن لي إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله.
- نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونعوذ بك جوامع الشر وفوائده وخواتمه.
- اللهم ألهمني رشدِي وقني شر نفسي.

- إذا رأيت من ينشد ضالته في المسجد فقل (لا ردها الله عليك).
- اللهم أكفني بجلالك عن حرامك واغني بفضلك عمن سواك.
- اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني في أحب الأعمال إليك.
دعاء السيدة عائشة رضي الله عنها :-

قال سيدنا رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها (عليك بالجوامع الكوامل، قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك به عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأستعيذك بممّا استعاذك به عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً برحمتك يا أرحم الراحمين).

آداب النوم ص—٣٤٣

إذا روعيت آداب النوم احتسب النوم عباده وهي عشرة :-

(١) الطهارة والسواك : إذا نام العبد على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصلية حتى يستيقظ، وكان سيدنا رسول الله ﷺ يستاك كلما استيقظ من نومه.

(٢) ينوي القيام للعبادة عند التيقظ وإذا تيقظ توضأ واستاك وصلى أو جلس للفكرة في آلاء الله تعالى (وذلك يقوم مقام قيام الليل).

(٣) الوصية قبل أن ينام لمن عليه وصية وتكون مكتوبة عند رأسه.

(٤) أن ينام تائباً من كل ذنب.

(٥) لا يتنعم بتمهيد الفراش.

(٦) لا ينام ما لم يغلبه النوم فقد كان نوم الصالحين غلبه.

- (٧) ينام مستقبلاً القبلة، والاستقبال على ضرين، أحدهما هو استقبال المحتضر وهو مُستلقي على قفاه فاستقباله يكون بوجهه وأخصاه إلى القبلة (أي لو قام على رجلين يكون في جهة القبلة)، والثاني هو استقبال اللحد وهو أن ينام على جنبه الأيمن ويكون وجهه ناحية القبلة واضعاً خده على يده اليمنى.
- (٨) الدعاء عند النوم بالدعوات الماثورة وقراءة آيات من القرآن مثل آية الكرسي وقوله تعالى "وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" (١٦٣) البقرة وآيات من آخر سورة الكهف وهي من قوله تعالى "لِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا" (١٠٧) الكهف إلى آخر السورة ليستيقظ لقيام الليل.
- (٩) أن يتذكر أنَّ النوم هو نوع من الوفاة وأنَّ الاستيقاظ هو نوع من البعث.
- (١٠) الدعاء عند التنبيه بالليل، وقيام الليل أفضله أول النصف الثاني من الليل وهذا غير وقت السحر وهو السدس الأخير من الليل.

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال ص ٣٤٨

اعلم أنَّ قاصد الآخرة لا يخلو من ستة أحوال وهي : عابد، عالم، متعلم، حاكم، ذو حرفة، مستغرق في الأودية.

(١) عابد : أي مُتجرد للعبادة في أكثر أوقاته (صلاة أو ذكر أو قرآن أو تسبيح أو طواف حول الكعبة) بعض أو كل ذلك، فمثلاً منهم من كان ورده ثلاثمائة ركعة في اليوم ومنهم من كان يختم القرآن كل يوم مرة أو مرتين ومنهم من كان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً، ومنهم من يسبح باستمرار بقول (سبحان الله العليّ التّيان، سبحان الله الشديد الأركان، سبحان الله من يذهب بالليل ويأتي بالنهار، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن، سبحان الله الحنان المنان، سبحان الله المسبح في كل مكان).

(٢) عالم : وهو الذي ينفع الناس بعلمه، والمقصود العلم المُقدّم على العبادة وهو العلم الذي يُرغب الناس في الآخرة ويذهبهم في الدنيا، وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يُقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً للمطالعة (وهو الأول) وثلثاً للصلاة (وهو الوسط) وثلثاً للنوم (وهو الأخير).

(٣) المُتعلّم : وهو الذي يشتغل بالتعلم وهو عنده أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل ويقصد رحمة الله وحكمه هو حكم العالم في ترتيب الأوراد، وكما قالوا (كُن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالث فتهلك).

(٤) المحترف : وهو الذي يحتاج إلى الكسب لعياله (كالطبيب والمهندس) ويتصدق بما يزيد، فهو أفضل من سائر الأوراد لأنَّ العبادات المتعدية فائدتها للغير تُفَع من اللازمة والصدقة، والكسب على هذه النية عبادة.

(٥) الحاكم والوالي والقاضي : وهو الذي يشتغل بحقوق الناس على وفق الشرع كما كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعله إذ قال (مالي والنوم، فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين، ولو نمت بالليل ضيعت نفسي).

(٦) الموحد : هو المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهمومه هم واحد فلا يُحِب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله تعالى فيه، فهذا ورده بعد المكتوبات هو حضور القلب مع الله تعالى وهذا هو منتهى درجات الصديقين.

فكما قال الله تعالى "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيحُكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا" (٨٤) الإسراء فكل مؤمن على خُلق سالك الطريق إلى الله، فالناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب، وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل.

فضيلة قيام الليل ص—٣٥٣

قوله تعالى "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ" (١٦) السجدة وقوله تعالى "وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا" (٦٤) الفرقان (والآيات كثيرة)، وقوله ﷺ (ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها، ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم) وقال ﷺ (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم) وقوله ﷺ (من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته وصليا ركعتين كتبنا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات).

بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل :

- (١) أن لا يكثر الأكل والشرب فيغلبه النوم.
- (٢) لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعياها الجوارح فإن ذلك يجلب النوم.
- (٣) أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنة للاستعانة بها على قيام الليل.
- (٤) أن يحتقر الأوزار بالنهار، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل.

بيان الليالي والأيام الفاضلة :

- الليالي الفاضلة خمس عشرة ليلة يتأكد استحباب إحيائها وهي في شهر رمضان ستة ليالي (ليلة سبع عشر من رمضان والخمس الليالي الوتر من العشر الأخير [ليلة القدر]).

- أول ليلة من المحرم.

- ليلة عاشوراء.

- أول ليلة من شهر رجب، وليلة النصف منه وليلة ٢٧ منه وهي ليلة الإسراء والمعراج وفيها صلاة مأثورة وهي أن يصلي العبد ١٢ ركعة ثم يسبح الله ويحمده ويوحده (١٠٠) مائة مرة ثم يستغفر (١٠٠) مائة مرة ثم يصلي على سيدنا النبي ﷺ (١٠٠) مائة مرة ثم يدعو بما شاء (إلا أن يكون معصية) ويصبح صائماً..

- ليلة النصف من شعبان وإحيائها بمائة (١٠٠) ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة بسورة الإخلاص (١٠) عشر مرات.

- ليلة عرفة.

- ليلتا العيدين.

والأيام الفاضلة فتسعة عشر وهي :-

- يوم عرفة، يوم عاشوراء، يوم ٢٧ من شهر رجب، يوم ١٧ من شهر رمضان، يوم النصف من شعبان، يوم الجمعة، يوما العيدين، الأيام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة، الأيام المعدودات وهي أيام التشريق.

ومن فواضل الأيام في الأسبوع يومي الاثنين والخميس وفيهما ترفع الأعمال إلى الله تعالى.

مختصر الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين ربع العادات

آداب الأكل ص ٢

الأكل من الدين وكما قال ﷺ (لأنَّ الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى فيه امرأته). وللأكل آداب قبل وأثناء وبعد الأكل وهي :-

آداب قبل الأكل :- أن يكون الطعام من الحلال الطيب، ومن السنة غسل اليدين قبل الأكل، ولا مانع من استخدام السفرة لتسهيل الأكل بدون رياء، وأن تكون جلسة الطعام جلسة حسنة (أي لا يأكل متكئاً أو نائماً)، وأن يقصد بأكله القدرة على الطاعة، ولا يأكل إلا عن جوع ويرفع قبل الشبع، والرضا بالموجود من الطعام، وأن يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله.

آداب حال الأكل : أن يبدأ بقوله (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وينهي الأكل بقوله (الحمد لله رب العالمين)، ويأكل بيده اليمنى، ويصغر اللقمة ما أمكن ويمضغها، ويأكل ممّا يليه (إلا الفاكهة)، ولا يستعمل السكين إلا لضرورة، ويأكل من التمر وتراً، ويشرب ممّاً وعلى دفعات ويحمد الله.

آداب بعد الطعام : يمسك قبل الشبع، يلحق أصابعه أو الشوكة أو المعلقة والإناء إن كان في بيته، ويلتقط فتات الأكل، ويقول بعد الانتهاء إذا كان ضيفاً (أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة الأخيار، وذكركم الله فيمن عنده) ويرد صاحب البيت (اللهم ارحم آكليهِ وبارك في باقيهِ)، ومن السنة غسل اليدين بعد الأكل.

آداب أكل الجماعة :

يُقدم الأكبر سنّاً أو مقاماً، وأن يستمر الحديث أثناء الأكل، يرفق بمن معه، ولا يراقب الآكلين، ولا يفعل ما يستقذره غيره، وقال بعضهم (لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحبّ إلىّ من أن أعتق رقبة)، ومن السنة إكرام الزائر وترك التكلف أو الترقب للطعام، ولا يحق للزائر أن يحكم بشيء مُعين من الطعام، وله أن يدعو الأتقياء إلى طعامه ولا يميز الغني بالإجابة أو الدعوة دون الفقير، ولا يميز القريب عن البعيد، وإذا كان المدعو للطعام صائماً نفلأً فليفطر عند الداعي دون أن يذكر له أنّه صائم ولا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن، وأن لا يجلس في صدر المجلس، ومن آداب الإطعام التعجيل وترتيب الأطعمة وأن يقدم الأفضل، والأكل في السوق دناءة إلا لضرورة.

آداب النكاح ص ٢١

رَغِبَ الدين في النكاح، والنكاح يُعين على الدين ومُهِين للشيطان، وسبب التكاثر الذي به مُباهاة سيد المرسلين ﷺ لسائر النبيين، ولا يتم التُّسْكُ إلا بفراغ القلب ولا يفرغ القلب إلا بالنكاح وكما قال الحبيب المصطفى ﷺ (مَنْ استطاع مِنْكم البَاءة فليتزوج) حتى لا تلقى الله عَزَّ وَجَلَّ عزباً، وسيدي أحمد بن حنبل رضي الله عنه تزوج في اليوم الثاني لوفاة أم ولده عبد الله وقال (أُكره أن أبيت عزباً)، ولكن يأتي على الناس زمان (نحن فيه الآن) يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده ويعيرونه بالفقر ويكفونه ما لا يطيق.

وللنكاح فوائد كثيرة أولها الوصول للولد الذي يتبعه منافع كثيرة منها محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، وإذا مات صغيراً شَفَعَ لوالديه وإن عاش دعا لهما بالخير (ولد صالح يدعو له)، ومنها أنَّهُ لم يُعْطَل جهاز خلقه الله فيه ولم يترك البذرة حتى تفسد (فكل ممتنع عن الزواج مُعرض عن الحرث مُضيع للبذر مُعطل لما خلق الله)، ومنها التحصن من الشيطان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج، ومنها إدراك إحدى مُتَع الآخرة بمتعة ليس لها توصيف يذكر، ومنها ترويح النفس بعض الوقت لقوله تعالى "لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا" (١٨٩) لأعراف.

فللعقل في وقته ثلاث ساعات يُناجي فيها ربه وساعة يُحاسب فيها نفسه وساعة يَروح فيها عن نفسه بالمطعم والمشرب والنكاح، ومنها تفرغ القلب عن تدبير المنزل وتهيئة أسباب المعيشة، ومنها مُجاهدة النفس في السعي للرزق الحلال وتحميل الزوجة هم عيالها، ومع كل ذلك يبقى الزواج سُنة فَمَنْ شُغل بالفرض فذاك أفضل والأفضل منه الجمع بينهما.

وعند الجماع عليه أن يتجمل لزوجته ويكون على طهارة ما أمكن ويداعب زوجته ويُسمى الله ويقرأ الصمدية ويكبر ويهلل ويقول (اللَّهُمَّ جنبني الشيطان وَجَنبِ الشيطان ما رزقتنا، وبعد الجماع يُسرِع إلى الطهارة فلا ينبغي له أن يحلق أو يقص أظافره ولا يُبين من نفسه شيئاً وهو جُنُب وإذا لم يستطع أن يغتسل من ليله فعليه بالوضوء (وهو وضوء لا تصح به الصلاة)، وينبغي أن يأتي زوجته في كل أربع ليالي مرة واحدة على الأعدل.

وعند الولادة له أن يفرح بالذكر فرحته بالأنثى ويؤذن في الأذن اليمنى ويقم الصلاة في الأذن اليسرى، وفي اليوم السابع يحلق شعر المولود ويتصدق بوزنه فضة ويعق عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة واحدة، وأن يحنكه بتمر أو حلاوة.

حقوق الزوج على زوجته:

عليها طاعة الزوج في كل ما طلب منها في نفسها ممَّا لا معصية فيه، وقال ﷺ (أَيُّمَا امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة) وقال ﷺ (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها).

وإذا حان الطلاق فليكن طليقة واحدة على طهر لم يُجامعها فيه، وأن تأخذ حقوقها كاملة، وليعلم أنه مُباح ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى.

كتاب آداب الكسب والمعاش ص ٦٠

ليعلم العبد أنَّ الدنيا مزرعة الآخرة، والناس في هذا على ثلاثة أحوال :-

- رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الخاسرين.
 - رجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين.
 - رجل شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين.
- والتجارة من أبواب الرزق فليُنصح للمسلمين ويحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وعند البيع يذكر عيوب بضاعته ولا يغش ولا يحتكر، والتاجر الصدوق يُحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء، وإنَّ الله يحب المؤمن المحترف (أي الذي له حرفة) فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، وقال ﷺ (أجملوا في الطلب) ولم يقل (اتركوا الطلب)، والكافر تجوز معاملته (واستثنوا السلاح والمصحف).
- الشيء المبيع يلزم أن يكون معلوم العين والقدر والوصف.
 - حَرَّمَ الله الربا في المتعاملين بالنقد وللمتعاملين بالأطعمة وكرهوا بيع الطعام وبيع الأكفان لأنه يجعل البائع يمتنى الغلاء ويمتنى موت الناس.
 - ولا يصح أن يقول في سلعته ما ليس فيها، ولا يقسم بالله وإن كان مُحققاً لقوله تعالى "وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ" (٢٢٤) البقرة، ويُحَرِّم الغش بجميع أشكاله وكذلك يُحرم التطفيف في الكيل والقول والفعل، وأن يصدق في السعر ويتجنب الغبن في التجارة وإن رضي المشتري.
 - والتاجر لا ينبغي أن يُشغله معاشه عن معاده (أي يُشغله سوق الدنيا عن سوق الآخرة) ويتقي الشبهات، وقالوا (مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا طَاشَ، وَمَنْ أَحَبَّ الآخِرَةَ عَاشَ، وَالْأَحْمَقُ يَغْدُو وَيَرُوحُ فِي لَاشَ، وَالْعَاقِلُ عَنْ عِيُوبِ نَفْسِهِ فَتَّاشَ).

كتاب الحلال والحرام ص ٨٨

أصناف الحرام :-

- (١) حرام لعينه كالخمر ولحم الخنزير والميتة.
 - (٢) حرام لأسلوب أخذه مثل القهر والغصب والخطف والسرقة.
 - (٣) حرام في أسلوب استعماله كالذبح بطريقة غير شرعية.
 - (٤) حرام أخذ مال بدون تقديم مُقابلته من العمل.
- والحرام كله خبيث، والورع عن الحرام على أربعة درجات :-

- 1) ورع الغدول: (وهو الورع عن كل ما تحرمه الفتوى) ومن يفعله يُنسب إلى الفسق.
- 2) ورع الصالحين: وهو الامتناع عما يتطرق إليه التحريم وكل شبهة لا تُوجب اجتنابها ولكن يُستحب اجتنابها، وهو قول (دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك).
- 3) ورع المتقين: وهو اجتناب مع كونه لا تُحرمه الفتوى ولا توجد شبهة في حله ولكن يخاف أن يؤدي إلى محرم، ويشهد له قوله ﷺ (لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس) ومن ذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يُحبها فطلقها خيفة (مخافة) أن تُشير عليه بشفاعته في باطل.
- 4) ورع الصديقين: هؤلاء المتفردون لله يتورعون من أكل الحلال الطيب إلا لله أو بغير نية سابقة، وهؤلاء يرون أن كل ما ليس لله حراماً امتثالاً لقوله تعالى "قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ" (٩١) الأنعام وهذه هي الغاية القصوى من الورع.

الحل في المصارف

- ما اكتسب من حل لا بد أن يُصرف في حل.
- للزراع والغراس أجر في كل ما يُصيبه الناس والطيور من ثمار زرعهم.
- ما الفرق بين الرشوة والهدية مع أن كلًّا منها يصدر عن رضا ولا يخلو عن غرض؟ إذا كان الغرض هو الثواب الآجل فتلك هدية، وإذا كان الغرض هو الثواب العاجل فتلك رشوة (وهذا الحكم من هذا النوع).

الأخوة في الله ص—١٥٧

- التَّحَابُّ فِي اللَّهِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ، وَهِيَ ثَمَرَةُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ وَأَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ.
- حُسْنُ الْخُلُقِ هِيَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ.
- الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.
- الصُّحْبَةُ رِمَا تَنْشَأُ بَدُونِ اخْتِيَارٍ كَالْجَوَارِ أَوْ الْاجْتِمَاعُ فِي الْمَكْتَبِ أَوْ الْمَدْرَسَةِ أَوْ السُّوقِ، وَالنَّوْعُ الثَّانِي هُوَ الَّذِي يَنْشَأُ اخْتِيَارِيًّا وَعَلَيْهِ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ وَلَهُ أَسْبَابٌ وَهِيَ :-
- ١) أَنْ تُحِبَّ إِنْسَانًا لِنَاتِهِ، وَهُوَ الْحُبُّ الْمُجَرَّدُ عَنِ السَّبَبِ كَمَا قَالَ الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى ﷺ (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)
- ٢) حُبُّكَ لَشَخْصٍ لَتَنَالَ بِهِ رِضَا اللَّهِ كَمَنْ أَحَبَّ أَسْتَازَهُ أَوْ شَيْخَهُ، وَحُبُّكَ لَشَخْصٍ مَتَوَلَّى إِيْصَالَ الصَّدَقَةِ إِلَى الْمُسْتَخْتِقِينَ، وَحُبُّكَ لَشَخْصٍ يَحْمِلُ عَنْكَ الْأَعْمَالَ الَّتِي تَشْغَلُكَ عَنِ اللَّهِ وَهَذَا هُوَ الْحُبُّ فِي

الله، أمّا البُغض في الله وهو أن تُحب عبد لإسلامه ولكن تبغض عمله لأنّه في معصية قولاً أو فعلاً، والبُغض درجات حسب درجة المعصية.
شروط الصُحبة :-

- اصحب مَنْ إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قصدته في مؤنة مانك.
 - اصحب مَنْ إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدّها.
 - اصحب مَنْ إذا سأله أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك.
 - اصحب مَنْ إذا قلت صدّقك، وإن حاولت أمراً أمرك، وإن تنازعتما آثرك.
 - ولا تُصاحب الكذّاب والبخيل والفاسق والأحمق والجبان وسيئ الخلق والحريص على الدنيا.
- حقوق الصُحبة في الله :

- عقد الأخوة رابطة بين أخوين، وقال ﷺ (مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ مِثْلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)، فلا أخيك حق في مالك وعليك أن تُعطيه قبل أن يسأل، وله حق في نفسك بالإعانة، وله حق في لسانك إن نطق أو سكت، وإياك أن تتجسس أو تتحسس عليه (والتجسس بالسمع والتحسس بالمراقبة)، ولا تغتاب أحداً عنده، ولا تجرب عليه كذباً، ولا تعصي له أمراً، ولا يطلعن منك على خيانة، وأن تغفو عن زلاته، وقال ذو النون (لا تحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة).
- خذ بيد أخيك إذا عثر، واقبل عُذره إذا اعتذر، وقالوا (أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيبك يوماً ما، وأبغض بغيبك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما).
- أن تدعو له حياً وميتاً، ولا تكلفه ما يشق عليه.

حق المسلم على المسلم :-

- تُسلم عليه إذا لقيته ، تُجيبه إذا دعاك ، تُشمتّه إذا عطس ، تُعوّده إذا مرض ، تشهد جنازته ، وإذا مات تزور قبره ، تبر قسمه إذا أقسم عليك وتنصحه إذا طلب منك النصيحة ، تصون عرضه.
- حق الجوار : الذي له حق واحد وهو حق الجوار، والمسلم له حقان حق الجوار وحق الإسلام، والمسلم ذو الرحم له ثلاثة حقوق، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها (خلال المكارم عشرة، صدق الحديث، صدق الناس، إعطاء السائل، المكافأة، صلة الرحم، حفظ الأمانة، التذم للجار والصاحب، قري الضيف، ورأسهن الحياء).
- لا تحدثوا الناس بزلة العالم فإنّ العالم يزل الزلة ثم يتركها.
- حقوق الوالدين : أخص الأرحام الوالدين، وير الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصيام والحج والهجرة والجهاد في سبيل الله.
- فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَلَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا لَوَالِدَيْهِ فَيَكُونُ لَوَالِدَيْهِ أَجْرُهَا وَيَكُونُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهَا شَيْئًا.

كتاب آداب العزلة ص ٢٢١

العزلة لها أهلها واختلاط لهُ أهلها، والحكمة عشرة أجزاء (تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس).

فوائد العزلة :-

- (١) التفرغ للعبادة والأنس بالله.
- (٢) التخلص من معاصي المخالطة مثل الغيبة ومسارقة الطبع من جليس السوء.
- (٣) الخلاص من الفتن والخصومات التي يتسبب فيها الأهل.
- (٤) الخلاص من شر الناس.
- (٥) يقطع طمع الناس عنك ويقطع طمعك في الناس.
- (٦) الخلاص من الثقلاء والحمقى.

آفات العزلة :

- (١) انقطاع بعض وسائل التعليم.
- (٢) انقطاع النفع والانتفاع.
- (٣) الحرمان من فوائد الاختلاط مثل التعليم والتميز على التواضع واكتساب الخبرات.

آداب السفر ص ٢٤٤

- سفر الظاهر بالبدن، وسفر الباطن بالقلب.

مقاصد السفر : الانتقال إلى أماكن مكرمة، زيارة الأولياء أحياء وأمواتاً للعبرة، السفر لطلب العلم، زيارة قبور الأنبياء وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل ما يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته في مماته

- وفي الباطن السفر من كل ما يُشوش الدين ليفرغ القلب لله.

آداب المسافر : يبدأ برد المظالم، وقضاء الديون، وإعداد النفقة والرفيق، صلاة أربع ركعات قبل السفر، وإن كانوا ثلاثة يؤمّر أحدهم، الدعاء قبل وأثناء السفر وعند الوصول.

كتاب آداب السماع والوجد ص ٢٦٨

القلوب والسرائر هي خزائن الأسرار ومعادن الجواهر، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع ولا تنفذ إلى القلوب إلا من دهاeliz الأسماع، ويثمر السماع حالة في القلب تُسمى الوجد، والسماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يُحرك ما هو فيه.

السماع الممدوح مثل غناء الحجيج، الشعر الذي يحكي الاحترام والكرم، ما يعتاده الغزاة والعمال للتشجيع على العمل، السماع في أوقات السرور وتهيجاً له وسماع حب الله.

السماع المذموم مثل النياحة (النواح) وأشعار الغزل الصريح.

الوجد عبارة عن حالة يثمرها السماع، وهو وارد حق عقيب السماع يجده المستمع من نفسه، وهذه الحالة ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات أو تغيرات وأحوال ليست من العلوم كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض، وهذه الأحوال يُهيجها السماع ويقويها، وقد لا يظهر الوجد لقوة صاحبه أو ضعف الوجد.

أمّا التواجد وهو افتعال الوجد فمذموم الذي يُقصد به الرياء، أمّا من يتكلف اجتلابها سعيًا لإدراكها فهو محمود لأنه يُساعد على استدعاء الأحوال الشريفة.

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٣٠٦

قال ﷺ (كلام ابن آدم كله عليه إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكرًا لله).

شروط المحتسب : وهو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أن يكون مُكَلَّفًا بالغًا، مؤمنًا، عدلاً، يأمر ويدعو إلى ما هو فيه، قوي العزيمة، يقبل أن يؤمر وينهى فيما هو فيه ضعيف العزيمة حتى يجوز للابس الحرير أن ينصح شارب الخمر.

ما يجب فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أن يكون المنكر موجود في الحال وظاهر بغير تجسس أو تحسس ومعلوم أنه مُنكر بغير اجتهد.

والاحتساب يمر بمراحل : أولاً التعريف بأنه مُنكر ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم التعنيف ثم التغيير باليد بقوة الحاكم، ومع هذا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بالكلام لأهل الوعظ، وبالسلوك وفعل الخير لأهل التقوى والورع، وباليد لأهل السلطة والحكام.

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة ص—٣٥٧

وكما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أخلاق سيدنا رسول الله ﷺ (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ) ثُمَّ مِنْهُ أَشْرَقَ النُّورُ عَلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ (بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ).

مختصر الجزء الثالث من كتاب إحياء علوم الدين ربع المهلكات

كتاب عجائب القلب

القلب هو العالم بالله وهو المتقرب إليه وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات تابعة له، وهو المُطالب بالمعرفة، وهو المخاطب، وهو الذي يسعد بالقرب ويشقى بالبعد، وكل إناء ينضح بما فيه.

معنى النفس، الروح والقلب والعقل

كلمة القلب : تُطلق على معنيين الأول هو عضلة القلب المادية المسؤولة عن ضخ الدم إلى جميع خلايا الجسم، وثانياً تُطلق على اللطيفة الربانية الروحانية التي لها بهذا القلب الجسماني تعلق.

كلمة الروح : هي جسم لطيف يبدأ من القلب وينتشر إلى كل خلية من خلايا الجسم من خلال الدورة الدموية مثل السراج، ووجود الروح يعني الحياة وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهي إحدى معاني القلب، وهي التي قال عنها الحق "قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي" (٨٥) الإسراء.

كلمة النفس : يُراد بها قوة الغضب والشهوة في الإنسان، أو هي الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان كما قال الحبيب المصطفى ﷺ (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) وبالمجاهدة ترتقي من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة ثم الملهمة ثم المطمئنة ثم الراضية ثم المرضية ثم النفس العبدية وهو أعلى درجاتها، وتطلق كلمة النفس على الإنسان وذاته.

كلمة العقل : وهو الجزء المادي المخزون في الدماغ، وهو مخزن العلوم المادية، وهو محل الإدراك، وفي ناصية الدماغ مركز الوجدانيات.

بيان جنود القلب

للقلب جنود كثيرة "وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ" (٣١) البقرة أهمها جنود ترى بالبصر مثل اليد والرجل والعين واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة، وجميعها خادمة ومسخرة للقلب.

والنوع الثاني هو جنود ترى بالبصائر وأهمها الشهوة والغضب وهي التي تحرك العقل للتدبير واستنباط الحيل وتحريك الجوارح للتنفيذ.

وجملة جنود القلب ثلاثة :

- (١) الإرادة : وهي الباعث لقلب نفع أو دفع ضرر.
- (٢) القدرة : وهي المسخرة للأعضاء للعمل والتنفيذ.
- (٣) العلم والإدراك للأحداث حاضرها ومستقبلها وهو ما اختص به الإنسان.

أوصاف القلب وأمثله

اجتمع في الإنسان أربعة أوصاف وهي :-

(١) صفات سبعة : وهي موجودة في الكلب.

(٢) صفات بهيمية : وهي موجودة في الخنزير.

(٣) صفات شيطانية : وهي موجودة في الشيطان.

(٤) صفات ربانية : وهي مُستمدة من الربوبية.

والمطلوب هو قهر جميع هذه الصفات تحت سياسة صفة الربوبية.

- الصفة الأولى وهي الصفات السبعة وأصلها الغضب الذي يدفع إلى التهور والنذالة والبذخ والصلف والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف بالغير وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها، وإذا حُكمت هذه الصفة وتمَّ قهرها وردّها إلى حد الاعتدال ظهرت الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتفال والعفو والثبات والثبل والشهامة والوقار وغيرها.

- والصفة الثانية وهي الصفة البهيمية ويمثلها الخنزير وأصلها الشهوة وتصدُر منها صفة الوقاحة والخُبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها، وإذا حُكمت هذه الصفة وتمَّ قهرها وردّها إلى حد الاعتدال صدر منها العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانتبساط وحُسن الهيئة والحياء والضُرف والمُساعدة وأمثالها.

- الصفة الثالثة وهي الصفات الشيطانية وتعمل لتحقيق صفات الشهوة والغضب وهي صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجرأة والتلبيس والتخريب والغش والخُبث والحنا وأمثالها. ولو عكس الأمر وقُهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب العلم والحكمة واليقين والبصيرة وكُل الصفات المحمودة السابق ذكرها، وطاعة الله مخالفة الشهوات مصقلة للقلب.

مثال القلب كالمراة

اعلم أنَّ محل العلم هو القلب، والقلب كالمراة تتجلى فيه العلوم، والقلوب لا تتكشف فيها الصورة الحقيقية لأسباب خمسة هي :-

(١) نقصان في ذات القلب كما هو الحال في الصبي الذي لم يدرك.

(٢) قلب كدته المعاصي والشهوات وغُطى بالران (وهذه تزال بالمجاهدة).

(٣) أن يكون القلب معدولاً عن الجهة الحقيقية المطلوبة إلى غيرها، فربما يكون القلب مستوعب الهَمِّ في الطاعات بهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف الفكر إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه.

(٤) كل ذلك موجود ولكن لوجود حجاب بمعتقدات تقليدية سابقة، وهذا أيضًا حجاب عظيم حجب به كثير من الصالحين.

٥) الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب فإن العلوم المطلوبة ليست فطرية بل إن كل علم لا يحصل إلا من علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان فيحصل منها علم ثالث وهذا هو الاعتبار (أي العبور من علوم سابقة على علم آخر).

هذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور، وحقائق الأمور هي جملة عالم الملك والمملوكات والتي تُسمى حضرة الربوبية فكلُّ يتجلى له منها على قدر إيمانه، ومراتب الإيمان ثلاثة :-

(١) إيمان العوام : وهو إيمان تقليدي محض.

(٢) إيمان المتكلمين : وهو إيمان ممزوج بالاستدلال والبراهين.

(٣) إيمان العارفين : وهو إيمان المشاهدة بنور اليقين، وهذه المشاهدة تختلف حسب حال القلب ودرجته.

القلوب وما تحويه من علوم

العلوم التي تحل بالقلب تنقسم إلى قسمين :-

(١) علوم عقلية : وهي نوعين ضرورية مطبوعة في القلب، وعلوم مكتسبة بالتعلم وهي كذلك تنقسم إلى نوعين علوم مكتسبة دنيوية كالطب والهندسة وعلوم مكتسبة أخروية عن طريق التعلم من الأنبياء والرسل.

(٢) علوم شرعية : وهي العلوم المأخوذة من الأنبياء وهي المنوط بها علاج أمراض القلب.

أكتساب العلوم :

أكتساب العلوم له طرق وهي :-

(١) الدراسة والبحث : وهو عمل العلماء الدارسين.

(٢) تصفية القلب بالذكر لاستقبال العلم اللدني، ويساعد على ذلك الخلوة وغض البصر وتطهير القلب والانتفاع عن علائق الدنيا بالكليّة وتفريغ القلب منها وقطع الهمة عن الأهل والمال والولد وعن العلم والولاية والجاه وتسمى إلهاماً لقوله تعالى "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا" (٦٩) العنكبوت.

(٣) الرؤيا الصادقة والتي ينكشف بها الغيب، وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضاً في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات، فكم من مُستيقظ غائب لا يسمع ولا يُبصر لاشتغاله بنفسه.

فالقلب له بابان باب للخارج وهو باب الحواس، وباب للداخل إلى المملوكات وهو باب الإلهام والوحي ويُسمى البصيرة كما قال الحق "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" (١١) النجم وقوله تعالى "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" (٤٦) الحج وقوله تعالى "وَكُنْزِكَ نُرِّي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" (٧٥) الأنعام وما أراد الرؤيا الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بسيدنا إبراهيم عليه السلام حتى يعرض معرض الامتنان.

والآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر، والخواطر هي الحركة للإرادة وتسمى خواطر لأن القلب قبل حدوثها يكون غافلاً، وهذه الخواطر تحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء، والخواطر ثلاث :

- خواطر محمودة : يحركها ويدفعها ملك وهي خواطر الخير قطعاً وتسمى إلهاماً وتسمى توفيقاً للخير.
- خواطر مذمومة : وتحركها ويدفعها الشيطان، وهي خواطر الشر وتسمى وسواساً وتسمى خذلان.
- خواطر فيها شك : وهي مكاييد الشيطان وخدع النفس وفيها يعرض الشيطان الشر في معرض الخير ويسمى (تلبيس إبليس).

مداخل الشيطان إلى القلب

حماية القلب من وساوس الشيطان واجبة، وهي فرض عين على كل عبد مكلف، وكل صفة مذمومة في الإنسان هي من مداخل الشيطان، ومن أبوابه العظيمة :

- (١) الغضب والشهوة لأنها يُغيبان القلب.
 - (٢) الحسد والحِرص ممّا جعل إبليس لا يسجد لآدم، والحرص على الدنيا يجعل المجاهد يفر من الزحف.
 - (٣) الشبع من الطعام وإن كان حلالاً، لأنّ الشبع يقوي الشهوة ويثقل عن الطاعة.
 - (٤) حُب التزين من الأثاث والثياب والدار.
 - (٥) الطمع في الناس.
 - (٦) العجلة وترك الثبوت في الأمور، والتبصره تحتاج إلى تأمل وتمهّل.
 - (٧) الدرامم والدنانير، لأنّ كل ما يزيد عن الحاجة يُشغل عن الله.
 - (٨) البخل وخوف الفقر وملازمة الأسواق حيث مقر الشيطان.
 - (٩) التعصب للمذاهب والأهواء والحقد والازدراء على الخصوم.
 - (١٠) أن يشتغل الإنسان باختلاف الناس والآراء وتهمة الأشرار والاشتغال بذكر نقائصهم.
 - (١١) ومن أبوابه حمل العوام على ممارسة العلم.
 - (١٢) سوء الظن بالمسلمين، ولتعين غيرك اتق مواقع النّهم.
- والعلاج هو سدّ كل هذه المداخل لأنّ الشيطان لا ينزجر بمجرد قولك (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) إذا كان في القلب غذاءه مثل الكلب لا ينزجر بمجرد الصوت إذا كان معك اللحم، وإذا لم ينتق القلب من هذه المداخل يكون الذكر حديث النفس.
- ومما يُعين على طرد الشيطان كما قال سيدنا جبرائيل لسيدنا رسول الله ﷺ (قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بار ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض ومن شر ما يخرج منها وما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن).

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب

يقول الحق سبحانه وتعالى "وَأِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ" (٢٨٤) البقرة ويقول الحبيب المصطفى ﷺ (عفى عن أمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به) ولتوضيح ذلك نقول :-

أول ما يرد على القلب هو الخاطر وهو حديث النفس بفعل أمر ما، ثم تأتي المرحلة الثانية وهي الميل للفعل وهو هيجان الرغبة لذلك، ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي تحكيم القلب في هذا الأمر، وبناء على معتقدات القلب تأتي المرحلة الرابعة وهي الهَمّ وهي تصميم العزم على الفعل وهو الذي عليه الحساب، هذه الأربعة درجات قبل العمل إن ندم بعد الجزم وترك العمل يُجَازَى بحسنة، وإن أكمل وفعل الفعلة يُجَازَى بسيئة (هذا في أمور الشر)، أمّا في أمور الخير فإن تكاسل ولم يفعل يُجَازَى بحسنة وإن فعلها يُجَازَى بعشر حسنات أو أكثر.

فالثلاثة الأول خارج الوسع وهي من أعمال القلب ولا يؤاخذ عليها وليس عليها حساب ولكن من المرحلة الرابعة وهي الهَمّ والعزم على الفعل يؤاخذ به ويحاسب عليه، وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبير والعجب والرياء والتفاق والحسد وجملة خباثات القلب ؟؟.

تدرج الوسوسة

الشیطان يريد العبد عاصيًا على أي حال، وهو يُغَيِّر من أساليب إغوائه وتلبيس الحقّ بالباطل، فأولاً يأتي من باب المعاصي، فإن أبى جاءه من باب النصيحة حتى يدفعه إلى عمل بدعه، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يُجَزَم ما ليس بجرام، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته، فإن أبى خفف عليه أعمال الخير حتى يكون مرأبًا.

والقلوب في تقلبها بين الحقّ والباطل ينقسم إلى ثلاثة أنواع :-

- قلب يتنازعه ملكان، وهذا قلب ثابت على الإيمان.
- قلب يتنازعه شيطانان، وهذا قلب غارق في الملذات.
- قلب يتنازعه ملك للخير وشیطان يوسوس له بالشر، وهذا قلب متردد بين الخير والشر أي تمر به خواطر الإيمان وخواطر الشر.

كتاب رياضته النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ص ٤٨

الحُلقُ الحسن صفة سيد المرسلين ﷺ وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المُتقين ورياضة المتعبدين وكما قال ﷺ (لَنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) وقال ﷺ (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)، والحُلقُ بـ(الضم) هو جمال الباطن أمّ الحُلقُ بـ(الفتح) هو جمال الظاهر، وجمال الحُلقُ فضيلة مشكورة ومؤيدة بالقرآن والسنة وسيرة الصالحين وأفضل ما أعطى العبد خُلُقٌ حَسَنٌ، قال ابن لقمان لأبيه (يا أبتِ أي الخصال في الإنسان خير ؟ قال الدين، قال فإن كانت اثنتين ؟ قال الدين والمال، قال فإن كانت ثلاثة ؟ قال الدين والمال والحياء، قال فإن كانت أربعة ؟ قال الدين والمال والحياء وحُسن الحُلقُ، قال فإن كانت خمسة ؟ قال الدين والمال

والحياء وحسن الخلق والسخاء، قال فإن كانت ست ؟ قال يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي ولي ومن الشيطان بري).

تعريف حسن الخلق : قالوا تعريفات كثيرة ولكنها ناقصة مثل (بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى) وقالوا (لا تُتَخَصَّم ولا تُتَخَصَّم) وقال بعضهم (لا يكون لك هم غير الله تعالى) وقالوا (تصل من قطعك وتُعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك).

ولكن التعريف الشامل هو عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خُلِقَ السخاء أو الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خُلِقَ السخاء ولا يبذل لفقد المال أو لوجود مانع وربما يكون خُلِقَ البخل ولكن يبذل رياءً أو قهراً.

وحسن الخلق يعتمد على أربعة أركان وهي : قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة والرابعة هو قوة العدل بين ذلك.

قوة العلم : يدرك بها الفرق بين الصدق والكذب، وبين الحق والباطل، وبين الجميل والتقيح، فإذا أحكم العلم أثمر الحكمة.

قوة الغضب : حُسْنُها ووسطها أن يصير اقتباسها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة.

قوة الشهوة : حسنُها وصلاحها أن تكون تحت إشارة الحكمة (أي الشرع والعقل).

قوة العدل : هو ضبط الغضب والشهوة تحت إشارة قوة العلم (أعني إشارة الشرع والعقل) وقوة العدل هو ضبط هذه الأمور في حد الوسط لا تفريط ولا إفراط، فالعلم يحصل منه الحكمة وحسن التدبير والرأي الثاقب، وقوة الغضب يحصل منها الشجاعة والكرم، والنجدة وكظم الغيظ والوقار، وقوة الشهوة يحصل منها العفة والحياء والصبر والسماحة والقناعة والورع، وتلك هي أمهات الأخلاق والباقي فروعها، ولم يبلغ الكمال إلا سيدنا رسول الله ﷺ.

والأخلاق السيئة قابلة للعلاج والتغيير كما أن الحيوان قابل للترويض، والمجاهدة المقصود بها الوصول إلى الوسط وليس القمع بالكلية لأن لها وظيفة في استمرار الحياة ولذلك قال سبحانه وتعالى "وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ" (١٣٤) آل عمران ولم يقل (والفاقرين الغيظ).

والأخلاق الجميلة لها ثلاثة أبواب :-

- تارة تكون بالطبع والفطرة.

- تارة تكون باعتماد الأفعال الجميلة على المدى الطويل.

- تارة تكون بالضجة وقرناء الخير لأن الطبع يسرق.

الطريق لتهديب الأخلاق

الأخلاق هو الاعتدال والوسط بين سلوكيين مذمومين مثل الشجاعة وسط بين التهور والخور، والميل عن الاعتدال هو السقم والمرض، والوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعرة وأحد من السيف وهو الصراط المستقيم ولذلك يدعو المؤمن بقوله "اهْدِنَا الصِّرَاطَ"

المُسْتَقِيمَ" (٦) الفاتحة في كل صلاة، وعلى الإنسان أن يعالج كل مرض من أمراض القلب بضدها فيعالج الجهل بالتعلم والبخل بالسخاء وشره الطعام بالصيام، وطرق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله وعلى الشيخ المري أن ينقل المريء من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه إلى أن يصل إلى الوسط.

أعداء الإنسان ثلاثة دنياء وشيطانه ونفسه، وعلاج الدنيا بالزهد منها لأن الدنيا رأس كل خطيئة، وعلاج الشيطان بمخالفته، وعلاج النفس بترك الشهوات وتقول لنفسك (اصبري فالنوع لكراحتك علي) كما قالت امرأت العزيز (سبحان من جعل الملوك عبيداً بالمعصية وجعل العبيد ملوكاً بالطاعة لله).

علامات حسن الخلق

اعلم أن الإنسان جاهل بعيوب نفسه، وحسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق، فليشتغل بتحصيل ما فقدته وحفظ ما وجدته.

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق وهو أن يكون : كثير الحياء، قليل الأذى، كثيرة الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، صبوراً، براءً، وصولاً، وقوراً، شكوراً، رضى، رحيماً، حليماً، دقيقاً، عفيفاً، شفيقاً، لا لعناً ولا سباً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً، يُحب في الله ويبغض في الله، وأول ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى، ومن شك من سوء الخلق عند غيره دل ذلك على سوء خلقه.

المجاهدة للوصول لحسن الخلق

السد بين المريء وبين الحق له أربعة أسباب هي (المال، الجاه، التقليد، المعصية) ويجاهد المال بأن يشتغل بالخروج منه، ويجاهد الجاه بالتواضع لأن الجاه يدعو للكبر، ويجاهد التقليد بترك التعصب للمذاهب والهوى، ويجاهد المعصية بالتوبة، وما يعين على ذلك هو (الجوع والخلو والصمت والسهر) فبالجوع يتنور القلب، والخلو في بيت مظلم يُعين على الانقطاع عن الخلق إلى الحق، والصمت ولا يتكلم إلا عند الضرورة، والسهر يجلو القلب، وكل ذلك بحفظ بطنه وفرجه ولسانه.

كتاب كسر الشهوتين ص ٧٩

أعظم المهلكات هما شهوتا البطن والفرج ويتبعهما الرغبة في الجاه وجمع المال ثم يتبعها أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منها آفة الرياء والتفاخر والتكاثر والكبرياء ويتولد من ذلك الحقد والحسد والعداوة والبغضاء.

فوائد الجوع وذم الشبع (شهوة البطن).

يقول الحبيب المصطفى ﷺ (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه، وإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لْيَاكُمُ والبطنة فإنها تُثقل في الحياة، تن في الممات)، فالجوع خزنة عظيمة لفوائد الآخرة منها :-
- صفاء للقلب ومذلة للنفس.

- إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة.
- الجوع يؤدي إلى رقة القلب وصفائه وبه يتهيأ لإدراك لذة المثابرة، وقال الجنيد (يجعل أحدم بينه وبين صدره مخلاه من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة).
- الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر.
- لا ينسى بلاء الله وعذابه فإنَّ الشبعان ينسى الجوع وينسى الجائعين.
- كسر شهوات المعاصي والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء.
- دفع النوم ودوام السهر، فَمَنْ شَبِعَ شَرِبَ كثيراً ونام كثيراً.
- تيسير المواظبة على العبادة والقدرة على دوام الطهارة وملازمة المسجد وسهولة الصيام.
- صحة البدن ودفع الأمراض.

- قلة المؤنة وسهولة الصدقة بما يزيد عن الحاجة، فليس للبعد من ماله إلا ما تصدق فأبقى وأكل فأفنى ولبس فأبلى، فعليه تقليل الكمية والنوع من الطعام والصيام، وترك شهوة الطعام والتغلب عليها والحذر فيما يدفع للرياء وبذلك يكون كمن هرب من عقرب وفرغ إلى حية لأنَّ شهوة الرياء أضر كثيراً من شهوة الطعام أو أنَّه يحرم نفسه أمام الناس ويأكل في الخفاء (وهو الشرك الخفي).

شهوة الفرج

شهوة الوقاع لها فائدتان هما أن يُدرك لذته فيقيس بها لذة الآخرة وثانياً بقاء النسل ودوام الوجود وأنَّ كل ما يُشغل عن الله تعالى فهو نقصان، فليُنظر المريد إلى حالة قلبه فإنَّ وجده في العزوبة فهو الأقرب له وإنَّ عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ولكن لا بد من رده إلى حد الاعتدال، وقالوا (مَنْ عَشَقَ فَعَفَ فَكَمْ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ)، وقصة سيدنا يوسف وامتناعه مع القدرة ومع رغبتها (امرأة العزيز) وكيف أثنى الله عليه بذلك في كتابة العزيز.

كتاب آفة اللسان ص ١٠٧

اللسان رجب الميدان ليس له مرد ولا مجاله منتهى.

والكلام أربعة أقسام هي:-

- (١) قسم ضرر محض : وهذا لا بد من السكوت عنه.
- (٢) قسم نفع محض : وهذا يمتزج معه الرياء والتصنع والغيبة وتركبة النفس امتزاجاً يصعب إدراكه.
- (٣) قسم فيه ضرر ومنفعة : وهذا يجب السكوت عنه تقرباً لله.

(٤) قسم لا ضرر فيه ولا منفعة : وهذا يفضل السكوت عنه.

والصمت فضيلة فمن صمت نجا وكما قال الحبيب المصطفى ﷺ (وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، وللصمت حكم وقليل فاعله، وآفات اللسان كثيرة نذكر أهمها :-

(1) الكلام فيما لا يعني : وكما قال ﷺ (من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وحد ذلك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تتألم ولم تستضر به، وعلاج ذلك أن يضع حصاه تحت لسانه، وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه، ولا يسأل عما لا يعنيه كأن تسأل أحدهم هل أنت صائم ؟.

(2) فضول الكلام : كما قال الحق سبحانه وتعالى "لا خَيْرَ في كثيرٍ من نَجْوَاهُمْ إلا من أمرٍ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس" (١١٤) النساء، وقال ﷺ (طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأفق الفضل من ماله)، وقالوا (تهلك الناس فضول الكلام وفضول المال)، وقال بعض الحكماء (إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت، وإذا كان ساكناً فأعجبه السكوت فليتكلم).

(3) الخوض في الباطل : هو الكلام في المعاصي، وكما قال ﷺ (لئن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا) وهو الكلام في المعاصي والتفكه بأعراض الناس وأحوال النساء، وكان ابن سيرين إذا مر على مجلس من مجالسهم يقول لهم (توضئوا فإن بعض ما تقولون شر من الحديث).

(4) المراء والجدال : وذلك ينهى عنه كما قال ﷺ (لا ثمار أخاك ولا تمازجه ولا تعده موعداً فتخلفه) وقال ﷺ (لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان مُحَقّاً)، وهذا المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إمّا في اللفظ وإمّا في المعنى وإمّا في قصد الكلام، وعلاج ذلك إذا سمعت كلاماً صادقاً فصدق به وإن كان باطلاً ولم يكن متعلقاً بأمر الدين فاسكت عنه.

أمّا الجدال فهو عبارة عن قصد إخماد الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه، ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت ليحكم ما في نفسه من الكبر، لأنّ قصد الجدال إظهار العلم والتهجم على الغير من قبيل تركية النفس والكبر والطغيان.

(5) الخصومة : وهي أيضاً مذمومة وهي وراء الجدال والمراء، فالمراء طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير، والخصومة فوق ذلك ليستوفي به مال أو حق مقصود، وقال ﷺ (لئن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) والخصومة تُوغر الصدر وتهيج الغضب والحقد بين المتخاصمين، وكما قال بعضهم (إيّاك والخصومة فإنّها تمحق الدين) وفي المقابل فإنّ الكلمة الطيبة صدقة، وقال ﷺ (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر) والبر وجه طليق وكلام لين.

(6) التقعر في الكلام : أي التشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع وكما قال ﷺ (ألا هلك المتنطعون)، وهذا أيضاً من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة.

(7) الفحش والسب وبذاءة اللسان : وهو مذموم ونهى عنه ومصدره الحُبث واللؤم وكما قال ﷺ (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيئ)، وقد نهى سيدنا رسول الله ﷺ أن يُسب قتلي بدر من المشركين، وحقيقته هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع، ومن أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه (قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه؟ قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب الآخر أباه).

(8) اللعن : وهو الطرد والإبعاد من الله تعالى (وهذا يكون لحيوان أو جماد أو إنسان) وكل ذلك مذموم، وقال ﷺ (لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا يجهم) وقال ﷺ (ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول)، واللعن غير جائز إلا ما اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن تقول (لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين، أو لعنة الله على الخوارج) ولا يلعن إلا من مات على الكفر يقيئاً كما قال الحق "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ" (١) المسد، ولعن فاسق بعينه غير جائز كما قال ﷺ (يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فعمموا فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء) ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر.

(9) الغناء والشعر : الشعر كلام حسنه حسن وقبيحة قبيح إلا أن التجرد له مذموم، أي أن إنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مُستكره، وقال ﷺ (لأن من الشعر لحكمة) نعم مقصود الشعر المدح والذم ويدخله الكذب، والغناء كذلك منه الحلال والحرام بحسب ألفاظه ومقاصده.

(10) المزاح : وأصله مذموم وينهى عنه إلا قدرًا يسيرًا يُستثنى منه، قال ﷺ (لا تمار أخاك ولا تمازحه) وكان الحبيب المصطفى ﷺ من أفكّه الناس مع نسائه وقال ﷺ (لني لأمزح ولا أقول إلا حقًا) مثل قوله ﷺ لعجوز (لا يدخل الجنة عجوز) وقال لأخرى عن زوجها (أهو الذي بعينه بياض)، وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (اتقوا الله وإياكم والمزاح لأن كثرة المزاح تؤدي على سقوط الوقار ولكل شيء بذور وبذور العداوة المزاح).

(11) السخرية والاستهزاء : وهذا محرم كما قال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ" (١١) الحجرات، ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء، وقال النبي ﷺ (من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله).

(12) إفشاء السر : وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء، وقال ﷺ (الحديث بينكم أمانة) وقال الحسن رضي الله عنه (لأن من الخيانة أن تُحدث بسر أخيك) وقالوا (من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه).

(13) الوعد الكاذب : اللسان سابق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلقًا وذلك من أمارات النفاق لأنه إن كان عند الوعد عازمًا على أن لا يفي فهذا هو النفاق لقوله ﷺ (ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، إذا حدث كذب، وإذا أوعده أخلف، وإذا أتؤمن خان) وفي رواية (إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)، فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقًا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يتحرز من

صورة النفاق أيضًا كما يتحرز من حقيقته، وقد تواعد سيدنا رسول الله ﷺ مع أحدهم قبل البعثة وانتظره ثلاثة أيام فقال (يا فتى لقد شققت عليّ، أنا هنا منذ ثلاث أنتظر).
(14) الكذب في القول واليمين : هو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وقال ﷺ (إِيَّاهُ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ

الفجور وهما في النار) وقال ﷺ (لَنْ الْكَذِبَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النِّفَاقِ) وقال ﷺ (كَبُرَتْ خِيَانَةُ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ) وقال ﷺ (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيَلْهُ لَهُ وَيَلْهُ لَهُ) وقال ﷺ (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَأْتِمُّ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٍ) وقالوا (أَعْظَمُ الْخَطَايَا عِنْدَ اللَّهِ اللِّسَانُ الْكَذُوبُ)، والكذب على سيدنا رسول الله ﷺ من الكبائر التي لا يعدلها شيء، وسئل سيدنا رسول الله ﷺ (هل يزيي المؤمن ؟ قال قد يكون ذلك، وقالوا يا نبي الله هل يكذب المؤمن ؟ قال لا "إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ" (١٠٥) النحل)

بيان ما رخص فيه من الكذب : يُرخص في شيء من الكذب في ثلاث، الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يُحدث امرأته والمرأة تُحدث زوجها لأنَّ النية الإصلاح وليس الكذب، وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره فله أن يقول ما زنت وماسرقت، وكما قال ﷺ (مَنْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَادُورَاتِ فَلَيْسَتْ بَسْتَرِ اللَّهِ) لأنَّ إظهار الفاحشة فاحشة أخرى، فله أن يستر عرضه وعرض أخيه.

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض : قالوا (لَنْ فِي الْمَعَارِضِ لِمُدُوحَةٍ عَنِ الْكَذِبِ) والمعاريض تُباح لغرض خفيف كطبيب قلب الغير كقوله ﷺ (لا يدخل الجنة عجوز) وهو أن يقول صدقًا ولكن المستمع يفهم غير المقصود وكما قال ﷺ حين سئل في بدر من أين أنت ؟ قال (من ماء)، وكان بعضهم إذا طلبه من يكره مقابلته وهو في الدار يقول للجارية (قولي له أطلبه في المسجد، ولا تقولي له ليس هنا) أو يضيع ويقول (قولي له مستريح شيئًا)، ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق كقوله (قلت لك كذا مائة مرة) ويقصد المبالغة وليس العدد، وإذا سئل عن سر أخيه فله أن ينكره ولا يستنكف أن يقول (لا أدري).

(١٥) الغيبة : والنظر فيها طويل وسنذكرها في (٨) فصول هي :-

١-١٥ مذمة الغيبة ٢-١٥ معنى الغيبة وحدودها

٣-١٥ بيان أنَّ الغيبة لا تقتصر على اللسان. ٤-١٥ الباعث على الغيبة.

٥-١٥ علاج الغيبة. ٦-١٥ بيان تحريم الغيبة بالقلب.

٧-١٥ بيان الأعذار المرخصة للغيبة. ٨-١٥ بيان كفارة الغيبة.

1- 15- مذمة الغيبة : قال تعالى "وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ" (١٢) الحجرات وقال ﷺ (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) وقال ﷺ (إِيَّاهُ وَالْغِيْبَةَ فَإِنَّ الْغِيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي وَيَتُوبُ فَيَتُوبُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغِيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفَرَ لَهُ صَاحِبُهُ) وقال ﷺ (مَنْ تَتَبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي جُوفِ بَيْتِهِ).

وفي عهد سيدنا رسول الله ﷺ جلست امرأة مع أخرى وهما صائمتان تأكلان لحوم الناس فقال ﷺ (صامتا عما أحل الله وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، اذهب فمرها أن يستقيئا) فقالت كل واحدة منهما علاقة من دم، وقال سيدنا جابر رضى الله عنه كنا مع سيدنا رسول الله ﷺ فألقى قبرين يعذب صاحباهما فقال (لأنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يغتَاب الناس، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله)، وقال بعضهم (أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس).

2- 15 معنى الغيبة وحدودها : أن تذكر أخاك بما يكره سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في ثوبه وداره ودابته، وقال ﷺ (الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه، قيل أرايت إن كان في أخي ما أقوله ؟ قال إن كان فيه ما تقوله فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته). فالغيبة أن تقول ما فيه في غيبته، والبهتان أن تقول ما ليس فيه في غيبته، والإفك أن تقول ما بلغك عنه في غيبته.

الغيبة في البدن كأن تقول (الأعمش أو الأحول أو الأعمى) وهو لا يجب ذلك ولا يعرف به. الغيبة في نسبه كأن تقول (ابن اليهودي أو الهندي أو الفاسق أو الخسيس) وكل ما يكرهه. الغيبة في عمله كأن تقول (الزبال أو الإسكافي) وهو يكره ذلك. الغيبة في خلقه كأن تقول (المتكبر أو البخيل أو شديد الغضب أو الضعيف أو المتهور وهكذا). الغيبة في أفعاله كأن تقول (السارق أو الكاذب أو العاق أو المتعرض لأعراض الناس) وكذلك (قليل الأدب، المتهاون، كثير الكلام، كثير النوم).

الغيبة في ثوبه كأن تقول (وسخ أو رث الثياب، طويلها أو قصيرها). الغيبة في داره كأن تقول (واسعة، ضيقة، مزينة). الغيبة في دابته كأن تقول (سريعة أو فحمة أو حقيرة).

3- 15 أشكال الغيبة : الغيبة تارة تكون باللسان وتارة تكون بالإشارة وتارة تكون بالمحاكاة، فمثلاً يضع يده على عينه ولا يقول أعور، ومنها ما يكون تصريحاً أو تعريضاً، وتارة يكون بالهمز واللمز والكتابة والحركة، وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام، والغيبة كذلك تكون على الميت كما هو الحال على الحي، وكان سيدنا رسول الله ﷺ إذا كره شيئاً من أحد لا يحدهه ولكن يقول (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا)، ومن أشد أنواع الغيبة ارتباطها بالرياء والعجب:

فمثلاً ارتباطها بالرياء كأن يقول (نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها) وإنما يقصد أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء، وقد يقدم مدح من يريد فيكون مغتاباً مراتباً ومزكياً نفسه. ومن أمثلة ارتباط الغيبة بالعجب كأن يقول (عجب ما علمت أنه كذلك، ما عرفته إلا بالخير، وكنت أحسب فيه غير هذا).

والمستمع يعتبر من أحد المغتايين كما قال ﷺ، فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن يُنكر بلسانه أو بقلبه إن خاف، أو يغير الكلام أو يقوم من المجلس لقوله ﷺ (مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

4- 15 الأسباب الباعثة على الغيبة : الباعث على الغيبة كثير من أهم أسبابها :-

- (١) أن يشفي غيظًا، فالحقد والغضب من البواعث على الغيبة عند الكثير من الناس.
- (٢) موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء.
- (٣) أن ينسب إليه شيء ويريد أن يبرأ نفسه فيذكر الذي فعله.
- (٤) إرادة التصنع والمباهاة، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره.
- (٥) الحسد، وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه (وهذا غير رقم (١)) لأنَّ الحقد والغضب يستدعي خيانه ولكن الحسد ربما يكون من صديق.
- (٦) اللعب والهزل ومجالسة الرؤساء للتسلية على خلق الله بالضحك.
- (٧) شرور خباها الشيطان في بواعث الخير منها :
- (أ) العجب : كأن تعجب من فلان كيف يحب جارته أو تعجب من فلان كيف يجالس فلان وهو جاهل أو تعجب كيف فلان بن فلان ابن الأصول يتزوج من هذه (أي فلانة).
- (ب) الغضب لله : كأن تقول (مسكين فلان غمني أمره كيف يتلى بكذا) أو (مسكين كيف يفعل هذا الفعل (ويذكر اسمه)).

5- 15 علاج الغيبة :

- كف اللسان عن الكلام، وعد الكلام من العمل الذي سيحاسب عليه.
- إدراك جرم الغيبة باللسان والجوارح بأن يعلم أنَّ تألم غيره بغيته كتألمه بغيته غيره له (كله سلف ودين) أي سيقال عليك حتما ما قلته على غيرك ،
- العلم بأنَّ الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضاء المخلوقين.
- 6- 15 بيان تحريم الغيبة بالقلب :

سوء الظن حرام مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسئ الظن بأخيك وتركن إلى هذا الظن السيئ، لأنَّ القلب لا يقتنع بالظن ويطلب التحقيق فينشغل بالتجسس وفي التجسس هتك الأستار، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج، فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه)، فإذا خطر لك خاطر سوء في مسلم فادعوا له بالخير فإنَّ ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يُلقي إليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء له فانصحه في السر وانصحه وأنت مُنكسر حتى لا تنظر إليه بعين الاحتقار وإلى نفسك بعين التعظيم.

7- 15 بيان الأعذار المرخصة في الغيبة:

- التظلم عند الحاكم : لأنَّ لصاحب الحقَّ مقالاً لقوله تعالى "لا يُحِبُّ الله الجَهْرَ بالسُّوءِ إلا مَنْ ظَلَمَ" (١٤٨) النساء.

- الاستعانة على تغيير المنكر ورد المعاصي إلى منهج الإصلاح.

- طلب الفتيا، والأفضل أن يكون بالتعريض دون ذكر الأسماء، فبدلاً من أن يقول (ظلمني أي) يقول (ما رأيك في رجل ظلمه أباه بكذا وكذا).

- تحذير المسلم من الشر كمن يقصد لإبداء الرأي في التزويج فله أن يقول الرأي في الراغب في الزواج بدون ذكر التفاصيل وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح فله أن يصرح به.

- أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش وصاحبه لا يتحرج ولا يحزن من ذكره بهذه الصفة.

- وكانوا يقولون (ثلاثة لا غيبة لهم، الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه) لحديث سيدنا رسول الله ﷺ (مَنْ أَلْقَى جَلْبَابَ الْحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ فَلَا غِيْبَةَ لَهُ) لأنَّ الجهر بأمره يُسعدّه.

8- 15 كفارة الغيبة : الندم على ما سبق والتوبة والأسف على ما فعله سابقاً، ثُمَّ يستحل المغتاب ليحلّه فيخرج عن مظلّمته، وأن تستغفر له وتثني عليه خاصة إذا كان غائباً أو ميتاً، أو يتصدق بصدقة ويهدي ثوباً لمن اغتابه.

(16) النّيمة : قال سبحانه وتعالى "هَمَّازٍ مَّشَاءً بِنِيمٍ" (١١) القلم، والتمّام هو القنات وهم المفسدون بين الأُحبة ، وتعريفها (كشف ما يُكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه) كأن تقول (فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا) والكشف يكون بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيحاء سواء كان المنقول من الأعمال أو الأقوال، فالنّيمة إفشاء السر وهتك الستر، والباعث على النّيمة إمّا إرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحُب المحكي له أو الخوض في الفضول والباطل، ومن قيل له شيء فعليه أن يُنكره وينهاه عن الكلام ولا يظن بأخيه الغائب السوء ولا يتجسس ليتحقق ولا تحكي به حتى لا تكون نمّاماً، وعن سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً فقال له (لِمَا أَنْ تَكُونَ صَادِقاً أَوْ كَاذِباً، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ "هَمَّازٍ مَّشَاءً بِنِيمٍ" (١١) القلم، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ "إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِيقٌ بِبَنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا" (٦) الحجرات فَإِنْ شُئْتَ نَظَرْتَ فِي أَمْرِكَ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً مَقْتَنَّاكَ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً عَاقَبْنَاكَ وَإِنْ شُئْتَ عَفَوْنَا عَنْكَ) فقال العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود إليه أبداً، وقال الحسن رضي الله عنه (مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ)، والنّيمة إذا كانت إلى مَنْ يَخَافُ جَانِبَهُ تُسَمَّى (سَعَايَةً) ولذلك قال بعض الصالحين (ما ظنكم بقوم يحمّد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم)، وقال بعضهم لِمَنْ نَقَلَ لَهُ شَيْئاً عَنْ صَاحِبِهِ (يَا هَذَا مَا رَعَيْتَ حَقَّ مَجَالِسَةِ الرَّجُلِ حَيْثُ نَقَلْتَ إِلَيْنَا حَدِيثَهُ وَلَا أَدَيْتَ حَقِّي حِينَ أَعْلَمْتَنِي عَنْ أَخِي مَا أَكْرَهُ)، وسعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما، فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما اتمنتك خالياً ***** فحنت وإمّا قلت قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا ***** بمنزلة بين الخيانة والإثم

وقال بعضهم (لو صح ما نقله النام إليك لكان هو المجترئ بالشم عليك، والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك).

(17) ذو اللسانين : قال سيدنا رسول الله ﷺ (مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وهو الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث، فَمَنْ لاقى الاثنين بوجهين فهو منافق، فلو دخل رجل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقاً فيما يقول لم يكن ذا لسانين ولم يكن منافقاً ولكن لو نقل كلام كل واحد إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو أشد من النعمة لأنه ينقل من الجانبين.

(18) المدح، الذم : الذم هو الغيبة والوقية، والمدح منهي عنه لأنه :

(١) يدخله الرياء والكذب والنفاق من جهة المدح، وإذا أراد أن يقول شيئاً لصاحبه فليقل (أحسب فلاناً على خير ولا أزيكي على الله أحداً).

(٢) ومن جهة الممدوح فإنه يفرح وربما هو ظالم فاسق ويحدث فيه كبراً وإعجاباً، وإذا كان في العبادة فإنه يدعوه للكسل عن المجاهدة لظنه أنه على خير، ولكن إذا سلم المدح والممدوح فلا حرج كما قال الحبيب المصطفى ﷺ (لو وزن إيمان أبو بكر بالعالم لرجح).

(٣) إذا مدح الرجل نفسه فليقل ما فيه إرساء الحقائق كما قال ﷺ (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) وكما قال سيدنا يوسف عليه السلام "اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" (٥٥) يوسف، وقال سيدنا علي رضي الله عنه لما أثنى عليه (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ وَلَا تَوَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ واجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ)، وعلى الممدوح الحذر من آفة الكبر والعجب وآفة الفتور.

(19) دقائق الخطأ : الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام مثل :

- لا يقل أحدكم (ما شاء الله وما شئت) ولكن قل (ما شاء الله ثُمَّ شئت) لأن في العطف إشراكاً وتسوية وهو على خلاف الاحترام، وخطب رجل عند سيدنا رسول الله ﷺ فقال (مَنْ يُطْعِمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ، وَمَنْ يَعْصِهَا فَقَدْ غَوَى) فقال قُلْ (وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى) فكره سيدنا رسول الله ﷺ قوله (ومن يعصهما) لأنها تسوية وجمع.

- وأن تقول (لولا الله ثُمَّ فلان) ولا تقول (لولا الله وفلان) ، وعن ابن عباس رضي الله عنه (لَنْ أَحْدَمَ لِيُشْرِكَ حَتَّى يَشْرِكَ بِكَلْبِهِ فَيَقُولَ لَوْلَا لَسَرَقْنَا اللَّيْلَةَ).

وَمَنْ تَأْمَلْ جَمِيعَ مَا أوردناه من آفات اللسان علم سر قوله ﷺ (مَنْ صَمَتَ نَجَا) فإن كنت لا تقدر على أن تكون مِمَّنْ تكلم فغفم فكن مِمَّنْ سكت فسلم فالسلامة إحدى الغنيتين.

(20) سؤال العوام عن خواص الدين : سؤال العوام عن التوحيد وعن صفات الله، والعامي يفرح بالخوض في العلم إذا خيل الشيطان إليه أنه من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحب له ذلك حتى يتكلم في العلم، وقد نهى سيدنا رسول الله ﷺ عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال، وما نزلت آية المتلاعنين إلا لكثرة السؤال، وفي قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام تنبيه للجميع من السؤال قبل أوان استحقاقه.

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد ص ١٦٤

ابْثُلِي الإنسان بالغضب وَطَلَبَ مِنْهُ كَظْمَ الْغَيْظِ، والغضب شعلة نار يستخرجها الكبير الدفين لتظهر على الجوارح أو تبقى في القلب حقداً وحسداً، فالحقد والحسد من نتائج الغضب.

- قال رجل لسيدنا رسول الله ﷺ (مرني بعمل وأقل ؟ قال لا تغضب، ثُمَّ أعاد فقال لا تغضب).
- القوي مَنْ ملك نفسه عند الغضب، وقالوا في تفسير قوله تعالى "وَسَيِّدًا وَخَصُورًا" (٣٩) آل عمران أَنَّ السيد هو الذي لا يغلبه الغضب، وقال ﷺ (ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد مَنْ ملك نفسه عند الغضب).

- لا تغضب فإنَّ الشيطان أقدر ما يكون من ابن آدم حين يغضب.

- إذا غضب الإنسان قال بما لا يعلم وعمل بما يندم.

- إِيَّاكَ والغضب فَإِنَّهُ يُصِيرُكَ إِلَى ذلِّ الاعتذار.

- أعقل الناس أقلهم غضباً.

- قد أفلح منكم من حَفِظَ مِنَ الطَّمَعِ والهوى والغضب.

- الغضب محله القلب وهو لدفع المؤذيات قبل وقوعها أو التشفي والانتقام بعد وقوعها، وقوة الغضب مطلوبة ولكن بلا تفريط ولا إفراط، في حالة التفريط تضعف الحمية وتقل الأنفة مع احتمال الأذى والذل والمهانة ولذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله (مَنْ اسْتَغْضَبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ حَمَارٌ) وفي حالة الإفراط تغلب صفة الغضب حتى يخرج العبد من سياسة العقل والدين فلا يبقى للمرء بصيرة أو اختيار فيخطئ، وخطأ اللسان هو الشتم وفُحْش القول، وخطأ الأعضاء هو التهجم والضرب والقتل، وخطأ القلب هو الحقد والحسد وإضمار السوء.

وعلاج الغضب بالعلم أَنَّ الله تعالى فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، ويرى الأشياء كلها بيد الله، وَأَنَّ الخلق مُسْخَرُونَ فِي قبضته سبحانه كالقلم في يد الكاتب، وَأَنْ يُشْغَلَ القلب بمهمات الدين.

سب رجل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه فقال له (ما ستر الله عنك أكثر) وسب رجل الشعبي فقال (إِنْ كُنْتُ صَادِقًا غَفَرَ اللَّهُ لِي، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ)، هؤلاء لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم.

الأسباب المهيجة للغضب : أهمها الكبير والفخر والتعزز والحِمية والزهو والعُجب، ومن أشد البواعث على الغضب تسمية الغضب شجاعة ورجولة وعِزة نفس.

ولا يعالج الغضب بعد هيجانه إلا بمخزون العلم والعمل، فالعلم هو التفكير في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم، والتفكير في عقاب الله إن خرج عن الشرع، والتفكير في عاقبة العداوة والانتقام، والتفكير في قُبْح صورته عند الغضب، والتفكير في ذل الاعتذار بعد ذلك.

والعمل هو أن يقول (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وكان سيدنا رسول الله ﷺ إذا غضبت السيدة عائشة رضي الله عنها أخذ بأنفها وقال (يا عويش قُولِي اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ اغْفِرْ لِي وَادْهَبْ غَيْظَ قَلْبِي

وأجرني من مُضلات الفتن)، وأن يجلس إن كان قائماً ويضع إن كان جالساً ويتوضأ لأنَّ الغضب من النار والماء يطفئ النار ويصلي ركعتين لله.

فضيلة كظم الغيظ : قال سيدنا رسول الله ﷺ (مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَأَشَدُّكُمْ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَأَحْلَمَكُمْ مَنْ عَفَا عِنْدَ الْقُدْرَةِ) وقال ﷺ (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِفْثَاذِهِ دَعَا اللَّهَ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ وَخَيْرُهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ الْعِينِ شَاءَ) ، وقالوا (أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع).

فضيلة الحلم : الحلم أفضل من كظم الغيظ لأنَّ كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم، ولأن التعلم يؤدي إلى العلم والتعلم يؤدي إلى الحلم، ومن تخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه، وقال تعالى "الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا" (٦٣) الفرقان وقال تعالى "وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (١٣٤) آل عمران، قال سيدنا معاوية رضي الله عنه لعرابة بن أوس (كيف سدت قومك ؟ قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم)، ومر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرًا فقال لهم خيرًا فقبل له في ذلك فقال (كل إناء ينضح بما فيه)

بيان القدر الذي يجوز في الغضب : يجوز الغضب عندما تنتهك محارم الله، وكل ظلم صدر من شخص لا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي، وإن امرؤ عيرك بما فيك فلا تُعيرهُ بما فيه، وقالوا (خيركم البطيئ الغضب السريع الفئ، وشركم السريع الغضب البطيئ الفئ) ، وقال تعالى "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ" (١٤٨) النساء.

الحقد

الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا، فالحقد ثمة الغضب، والحقد يثمر الحسد وهو تمني زوال النعمة عند الغير، وتشمت فيه إذا أصابه البلاء، وتهجره وتصادمه إن اقبل عليك، وتعرض عنه استصغارًا له، وتتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر، وتحاكبه استهزاءً به وتؤذيه بالضرب إن استطعت وتمنعه حقه.

وعلاج الحقد هو علاج الغضب وكظمه وأن تتشبه بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين قال الحق "وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ" (٢٢) البور فقال (نعم نُحب ذلك) وذلك عند ما منع الإنفاق على مسطح لكونه تكلم في السيدة عائشة رضي الله عنها في حادث الإفك.

فضيلة العفو والإحسان

قال تعالى "وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (١٣٤) آل عمران
أولاً كظم الغيظ ثم الحلم والتحمل ثم يأتي العفو وهو أنه يستحق حقًا فيسقطه ويبري عنه من قصاص أو غرامة، يقول الحبيب المصطفى ﷺ (ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حالًا لحلفت عليهن، ما نقص مال من صدقة قط فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزًا يوم القيامة،

ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب الفقر) وقال ﷺ (يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أهل الدنيا والآخرة، تصل مَنْ قطعك، وتُعطي مَنْ حرمك، وتعفو عمن ظلمك) وقال ﷺ (مَنْ دعا على مَنْ ظلمه فقد انتصر)، وفي فتح مكة قال ﷺ (لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)، والعفو يكون قبل الوصول إلى ولي الأمر، فلا ينبغي لولي الأمر أن يؤتى بجد إلا أقامه، وإنما العفو يكون بين الناس قبل وصول القضية لولي الأمر، وإذا أراد الله أن يُسحق عبداً قيص له مَنْ يظلمه، وقال سيدنا معاوية رضي الله عنه (عليكم بالحلم والاحتمال حتى تتمكنكم الفرصة، فإن أمكنتكم فعليكم بالصبر والعفو) وقال بعضهم (ليس الحلم مَنْ ظلم فلم حتى إذا قدير انتقم، ولكن الحلم مَنْ ظلم فلم حتى إذا قدير عفا)، وكلما ازداد الذنب عظماً إلا ازداد العفو فضلاً.

فضيلة الرفق

الرفق محمود ويضاده العنف والجدة، والرفق وسط بين العنف واللين. وقال سيدنا رسول الله ﷺ (يا عائشة إنَّه مَنْ أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة، وَمَنْ حُرِم الرفق حُرِم الخير كله، يا عائشة عليك بالرفق فإنَّه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه).

بيان ذم الحسد

الحسد أحد صفات القلب، وهو من نتائج الحقد، والحقد من آثار الغضب المكتوم، وقال ﷺ (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) وقال ﷺ (ثلاث لا ينجو منهن أحد، الظن والطيرة والحسد، وسأحدثكم بالخروج من ذلك، إذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ) وقال ﷺ (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بما يثبت ذلك، أفشوا السلام بينكم) وقال ﷺ (لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك) وقال ﷺ (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإنَّ كل ذي نعمة محسود)، والحسد أحد صفات القلب لا صفة العمل، والحسد بينك وبين الله تعالى إلا إذا خرجت على الجوارح في صورة غيبة وكذب، والحسد هو أول خطيئة حين حسد إبليس آدم وترجمة عملاً برفض السجود، وحقيقة الحسد هو أن تكره النعمة عند أخيك، فلا حسد إلا في نعمة وإرادة زوالها، ولكن الغبطة هي أن ترى النعمة عند الغير ولا تكره وجودها ولكن تشتهي لنفسك مثلها (فإذن لا حرج على مَنْ يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها) وقال ﷺ (لا حسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه علماً فهو يعمل به ويعلمه للناس).

أسباب الحسد : الحسد لا يكون إلا في قوم تكثر بينهم الأسباب، ولذلك فإنَّ العالم يحسد العالم والتاجر يحسد التاجر، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر ممَّا يحسد الأجانب، والمرأة تحسد زوجها أكثر من غيرها، وأسباب الحسد العداوة والبغضاء والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد وكذلك حب الرياسة، وكل ذلك من خبث النفس وشحها.

الدواء من الحسد : العلاج بمعجون العلم والعمل.

- أولاً العلم : إنَّ الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين :
- (١) ضرر في الدين : وهو أن تعلم أنك بالحسد ظلمته وخاصة إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح منه وهتك سره وذكر مساوية فهذه هدايا تهديها إليه عند الحساب.
- (٢) ضرر في الدنيا : وهو عذاب وألم الحاسد، وغاية أمانى أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة وبذلك تكون قد فعلت في نفسك ما هو مرادهم.
- ثانياً العمل : وهو التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والثناء، وكذلك تتبع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص، وعلاجها ومن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء.

كتاب ذم الدنيا صـ ٢٠١

- الدنيا تتمثل في صورة امرأة جميلة تستميل الناس بجمالها، وكما قال الحبيب المصطفى ﷺ (حب الدنيا رأس كل خطيئة)، وكل مغرور بها إلى الذل مصيره، فيا عجباً للمصدق بدار الخلود ويسعى لدار الغرور لقوله تعالى "فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا" (٣٣) لقمان (٥) بآط، والدنيا عدوه لله، عدوه لأوليائه الله، عدوه لأعداء الله، فهي عدوه لله لأنها قطعت الطريق على عباد الله، عدوه لأوليائه الله لأنهم تجرعوا الصبر في مقاطعتها، عدوه لأعداء الله لأنها تستدرجهم بمكرها وكيدها.
- وللدلالة على حقارة الدنيا مرَّ سيدنا رسول الله ﷺ على شاة ميتة فقال (ألا ترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هوانها ألقوها، قال ﷺ والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء).
- الدنيا طالبة ومطلوبة، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيئه الموت فيأخذ بعنقه، وقال ﷺ (ألهام التكاثر، يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت).
- احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت، من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فآلقها في نحره.
- رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم ودیعة فأدوها.
- ذم بعضهم الدنيا عند رابعة رضي الله عنها فقالت (اسكتوا عن ذكرها فلولاً موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها، ألا من أحب شيئاً ذكره)، وقال لقمان لابنه (يا بني بع دنياك بأخرتك ترجحها جميعاً، ولا تبع أخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً)، وقد وصف سيدنا الإمام على كرم الله وجهه الدنيا فقال (دار من صح فيها سقم، ومن آمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى بها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها

العذاب، وفي متشابهها العتاب)، وقال أبو سليمان الدارني (إذا كانت الآخرة في القلب جاءت تراحمها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة). قالوا الدنيا ستة أشياء :

(١) مطعوم وأشرفه العسل وهو لعاب النحل.

(٢) مشروب وأشرفه الماء ويستوي فيه البر والفاجر.

(٣) ملبوس وأشرفه الحرير وهو نسيج الدود.

(٤) مركوب وأشرفه الخيل وعليه يقتل الرجال.

(٥) منكوح وهو مبال في مبال.

(٦) مشموم وأشرفه المسك وهو دم.

- الدنيا جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقتل.

- الدنيا دار ظعن وليست بدار إقامة، أمانها كاذبة وآمالها باطلة، وصفوها كدر وعيشها نكد، الأيام سهام والناس أغراض، قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (يا أيها الناس إنكم خلقتُم لأمر، إن كنتم تصدقون به فأنتم حمقى، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى، إنما خلقتُم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تُنقلون).

- الدنيا سريعة الفناء، قرية الانقضاء تُعد بالبقاء ثم تُخلف في الوفاء، متحركة على الحقيقة وبسرعة، وساكنة في الظاهر، طبع الدنيا التلطف في الاستدراج كالمرأة تتزين للخطاب فإذا نكحتهم ذبحتهم، الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر.

- - الدنيا نزل قصير بين الأزل والأبد، وحديث سيدنا رسول الله ﷺ (إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها).

- الدنيا قنطرة فاعبرها ولا تعمرها، مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله، قال تعالى "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ" (٢٤) عبس أي قبل أكله وبعد خروجه.

- اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهدت إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم من المقام وخوفهم أن تبحر السفينة فتفرقوا في نواحي الجزيرة وكان هذا حالهم :-

(١) بعضهم قضى حاجته ورجع فوراً فوجد السفينة والمكان خالٍ فأخذ راحته في السفينة.

(٢) بعضهم توقف ينظر جمالها (أي الجزيرة) فرجع فوجد مكاناً ضيقاً في السفينة.

(٣) بعضهم أعجبه الأحجار والأصداف والأزهار والأشياء الجميلة فحمل منها وعاد إلى السفينة فلم يجد في السفينة مكان له ولما معه من الأشياء.

(٤) بعضهم توج الغياض ونسى الركب وعند عودته وجد السفينة قد رحلت فبقى على الشط حتى مات جوعاً.

(٥) وبعضهم لم يبلغه النداء أصلاً.

وأنت قد بلغك النداء فكن من الصنف الأول.

بيان حقيقة الدنيا

كل ما لك فيها حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجلة قبل الوفاة، هذا الحظ والنصيب له ثلاثة أقسام:

القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وثمرته بعد الموت وهو العلم بالله والعمل لله خالصاً.

القسم الثاني : كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمره له في الآخرة كالتلذذ بالمعاصي.

القسم الثالث : هو كل حظ في العاجل يعين على أعمال الآخرة، وهو وسط بين الطرفين كالمسكن والملبس والمأكل بدون إسراف، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالاً مَكَارِهاً مَفَاخِرًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان، وَمَنْ طَلَبَهَا اسْتِعْفَافًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَصِيَانَةً لِنَفْسِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ)، ولا يبق مع العبد عند الموت إلا صفاء القلب وذكر الله وحب الله والأنس بالله، ولا يحصل هذا إلا بالكف عن شهوات الدنيا والمواظبة على الذكر والفكر والعمل كما قال تعالى "وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ" (٤١) (النازعات).

ومجامع الهوى خمسة يجمعها قوله تعالى "اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ تَفَاضُلٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ" (٢٠) (الحديد).

والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" (١٤) (آل عمران).

ومحصلة ذلك أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية بل يتبع العدل، ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالافتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة عليهم السلام.

كتاب ذم البخل و ذم حب المال ص ٢٣١

المال من أكبر فتن الدنيا ولا تخلو من الفوائد والآفات، فوائدها من المنجيات وآفاتهما من المهلكات، وللعبد مع المال حالتان هما الفقر والغنى.

- الفقر : وهي حالة فاقد المال، والعبد إما أن يكون قانعاً لله بحاله أو حريصاً على جمع المال، والحريص على جمع المال يسعى لجمعه بحرفية وكسب مشروع أو طمع في مال الغير.

- الغنى : وهي حالة واجد المال، والعبد إما يمسكه بخلاً وإما ينفقه.

بيان ذم المال وكرهه حبه :

- حب المال والترف ينبتان النفاق، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالٍ إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت).

- قَدِّمَ مالَكَ فَإِنْ قَلَبَ الْمُؤْمِنُ مَعَ مَالِهِ، إِنْ قَدَّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ وَإِنْ خَلْفَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَهُ، وَقَالَ ﷺ (أَخْلَاءُ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، وَاحِدٌ يَتَّبِعُهُ إِلَى قَبْضِ رُوحِهِ وَهُوَ مَالُهُ، وَالثَّانِي يَتَّبِعُهُ إِلَى قَبْرِهِ وَهُوَ

أهله، والثالث يتبعه إلى محشره وهو عمله) ، (والدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه، قالوا وما رقيته؟ قال أخذه من حله ووضعه في حقه).

- أصاب أحدهم مالا كثيرا ف قيل له لو ادخرته لولدك من بعدك ؟؟ قال لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي.

- عند موت العبد يؤخذ ماله كله ويُحاسب عليه كله.

- المال مثل الحية فيها سم وترياق، فوائده ترياقه وغوائله سمومه.

- لن تموت نفس حتى تستكمل (تستوفي) رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.

- قليل يكفيك خير من كثير يطغيك.

- المال محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر، فإنَّ المال ليس خيرا محض ولا شرا محض.

- سُمي المال خيرا فقال الحقُّ عزَّ وجلَّ "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا" (١٨٠) البقرة.

- المال خادم ومراد لغيره لا لذاته، مراد للمطعم والمنكح والملبس.

فوائد المال كثيرة أهمها:

فوائد دنيوية وهي معروفة، وفوائد دينية وأهمها :-

(١) أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة على العبادة كالجج والجهاد، وكل ما يوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة.

(٢) ما يصرفه على الناس في صورة صدقة للفقراء أو مروءة للأغنياء ووقايته من كلام الناس أو أجرة لمن يعينه ويفرغه للطاعة.

(٣) ما يصرف لبناء المساجد والمدارس والأوقاف الخيرية.

أمَّا آفات المال فهي كذلك دنيوية ودينية، والآفات الدينية أهمها :-

(١) تجر إلى المعاصي لأنَّ الفقر يحول بين المرء والمعصية، وكل المعاصي تحتاج للمال.

(٢) كثرة المال تجر إلى التمتع والتوسع في المباحات ممَّا يجر إلى النفاق ويعصي الله في طلب رضاء رفقاء السوء.

(٤) يلهي عن ذكر الله، وكل ما يُشغل العبد عن الله فهو خسران، فإنَّ أصل العبادات وسرها ذكر الله والتفكر في جلال الله وذلك يستدعي قلبا فارغا عن هموم الدين، وفي المقابل فإنَّ صاحب التجارة قلبه مشغول بالخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشُّم المصاعب في حفظ المال وكسبه.

بيان ذم الحرص والطمع وهو القناعة

ليقل الاحتياج للمال يلزم :

(١) الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق.

(٢) الصبر وقصر الأمل في الدنيا، ولا يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل.

(٣) أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء، وما في الطمع من ذل، ومن كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس (عز المؤمن في استغنائه عن الناس).

- ٤) العبد في الدنيا طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته، وقالوا (استغن عن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره).
- ٥) أن يكثر تأمله في سلوك الأغنياء والمتنعمين ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين، وأن يفهم مما في جمع المال من خطر.

بيان فضيلة السخاء

- إذا كان المال موجودًا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل، وقالوا (موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام) وقالوا (تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله أخذ بيده كلما عثر).
- إن لله عبادًا يخصصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع قلها الله تعالى عنه إلى غيره.
- الجنة دار الأسخياء.
- اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس أهله فإن أصبت أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله، وقالوا (أمطر المعروف مطرًا، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً، وإن أصاب اللئام كنت له أهلاً)، قال سيدنا علي كرم الله وجهه (إذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فإنها لا تفي، وإذا أدبرت عنك فانفق منها فإنها لا تبقى).
- عجب لمن يشتري المالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعرفه، وقال الحسن رضي الله عنه (بذل المجهود في الموجود منتهى الجود).
- الليث بن سعد أعطى سائلة أكثر من طلبها فقيل له في ذلك، فقال (إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا).
- السخاء هو البذل وإذا ارتقى كان إيثارًا وهو البذل مع الحاجة.

بيان ذم البخل

- قال الحق تعالى "وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (٩) الحشر، (١٦) النفاين
- الواجب بذله يبدأ بواجب الشرع ثم واجب المروءة فمن منع واحدًا منهم فهو البخيل، فالبخيل هو الذي يمنع حيث لا ينبغي أن يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة، ومن يبذل ونفسه تنازعه فهو متسخ وليس بسخي، وقال ﷺ (لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة)
- خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق، وقال ﷺ (السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلا سخي، والبخل شجرة في النار فلا يلج النار إلا بخيل).
- الشح أشد من البخل لأن البخل يبخل بما في يده، والشح يمنع ما في يده وما في يد غيره.
- مدحت امرأة عند سيدنا رسول الله ﷺ فقالوا صوامه قوامه إلا أن فيها بخلاً، قال (فما خيرها إذا).
- الجود وسط بين البخل والسخاء أو بين القبض والبسط.

علاج البخل :

- اعلم أنَّ البخل سببه حب المال ليحقق الشهوات مع طول الأمل، والعلاج هو قصر الأمل في الدنيا، ومن كان قصير الأمل وله أولاد أقام الولد مقام طول الأمل، ولذلك قال ﷺ (الولد مبخلة مجبنة مجهلة) أي يترك المال لولده وينقلب هو إلى شر، ومن يحب المال لذاته فهذا علاجه أن يعرف أنَّ المال وسيط فقط (فَمَنْ تَرَكَ الْهَدَفَ وَأَعَزَّ الْوَسِيطَ فَقَدْ ضَلَّ) والعلاج أن يفارق المال تكلُّفاً ولو رياءاً حتى تسمح نفسه بالعطاء ثُمَّ يعالج الرياء بعد ذلك.

المقارنة بين الفقر والغنى

الفقر الصابر خير من الغني الشاكر على الإجمال لأنَّ هذا اختيار سيدنا رسول الله ﷺ، وفي المقابل سيدنا عبد الرحمن بن عوف آخر مَنْ يدخل الجنة مع كونه من المبشرين بالجنة لطول حسابه. وقال ﷺ (يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم، يتمتعون والآخرون جثاه على ركبهم للحساب).

كتاب ذم الجاه ص ٢٧٤

- الرياء هو التظاهر بالخير وإظهار العمل ليكسب لذة القبول عند الخلق وأن ينظروا إليه بعين الوقار والتعظيم، والرياء هو الداء الدفين وهو أعظم شبكة للشياطين، والجاه كمال وهي يتصوره المريض بالعظمة.

- والجاه والرياء مرض العلماء والزهاد والمشمريين عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، ولأنَّ الله سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك والبحث عن الجاه والرياء بالقول والفعل نوع من الشرك الخفي لذلك فإنَّ الرياء وطلب الجاه مذمومان.

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

قال ﷺ (حسب امرئٍ من الشر أن يُشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله)، والمذموم هو طلب الشهرة، أما وجودها من جهة الله من غير تكلف من العبد فليس بمذموم كالأنبياء. نعم في الجاه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى فأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فإنَّهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم، وأمَّا القوي فأولى به أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك.

يقول الحق سبحانه "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا" (٨٣) القصص أي أنَّ الدار الآخرة للخلي من الإرادتين (حب المال وحب الجاه) لأنَّهما يُنبِتَانِ الْيُفَاقَ، فبالمال تملك الأعيان وبالجاه تملك القلوب، فالغني يُسخر المال ليتوصل للمقاصد والشهوات وحظوظ النفس، وكذلك ذو الجاه يُسخر القلوب ليتوصل إلى أغراضه ومآربه، وكذلك صاحب المال يَسْتَرْقِ الْعِبَادَ قَهْرًا وصاحب الجاه

يسترقي العباد طوعًا، وينبغي أن يكون له الأحرار عبيدًا مع الفرح بالعبودية والطاعة له، لذلك ما يطلبه الجاه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير، وثمرات الجاه أن يمدح من الغير في كل مجلس. والجاه محبوب بالطبع ولذلك أسباب كثيرة :-

(١) الجاه آله ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه ملك المال ومن ملك المال ربما ملك الجاه، فالتوصل (فالوصول) بالجاه إلى المال أيسر.

(٢) المال معرض للبلوى والتلف ولكن القلوب إذا ملكت فهي خزائن عتيدة.

(٣) ملك القلوب يسري ويزداد وينتشر من غير حاجة للتعب بخلاف المال، ولهذا فإن الطبع يحب الصيت وانتشار الذكر، وفي الطباع أمر عجيب هو حب جمع الأموال وكثر الكنوز وحب الجاه لأنَّ بهما يتوصل لكل محبوب وله سببان :-

السبب الأول : خوف الفقر وحب الحياة والخوف من هجوم الحاجات والمرض الذي يلزم وجود المال لعلاجه.

السبب الثاني : وهو الأدق وهو ما في القلب من صفات الربوبية، ولتوضيح ذلك نقول :-
للقلب أربع صفات وهي :-

- صفات بهيمية كالأكل والوقاع.

- صفات سبعية كالقتل والضرب.

- صفات شيطانية كالمركر والخديعة.

- صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء، ومنها يتولد حب المال والجاه.

والربوبية تعني التوحد بالكمال والتفرد بالوجود، فإنَّ المشاركة في الوجود تقص لا محالة والنفس لعجزها عن إدراك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فتسعى للجاه وجمع المال، وفي المقابل فإنَّ العلم والقدرة هما فقط الكمال الذي يستحق المجاهدة، فلا كمال بعد فوات التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة، ولكن الكمال الحقيقي متلبس بالكمال الوهمي، والعلم الحقيقي هو المعرفة بالله فلا سعادة إلا في معرفة الله تعالى، وهذه المعرفة تستمر مع العبد بعد الموت لقوله تعالى "تُورْهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا" (٨) التحريم

وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد وإنَّما القدرة الحقيقية لله، وما يحدث من الأشياء والأفعال عقب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله لها، فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى وأما كمال القدرة فلا.

والعلم يلزمه الحرية للخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا، فالعلم والحرية هما الباقيات الصالحات ولكن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له فهو مذموم.

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها، فحكمه حكم المال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا فلا بد من وجود أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق، فمثلاً :

- حبه لأن يكون له في قلب خادمه ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم.
- حبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن منه بمرافقته ومعاونته ليس بمذموم.
- حبه لأن يكون له في قلب أستاذه ما يحسن به إرشاده وتعليمه ليس بمذموم، وكذلك لأن الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال والمال وسيلة ليكون له سكن وملبس ومعاش حلال ومقبول، وكذلك مباح له أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كما قال سيدنا يوسف عليه السلام "اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَفِيفٌ غَلِيمٌ" (٥٥) يوسف، ومباح له أن يسعى لإخفاء عيب من عيوبه ومقصد من مقاصده لأن حفظ الستر على القبايح جائز ولا يجوز هتك الستر.
- أمّا المذموم فهو السعي للجاه بالرياء ليظهر أنه عالم أو شيخ ورع وهو غير ذلك، فهذا حرام وممنوع.
- وصاحب الجاه يُحب أن يُمدح، ومن أسباب حب المدح :-
- (١) شعور النفس بالكمال.
- (٢) المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه يريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته.
- (٣) الجاه سبب لاصطياد القلوب.

بيان علاج حب الجاه

من غلب عليه حب الجاه فهو مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوف بالتودد إليهم والمراعاة لأجلهم، ويجر ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والمراعاة بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتناص القلوب، وعلاج ذلك بالعلم والعمل.

العلم بأن العمر قصير وبعد فترة بسيطة يتساوى الرئيس مع المرؤوس تحت التراب. والعمل بمباشرة أعمال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق مع الحذر أنه ممنوع لمن يقتدى به فإنه يوهن الدين في قلوب المسلمين، ويعمل على اعتزال الناس، ولا يقطع الطمع عن الناس إلا القناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يُشغل قلبه بالناس، ويعين على ذلك أحوال السلف وتذكر سيرهم، فإذا أدرك ذلك سعى في وسائل العلاج وهي :-

(١) يقول لنفسه هل هذه الصفة التي يمدحك بها الناس هل أنت متصف بها أم لا ؟ فإذا كنت متصف بها فهل تستحق المدح كالعلم والورع، فلا يصح الفرح بها لأن الخاتمة مجهولة، وإذا كان المدح لصفه لا تستحق المدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية، فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا ، وإذا كان المدح لصفه غير موصوف بها فيكون فرحك بالمدح غاية في الجنون فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح بها.

(٢) قطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله.

(٣) من فرح بمدح فقد مكّن الشيطان من أن يدخل في بطنه لقوله ﷺ مرة للمادح (ويحك قصمت ظهره، لو سمعتك ما أفلح إلى يوم القيامة).

وفي مقابل المدح يأتي الذم وهو ذكر العيوب عند الآخر وله ثلاثة أحوال :-

(١) كاذب فيما يقول فله الشكر فقد أهدى إليك حسناته.

(٢) صادق فيما يقول ولكن يقصد الإيذاء فله الشكر فقد أهدى إليك حسناته وما ستره الله عنه أكثر وتدعو له (اللَّهُمَّ أصلحه وتب عليه وارحمه).

(٣) صادق فيما يقول ويقصد النفع والشفقة فله الشكر فقد أهدى إليك عيوبك.

بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم

الناس لهم أربعة أحوال ودرجات وهي :-

- (١) أن يفرح بالمدح ويغضب من الذم، وهذا غاية المعصية.
- (٢) أن يمتنع في الباطن على الذم ويفرح بالمدح، وهو من النقصان ولكن بالنسبة لما قبله فهو الكمال.
- (٣) يستوي عنده ذامه ومادحه، وعلامته أن لا يجد استثقلاً للذم عند جلوسه معه ولا يجد في نفسه زيادة همه ونشاط في قضاء حوائج المادح، وهو عين الكمال.
- (٤) أن يكره المدح ويمقت المادح إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر ويجب الزام ويعلم أنه يهد إليه عيبه ومرشد له ويهد إليه حسناته، وهذه أعلى الدرجات ويندر وجودها.

بيان طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء

الرياء من الرؤية، والسمعة من السماع، وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير والرياء إما في أمور الدنيا وإما في أمور الدين، والرياء بحكم العادة إرادة العباد بطاعة الله، وعلى هذا فالرياء حرام والمرائي ممقوت عند الله لأنه يعمل بطاعة يريد بها الناس (وهو الشرك الأصغر)، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ في الحديث القدسي (مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيٌّ وَأَنَا أَغْنِي الْأَغْنِيَاءَ عَنِ الشَّرْكِ)، ويقول سيدنا رسول الله ﷺ عن المقتول في المعركة والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ (كَذَبْتَ بَلْ أُرِدْتُ أَنْ يَقَالَ فَلَانُ شَجَاعٌ، وَالثَّانِي كَذَبْتَ بَلْ أُرِدْتُ أَنْ يَقَالَ فَلَانُ جَوَادٌ، وَالثَّالِثُ كَذَبْتَ بَلْ أُرِدْتُ أَنْ يَقَالَ فَلَانُ قَارِيٌّ وَقَدْ قِيلَ).

والأعمال في صعودها للعرض على الله تُرد إلا الأعمال الخالصة لوجه الله فهي التي تتخطى السموات السبع للعرض على الحق.

في السماء الأولى مَلَكٌ يَمْنَعُ كُلَّ عَمَلٍ فِيهِ غِيْبَةٌ أَنْ يَصْعَدَ.

وفي السماء الثانية مَلَكٌ يَمْنَعُ كُلَّ عَمَلٍ قَصْدٌ بِهِ عَرْضُ الدُّنْيَا.

وفي السماء الثالثة مَلَكٌ يَمْنَعُ كُلَّ عَمَلٍ فِيهِ كِبَرٌ.

وفي السماء الرابعة مَلَكٌ يَمْنَعُ كُلَّ عَمَلٍ فِيهِ عَجَبٌ.

وفي السماء الخامسة مَلَكٌ يَمْنَعُ كُلَّ عَمَلٍ فِيهِ حَسَدٌ.

وفي السماء السادسة مَلَكٌ يَمْنَعُ كُلَّ عَمَلٍ لَا رَحْمَةَ فِيهِ.

وفي السماء السابعة مَلَكٌ يَقُولُ إِنِّي أَحْبَبْتُ عَنْ رِيٍّ كُلِّ عَمَلٍ لَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعلاوة المرائي أنه يكسل إن كان وحده وينشط إذا كان بين الناس، وكذلك يزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم.

المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء (يا مرائي، يا غادر، يا خاسر، يا فاجر) اذهب وخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا، ويقول الفضيل بن عياض (كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون).

إن الله يعطي العبد الثواب على نيته ولا يعطيه على عمله لأن النية لا رياء فيها وهي بين العبد وربّه ولذلك فالنية مقدمة على العمل وعليها يكون المعول، والرياء درجات منه الحرام ومنه المكروه ومنه المباح، فكما أن كسب قليل من المال محمود فكذلك قليل من الجاه وهو ما يسلم به من الآفات أيضًا محمود، وكما أن كثير المال يُطغي فإن عظيم الجاه يُطغي، ولكن أهل القدوة والرسول يلزم أن يظهروا محاسن أحوالهم لئلا تزدريهم الأعين.

وأعظم درجات الرياء هو الذي يرائي بأصل الدين أي يرائي بظاهر الإسلام، وهؤلاء هم المنافقون وهم الذين جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر.

وأقل من ذلك هو مع كونه مصدق بأصل الدين يرائي بأصول العبادات مثل من يحضر صلاة الجمعة خوف المذمة والذي يصلي أمام الناس فقط.

وأقل منه درجة من لا يرائي بأصل الدين ولا يرائي بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل والسنة خوفًا من المذمة أو طلبًا للمحمدة.

وأقل منه درجة من يُحسن الركوع والسجود وترك الالتفات أمام الناس فقط أو كحضور صلاة الجماعة قبل القوم وقصده الصف الأول، وهذا النوع من الرياء يمكن أن ينقسم إلى الآتي :-

- الرياء بالبدن كإظهار الصيام وآثاره، وأهل الدنيا يظهرون مظاهر العز.
- الرياء بالهيئة والزى كلبس الخشن من الثياب وتقصير الثوب وإطلاق اللحية، وأهل الدنيا يراءون بالملابس والمراكب والمسكن.

- الرياء بالقول كإظهار غزارة العلم وتحريك الشفتين بالذكر في محضر (حضور) الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات وترقيق الصوت بالقرآن والمجادلة على قصد إغنام الخصم وهكذا.

- الرياء بالعمل وهو الرياء في الصلاة والصيام والحج والصدقة.
- الرياء بالأصحاب والزائرين والمخالطين فيباهي بشيخه ويرائي بمن زاره من العباد والزهاد وبذلك يطلب الجاه والمنزلة في قلوب العباد.

والمرائي له مقصود وهو العباد إنما يرائي لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض وله درجاته :-
(١) أن يكون مقصوده التمكن من معصية أي يبدو تقي ورع ليأخذ الودائع أو يُعين في القضاء، وهؤلاء أبغض المرائين.

(٢) أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا.

بيان الرياء الخفي

الرياء نوعان رياء جلي ورياء خفي، الرياء الخفي هو أن يعمل العمل في السر ولكن يُسر بإطلاع الناس على طاعته، فزُبَّ عبد مخلص في عمله ولا يعتد الرياء ولكن إذا أطلع عليه الناس سرّه ذلك وارتاح له، وهذا السرور يدل على رياء خفي ولكن هناك السرور المحمود مثل :-

- أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله، وأن الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة وكأنّه ظهر له أن عند الله مقبول وفرح به.

- أن يظن رغبة المطلقين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره.

- ولكن المذموم هو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس.

ومن الرياء الخفي أن يحب المرئي إذا لقي أحداً أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجته أحب أن تقضى له لمكان دينه، وعلى ذلك فإن شوائب الرياء الخفي كثيرة لا يمكن حصرها.

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي

إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص فإذا ورد بعد الفراغ منها ما يسره ومن غير إظهار فهذا لا يفسد العمل وقال بعضهم إنّه يثاب على عمله الذي مضى ويعاقب على مرأته بطاعة الله بعد الفراغ منها، وقد روي أن رجلاً قال لسيدنا رسول الله ﷺ (يا رسول الله أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه أحد فيطلع عليه رغماً عني فيسرني ذلك، قال ﷺ لك أجرين أجر السر وأجر العلانية) لأن العمل صادر عن ما يحث به الدين، وأما إذا كان العمل ما يحثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده.

بيان دواء الرياء بطريق معالجة القلب فيه

الرياء مُحبط للعمل ويلزم المجاهدة الشديدة بالعلم والعمل :

بالعلم فإن الله سيكشف سره ويغضبه الناس وهو كذلك ممقوت عند الله.

ثانياً : يعود نفسه إخفاء العبادات كما تغلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله ويشمر لدفع عارض الرياء.

وعارض الرياء يمر بثلاث مراحل هي :-

(١) العلم باطلاع الخلق.

(٢) الرغبة في اطلاع الناس.

(٣) العزم وتصميم العقد.

ورد ذلك بالمعرفة والكرامة والإيذاء لينصرف عن الفعل، وكذلك لا يشتغل بمجادلة الشيطان ووساوسه.

بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات

قال تعالى "إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" (٢٧١) البقرة

- إظهار العمل كالصدقة لترغيب الناس لمن كان قدوة.

- إظهار كل عمل لا يمكن إسراره كاللحج والجهاد والصلاة المفروضة والصدقة المفروضة.

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهية اطلاع الناس

الإخلاص هو استواء السرية والعلانية، والصادق الذي لا يراي له ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويفرح بستر الله عليه.

بيان ترك الطاعات خوفاً من الرياء

- ترك العمل خوفاً من أن يكون مرائياً موافقة للشيطان، لأن الطاعات منها ما هو لا لذة فيه كالصلاة والصوم فإنها مقاسات ومجاهدات لأن الشيطان يدعوك أولاً إلى ترك العمل فإذا لم تُجب واشتغلت فيدعوك إلى الرياء.

من ترك العمل خوفاً من قولهم إنه مرائي هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم إنه مرائي أو قالوا أنه مخلص، وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخيرات.

أما تولي القضاء والولاية فالبعد أفضل إلا إذا اختير رغماً عنه وخاصة الأقوياء في الدين وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم، وقوله ﷺ (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها)، وأما الوعظ فأفته عظمة فمن لا باعث له إلا طالب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه، فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وأنظر لنفسك، ولو واضب على الوعظ بغرض الجاه فهو الهالك وحده (ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه موحش مظلم)، كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه موحشة مظلمة.

ولكن في العلم والوعظ رغائب كثيرة لقوله ﷺ (لأن يهدي الله بك رجلاً خير من الدنيا وما فيها) وقوله ﷺ (أيا داع دعا إلى الهدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه) ولذلك يجب الاشتغال بالعلم وترك المراء، وإن كنت ممن يعظ فانظر إلى من هو أحسن منك وعظاً أو أغزر منك علماً والناس أشد قبولاً له، هل تفرح به أم لا أم تحسده؟، والثانية إذا حضر مجلسك الأكابر هل يتغير كلامك أم لا؟ والثالثة هل تحب أن يتبعك الناس في الأسواق؟.

ولتجنب الرياء راقب قلبك في كل ما يخطر لك وأنظر ما هو؟ ومن أين هو؟ لأن للرياء سبعين باباً.

بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم قبل العمل وبعده وفيه

- أن يعلم أن الله يعلم جميع أحواله وطاقاته، وأن يخاف الله ولا يرجو إلا الله، وأن الخلق عاجزون عن أن ينفعوك أو يضروك.

- الإخلاص يقين والرياء شك.

- التقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس قاصداً دخول السرور على قلوبهم دون شكر ومكافأة وحمد وثناء.

- لا ينجيك من الرياء إلا أن تُخرج ما سوى الله من قلبك،

قال ﷺ قال تعالى (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيها قصمته) وفي رواية (ولا أبالي)، فالتكبر والمعجب مريضان وعند الله ممقوتان مبغضان، والتكبر يظهر في شئائل الرجل ويظهر في مشيته وتبخره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته.

ذم الكبر

- قال تعالى "سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ" (١٤٦) الأعراف وقال تعالى "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ" (٢٣) النحل وقال تعالى "وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ" (١٥) إبراهيم.
- قال ﷺ (لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يوم القيامة في مثل صور النذر تطوهم الناس)، وقال ﷺ (مَنْ فارق روحه وهو برئ من ثلاث دخل الجنة، الكبر والدين والغلول).
- وقال الأحنف بن قيس (عجبا لابن آدم وقد خرج من مجرى البول مرتين)،
- وقالوا في تفسير قوله تعالى "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (٢١) النازيات (البول والغائط).
- وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال (الكبر).
- وقال مطرف بن عبد الله (يا عبد الله أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة).

بيان فضل التواضع

- قال سيدنا رسول الله ﷺ (ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)، وأخلاق المتواضعين تفوق العد ولكن منها طريقة كلامه ولبسه، يعمل شغلاً في بيته ويأكل مع خادمه، ويحمل متاعه بنفسه، ويلبس الوسط من اللباس، ولا يمانع من جلوسه مع المعلولين والمرضى، وأن لا يستخدم ضيفه في خدمته، وقال ﷺ (أربع لا يعطين الله إلا مَنْ أحب، الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله، والتواضع، والزهد في الدنيا).
- وقالوا (من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب)، وقالوا (ما دام العبد يظن أنَّ في الخلق مَنْ هو شر منه فهو متكبر) أي إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً، وقالوا (التواضع أحد مصايد الشرف)، وقالوا (كل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع)، وقالوا (الشريف إذا تنسك تواضع، والسفيه إذا تنسك تعاضم)، وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه (وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع).

بيان حقيقة الكبر وآفاته

- اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر
- الكبر الباطن: وهو العجب بالنفس الذي يقود للحقد والحسد والرياء، فكم من رذل لا تطاوعه نفسه للتواضع لواحد من الأكابر لحقه عليه أو بغضه له حسداً، وقد يكون الباعث على التكبر هو الرياء ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه.

الكبر الظاهر : هو الأعمال التي تصدر من الجوارح، وإعمال الجوارح لها أسماء كثيرة (تسمى تكبراً، وتسمى عزة، وتسمى تعظماً)، وينظر للعامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالاً واستحقاراً.

- وهذا الكبر والعز يغلق أبواب الجنة جميعها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يجب لنفسه وفيه شيء من العز، ولا يقدر على التواضع وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز، ولا يقدر على أن يدوم على الصدق وفيه العز، ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز، ولا يقدر على كتم الغيظ وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز، ولا يسلم من الغيبة وفيه العز، فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز مضطر إليه ليحفظ عزة، لكل ذلك لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منه.

- والتكبر درجات أعلاها التكبر على الله كما قال فرعون "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى" (٢٤) النازعات، ويليه التكبر على الرسل كما قالوا "إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا" (١٠) إبراهيم، ويليه التكبر على الخلق وهو الذي ينزع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله سبحانه وتعالى وعلى رأسهم إبليس حين قال "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (١٢) الأعراف، (٧٦) ص، لأن الكبر كما قال سيدنا رسول الله ﷺ (الكبر هو بطر الحق وغمض الناس) أي ازدراؤهم واستحقارهم وهم عباد الله أمثاله.

- والدافع للكبر هو أن يجد في نفسه صفة من صفات الكمال، وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو كمال دنيوي.

- الكمال الديني إما في العلم أو في العمل

- الكمال الدنيوي يكون في النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأولاد والأنصار.

(١) **التكبر بالعلم :** ما أسرع الكبر إلى العلماء (آفة العلم الخيلاء) لأنه يستحق الناس ويستجملهم، ويتوقع أن يبدوه بالسلام، ويذورونه ولا يزورهم، ويرى نفسه عند الله تعالى أفضل منهم، وعلاج ذلك أن يرى الناس خيراً منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقديره في القيام بشكر نعمة العلم.

(٢) **التكبر بالعمل :** (أي العبادة) وهو مرض الزهاد والعباد، فإنه يرى أنه أحق أن يُخدم من الناس الذين حوله، ويرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجياً، فهو مزدرٍ بخلق الله مغتر بالله وكما قال ﷺ (كفى بالمرء شراً أن يُحقر أخاه المسلم)، فالجاهل العاصي إذا تواضع هيبة لله تعالى وخوفاً منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب، وعلاج ذلك الإيمان بأن مكر الله أعظم ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وهذا المتكبر بالعلم والعمل له درجات أعلاها أن يكون مستقراً في قلب، وأقل من ذلك أن يظهر على جوارحه، وأقل من ذلك أن يظهر على لسانه وقد يزي نفسه بذكر كثرة مشايخه ومن تعلم منهم.

(٣) التكبر بالحسب والنسب.

(٤) التفاخر بالجمال، وذلك أكثر ما يجري بين النساء.

(٥) التفاخر بالمال : فيستحق الغني الفقير ويتكبر عليه.

(٦) التكبر بالقوة والبطش على أهل الضعف.

(٧) التكبر بالاتباع والأنصار والأولاد والأقارب.

٨) كذلك الفساق يفتخرون بكثرة الشرب وكثرة الفجور.

معالجة الكبر واكتساب التواضع

الكبر من المهلكات، ومعالجته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني ولكن بالعلم والعمل. أمّا العلم فمن عرف نفسه فقد عرف ربه إذا علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا لله، وكيف يتكبر كنيه في قميص، والرجيع في أمعائه، والبول والبراز في بطنه.

وأما العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل، ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين، ولينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال ويواظب على تقيضه حتى يصير التواضع له خُلُقًا، أولها التواضع والذل والسجود في الصلاة.

- والتكبر بالنسب يعالجه في التذكر باستمرار أن أصله من تراب ونسله من ماء مهيّن.
- والتكبر بالجمال يعالجه بالنظر إلى باطنه وما فيه من أقدار، ولو لم يتعهد جسده بالنظافة يومًا واحدًا لتعفن.

- والتكبر بالقوة يعالجه بقول الحق "وَإِنْ يَسْأَلُكُمُ الدَّيَّانُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ" (٧٣) الحج.

- والتكبر بالغنى والمال يعالجه بقوله أي شرف يسبقك به اليهودي وأي شرف يأخذه السارق في لحظة واحدة.

- والتكبر بالعلم يعالجه بأنه حُجّه عليه لا له وأن حسابه أصعب، فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهل، ويعلم كذلك أن الكبر لا يليق إلا بالله عزّ وجلّ، ويعلم أن الكافر ربما يُخْتَم له بالإيمان ويضل هذا العالم ويُخْتَم له بالكفر، فإذا نظر إلى الجاهل قال هذا عصي الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر مني، وإذا نظر إلى عالم قال هذا لديه علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله، ويتذكر أن ذنوب القلوب من الكبر والحسد والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله شديد عند الله (بمعنى أن يرى الناس كلهم خير منه وأن سرهم الباطن خير منه)، ويمارس هذا حتى يكون التواضع خُلُق منه ويصدر منه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية، فخلق التواضع وسط بين التكبر والمذلة (الخصيس).

ذم العُجب

العُجب مذموم وكما قال سبحانه وتعالى "وَيَوْمَ حَتَّيْنِ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا" (٢٥) التوبة وقوله تعالى "فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ" (٣٢) النجم، وقال ﷺ (ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه).
- العجب أكبر من الذنوب لأن إبليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ومن عجبه صار إلى ما صار إليه.

- العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه ويدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها وما يتذكره منها يستصغره، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه.

- العجب هو استعظام النعمة والركون إليها.

- وعلة العجب هو الجهل، وعلاجه المعرفة أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه.

ما به العجب

- أن يعجب بنفسه في جماله وهيئته وصحته وقوته وبطشه.
- العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور.
- العجب بنسب السلاطين وأعوانهم دون نسب الدين والعلم.
- العجب بكثرة الأولاد والعشيرة.
- العجب بالرأي الخطأ وكما قال تعالى "أَقَمْنِ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فِرَءَاهُ حَسَنًا" (٨) فاطر وقوله تعالى "وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" (١٠٤) الكهف.
- العجب بالمال والغنى
- العجب بالنسب، وعلاجه بقوله تعالى "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ" (١٣) الحجرات.

ذم الغرور

الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع، والغرور من الجهل إلا أن كل جهل ليس بغرور.

- غرور الكفار هو اعتقادهم أن النقد (الحاضر) خير من النسيئة المؤجل (أي الدنيا خير من الآخرة)، وقالوا (اليقين خير من الشك، اعتباراً أن الدنيا يقين والآخرة شك) وهذا تضليل لأن كل التجارة تقوم على عكسه فالرجح نسيئة والرجح شك.

- غرور العصاة من المؤمنين بقولهم (إن الله كريم وأنا نرجو عفوهُ) ونسي المغرور أن نوحاً عليه السلام أراد أن يصطحب ولده معه في السفينة، وأن سيدنا إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه وأن الله شديد العقاب.

- ويجب التفريق بين الغرور والرجاء، فقد قيل للحسن رضي الله عنه (قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل، فقال هيهات هيهات، مغرورون تلك أمانهم يترجون فيها فمن رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه) وكما لا ينبت زرع إلا بحرثه وبث بذره فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح.

- والرجاء مقبول عند من يستغفر عند الذنب، فمن توقع المغفرة مع التوبة فهو راجٍ، وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور، فمع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب.

- ومحض الغرور أنه يعد تسبيحاته واستغفاره ولا يعد ما يقوله غيبة في حقوق الغير ويكون نظره إلى عدد سبخته وأنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طوال النهار ولو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة ألف مرة.

بيان أصناف المغرورين

الصف الأول : أهل العلم.وهم :-

(١) فرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها من المعاصي والزماها بالطاعات، فمن أحكم علم الطاعات ولم يعمل بها وأحكم علم المعاصي ولم يتجنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق الحمودة ولم يوصف بها فهو مغرور، ولذلك قال الحق "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا" (٩) الشمس ولم يقل (قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها) وقوله تعالى "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" (٥) البقرة، وقوله ﷺ (من ازداد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بُعداً) لأن العلم حجة عليه، وقوله ﷺ (أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) وذلك عين الغرور، ومن يدعي العلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد.

(٢) فرقة أخرى أحكموا العمل والعلم إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليحوا الصفات المذمومة مثل الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة وإرادة السوء للأقران وطلب الشهرة فهؤلاء مغرورون لأنهم لا يعلمون قول سيدنا رسول الله ﷺ (لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر) فقد زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ومثلهم كمثل بيت مظلم باطنه ووضع السراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم.

(٣) وفرقة أخرى علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك.

(٤) وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة.

(٥) وفرقة أخرى اشتغلوا بالوعظ والتذكير، وسبب غرورهم أنهم يعجبون بأنفسهم.

(٦) وفرقة أخرى قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم دون العمل.

(٧) وفرقة اشتغلوا بعلم النحو والشعر وغريب اللغة واغترؤا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة.

(٨) وفرقة كان غرورهم في فن الفقه.

الصف الثاني : أرباب العمل (أرباب العبادة) والمغرورون منهم فرق كثيرة.

(١) فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وتراهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل ولا يجد للفريضة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها.

(٢) فرقة غلب عليهم الوسوسة وخاصة في الوضوء والصلاة والطهارة حتى يخرج من الصلاة.

(٣) وفرقة تغلب عليهم الوسوسة في إخراج الحروف من مخارجها وخاصة في الفاتحة وسائر الأذكار والفرق بين الضاد والظاء وهكذا.

(٤) وفرقة اغترؤا بقراءة القرآن ولا يتفكرون في معاني القرآن ولكن اقتصر على حفظه وهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه.

(٥) فرقة اغترؤا بالصوم ولا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة والرياء وبطونهم عن الحرام.

(٦) وفرقة اغترؤوا بالحج والعمرة ولا يخرجوا من المظالم واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال.

(٧) وفرقة اشتغلوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونسى نفسه واشتغل بطلب العزة والرياسة.

٨) فرقة جاوروا بمكة والمدينة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم.

الصنف الثالث : وهم المتصوفة ومنهم فرق :

١) فرقة اغتروا بالزى والهيئة والمنطق وتشبهوا بهم ولم يتعبوا أنفسهم في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن الظاهر، وهؤلاء غرورهم ظاهر.

٢) وفرقة ادعت علم المعرفة ومجازة المقامات والأحوال والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسماء والألفاظ فهؤلاء ما أعظم غرورهم.

٣) وفرقة وقفت في الإياحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام بزعم أن الله مستغن عن عملهم وبعضهم يقول أن أعمال الجوارح لا وزن لها إنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله ورسوله.

٤) ومنهم من أهل الحلال في مطعمه وملبسه وأخذ يتعمق في غير ذلك ولا يعلم المسكين أن الله لا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال.

٥) وفرقة ادعوا حسن الخلق والتواضع وتصدروا لخدمة الصوفية وإنما غرضهم التكبر وباعث جميعهم الرياء.

٦) وفرقة جادون في السير إلى الله فوصلوا إلى حد القرية فوقفوا وغلطوا فإن الله سبعين حجاباً من النور نور بعضها أكبر من بعض، وهذه الحجب التي رآها سيدنا إبراهيم عليه السلام في قول الحق "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي" (٧٦) الأنعام لأن كل ذلك في علم الملكوت وليس علم الملك، وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلاً في وجهه فغلطوا فيه كمن يرى كوكباً في مرآه، وعلى ذلك فإن أنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى.

الصنف الرابع : أرباب الأموال، ومنهم فرق :

١) فرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس وربما جميعها من حرام، ويصرون على كتابة أسمائهم عليها.

٢) وفرقة اكتسبت المال من حلال وأنفقها في بناء المساجد ولكن للرياء بطلب الثناء أو بصرفها على زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش.

٣) ومنهم من ينفقون أموالهم على الصدقات والحج ويتركون جيرانهم جوعاً.

٤) ومنهم من يحفظون الأموال ويخلون بها ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا تحتاج فيها إلى نفقة.

٥) ومنهم من لا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم يخرجونها من المال الخبيث.

العلاج من الغرور.

اعلم أنه ينجو منها بثلاثة أمور العقل والعلم والمعرفة.

الأول هو العقل : ويعنى بالعقل الفطرة الغريزية التي يدرك الإنسان بها حقائق الأشياء، فصفاء القلب وذكاء الفهم لا بد منه وإذا كان الأصل موجوداً فيمكن تقويته بالممارسة لأن الأحق يصيب بحمقه أعظم من فُجر الفاجر.

الثاني هو العلم : ويعنى بذلك كيفية سلوك الطريق إلى الله.
الثالث هو المعرفة : ويعنى بذلك أن يعرف أربعة أمور، أن يعرف نفسه، ويعرف ربه، ويعرف الدنيا، ويعرف الآخرة، وبذلك يسعى إلى ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة.
فإن فعل كل ذلك يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى تصنع الخلق أو نشر العلم ويدعوه للرياسة.

تلخيص الجزء الرابع من كتاب إحياء علوم الدين ربع المنجيات

التوبة

الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنًا محكمًا، فالتوبة تصحيح النسبة لآدم، والمصر على الطغيان سجل نفسه مع أحباب الشيطان، أما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الإمكان، والإحراق بالنار ضروري في تخلص جوهر الإنسان من خبائث الشيطان، وإليك الآن اختيار أهون النارين والمبادرة بالتوبة قبل أن يطوى بساط الاختيار وتساق إلى دار الاضطرار إما في الجنة وإما في النار.

تعريف التوبة:

(الندم توبة) كما قال الحبيب المصطفى ﷺ، وقالوا (هو ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ)، وقالوا (هو) خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفاء)، والتوبة تمر بثلاثة أمور (مراحل) متعاقبة (علم ثم حال ثم عمل). فالعلم بالتصديق أن الذنوب سموم مهلكة وأن ضررها عظيم، هذا اليقين يقود إلى الحال الذي يدفع لترك الذنب حالاً وبالعزم على ترك الذنب مستقبلاً والندم على ما فات وتلافي أضراره بالجبر والقضاء، وهذا الحال يقود للفعل بمقتضى الحال الماضي والحاضر والمستقبل.

وجوب التوبة :

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة لأنه لا يقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلبًا للأنس به بدوام ذكره، فالانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب لقوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُبُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا" (٨) للحریم، ولا يكون الانصراف إلا بترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال، وقوله ﷺ (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) أي أنه مؤمن أن هذا الفعل مهلك ولكن الإيمان العقدي (العقائدي) باقٍ ولكن ينقص ويزيد، لأن الإيمان نيف وسبعون بابًا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، أي أن للإيمان نيفًا وسبعين موجودًا أعلاها القلب والروح وأدناها إمطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشعر مقلم الأظافر بقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم.

والتوبة تعني الرجوع لأن الشهوات تكمل في الصبا والشباب قبل كمال العقل، فقد سبق جند الشيطان واستولوا على المكان ووقع للقلب به أنس وألف قبل كمال العقل وجنده هم الملائكة، فالتوبة فرض عين في حق كل شخص ولا يتصور أن يستغني عنها أحد من البشر كما لم يستغن عنها آدم عليه السلام.

أقسام الذنوب :-

الذنوب تنحصر في أربعة أبواب تبعاً لما في الإنسان من صفات الربوبية والصفات الشيطانية والصفات البهيمية والصفات السبعية.

(1) صفات الربوبية : يتولد منها الكفر والكبر والفجر وحب المدح والثناء والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء والرياسة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى.

(2) صفات شيطانية : ومنها يتشعب الحسد والبغى والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمكر والغش والنفاق والدعوة إلى البدع والضلال.

(3) صفات بهيمية : ومنها يتشعب الشره.

(4) صفات سبعية : ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس ويتفرع منها جملة من الذنوب.

قسمة ثانية :

اعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد (الأولى ذنوب والثانية سيئات) فأما ما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ وأما ما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركاً فالعفو فيه أرجى وأقرب (اللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا)، فالدواوين ثلاثة:

- ديوان يغفر : وهي الذنوب بين العباد وبين الله.

- ديوان لا يغفر : وهو الشرك بالله تعالى.

- ديوان لا يترك : وهو مظالم العباد.

قسمة ثالثة:

الذنوب تنقسم إلى صفائر وكبائر لقوله تعالى "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ يُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا" (٣١) النساء..

الكبيرة هي كل ما نهى الله عنه، وقالوا (كل ما أوعده الله عليه النار) وقالوا (كل ما أوجب عليه الحد) وكذلك فإن الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، وكل ذنب إلا هو كبير بالإضافة إلى ما دونه وصغير بالإضافة إلى ما فوقه.

قسمة رابعة:

(١) ما يسد باب معرفة الله تعالى ومعرفة رسله (الكفر).

(٢) ما يسد باب حياة النفوس (قتل النفس).

(٣) ما يسد المعاش التي بها حياة الناس (الأموال).

بيان كيفية توزيع الدرجات والدركات

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة وأن الآخرة من عالم الغيب والمملكوت، وأعني بالدنيا حالك قبل الموت وأعني بالآخرة حالتك بعد الموت، وكما قال الحبيب المصطفى ﷺ (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا).

- ينقسم الناس في الآخرة إلى أربعة أقسام وهم (هالكين ومعذبين وناجين وفائزين).

- (1) الهالكين : وهؤلاء هم المكذبون بالله ورسله وكتبه وهم المتجردون للعالم فقط.
- (2) المعذبين : وهؤلاء هم الذين تحلوا بأصل الإيمان ولكن قصرُوا في الوفاء بمقتضاه (فهم موحدون) وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب ويختلف العذاب حيث الشدة والمدة والنوع حسب اختلاف الذنوب والسيئات، وبعد التطهر يلحق بجنان النعيم، وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظلماً العباد فعند الحساب يقوم أصحاب المظالم فيكون قدسب عرض هذا أو أخذ مال هذا أو ضرب هذا فيقضى من حسناته حتى لا يبقى له حسنة ثم يلتقى من سيئاتهم على سيئاته فيهلك بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم.
- ولذلك يجوز العفو عن العاصي وإن كثرت ذنوبه الظاهرة والغضب على المطيع وإن كثرت طاعته الظاهرة، فإن الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف بغيره ؟.
- (3) الناجين : وهؤلاء قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا فلم يكن لهم معرفة ولا جود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم.
- (4) الفائزين : وهم العارفون دون المقلدين، وهم المقربون السابقون الذين لا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم، وهؤلاء لا هم لهم سوى رضا محبوبهم عنهم وكما قال تعالى "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ" (١٧) السجدة

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر بعدة أسباب وهي :-

- (١) الإصرار والمواظبة : ولذلك قيل (لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) لأن القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب (الران) مع العلم أن الكبيرة يتبعها سوابق ولواحق من الصغائر، ولذلك يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثالها من العارف لأن الذنب والمخالفة بقدر معرفة المخالف.
- (٢) السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها.
- (٣) أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإحماله إياه، ولا يدري أنه إنما يمهل مؤقتاً ليزداد بالإهمال إنمّا فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به.
- (٤) أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد فعله وربما يرغبه للغير ويحمله عليه ويهين له الأسباب.
- (٥) أن يكون المذنب عالماً يقتدى به، فمن سن سنة سيئة فعلية وزررها ووزر من عملها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً، وقال ابن عباس رضي الله عنه (ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق) فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه، فهذا يتضح أن أمر العالم في خطر فعليهم وظيفتان إحداها ترك الذنب والآخر إخفاءه إذا حدث.

في تمام التوبة وشروطها

التوبة عبارة عن ندم يورث عزماً وقصدًا، والندم أورثه العلم، ولكل واحد من العلم والندم والعزم الدوام والتمام (أي يستمر إلى الموت).

وقيل أيهما أفضل نسيان الذنب أو جعله نُصَبَ عينيه ويفكر فيه ؟، فقال البعض (حقيقة التوبة أن ينصب الذنب بين عينيه) وقال آخر (حقيقة التوبة أن تنسى الذنب)، والإجابة على ذلك :—
تصور الذنب وتذكره في حق المبتدئ أفضل إلا إذا كان تذكر الحدث يثيره ويدفعه للفعل فنسيانه أفضل، ولكن إذا حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أن لا يعود إلى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر الذنب والبكاء عليه بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم فقط.

بيان أقسام العبادة في دوام التوبة

اعلم أن التائبين أربعة طبقات :-

الطبقة الأولى : وهي التوبة النصوح وهي أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، وهم الذين قال ﷺ عنهم (سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى، وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً).

الطبقة الثانية : وهي تائب سلك طريق الاستقامة في أمحات الطاعات وترك الفواحش كلها إلا أنه تعتريه بعض الذنوب لا عن عمد ولكن يبتلى بها، وهم الذين قال الله تعالى فيهم "الَّذِينَ يَخْتَفُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ" (٣٢) النجم وقوله تعالى "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ" (١٣٥) الأعراف

الطبقة الثالثة : وهو الذي يتوب ويستمر على الاستقامة ولكن تغلبه الشهوات فيقدم عليها عن قصد لعجزه عن قهر الشهوة، وهذا يُخاف عليه من سوء الخاتمة لقول سيدنا رسول الله ﷺ (لأن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها).

الطبقة الرابعة : وهو الذي يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود إلى سابق حاله، وهذا يُخاف عليه من سوء الخاتمة وهم أصحاب النفس الأمارة بالسوء الفرارة من الخير.

والواجب على من ارتكب إثماً أن يبادر بالتوبة والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها فإن لم تساعد النفس وعجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الأمر الثاني وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليحوها فيكون من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً (فما أضر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة).

والتوبة والاستغفار درجات وإياك أن تستصغر ذرات الطاعات فإن مجرد الاستغفار باللسان يُعد حسنة لقوله تعالى "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ" (٧) الزلزلة.

دواء التوبة

الإصرار على الذنب مرض عضال يلزم علاجه بطبيب من أطباء القلوب وهم نُذُرٌ، زد على ذلك أن مريض القلب لا يدري أنه مريض كما هو الحال في مرض الأجسام وكذلك فإن عاقبته غير مُشاهدة كما هو الحال في مرض الأجسام.

والعلاج مبني على قواعد هي الوعظ والإرشاد بالقرآن والسنة والآثار في ذم المعاصي وحكايات الأنبياء والسلف الصالح، وتوضيح أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب، وأن العلاج يحتاج إلى الصبر

الطويل، وقال رجل لـإبراهيم ابن أدهم أوصني؟ فقال (إياك والناس، وعليك بالناس، ولا بد من الناس، فإن الناس هم الناس، وليس كل الناس بالناس، ذهب الناس وبقي النسناس، وما أراهم بالناس، بل غمسوا في ماء اليأس).

وأجمال ذلك : يرجع الأمر كله للإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عليه، والصبر لا يكون إلا بالخوف، والخوف لا يكون إلا بالعلم، والعلم لا يكون إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنب، وهذا التصديق لا يكون إلا بتصديق الله ورسوله وهو الإيمان.

كتاب الصبر والشكر ص ٦٠

الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر، ومن أسمائه سبحانه وتعالى (صبور شكور)، فالصبر والشكر مرتبطان.

ذكر الصبر وفضيلته في نيف وسبعين موضعاً في القرآن، والصوم نصف الصبر، ويكفيهم فخراً أن قال الله تعالى فيهم "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" (البقرة: ١٥٣) (أي أن معية الله معهم)، وقال تعالى "أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" (البقرة: ١٥٧) (أي أن الهدى والرحمة والصلوات للصابرين، والصبر كنز من كنوز الجنة، وقالوا (أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفس)، وقالوا (بني الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهد والعدل).

حقيقة الصبر :

الصبر مقام من مقامات الدين له معارف وأحوال وأعمال، فالمعارف كالأشجار والأحوال كالأغصان والأعمال كالثمار.

والصبر خاص بالإنس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة، أما في البهائم فلنقصانها، وأما في الملائكة فلكمالها، ونقصان البهائم في عدم وجود قوة تصادم الشهوة، والإنسان يكون في صباه مثل البهيمة تخلق فيه شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح وليس له صبر، ثم يظهر جند الصبر بالعقل وملكين أحدهما يهديه للحق والآخر يقويه للحق لمعرفة الله ورسوله، هذه الصفة التي فارق الإنسان بها البهائم في قمع الشهوات وقهرها تسمى صبراً، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى، فإذا انتصر باعث الدين التحق بالملائكة وإذا انتصر باعث الهوى التحق بالبهائم

والملكان يثبتا الحسنات والسيئات، وسميا "كِرَامًا كَاتِبِينَ" (١١) لا تظنن أن يسجلان في سجل ينشر مرتين أحدهما عند القيامة الصغرى حال الموت وينشر مرة أخرى عند القيامة الكبرى الجامعة لكل الخلائق لقول الحبيب المصطفى ﷺ (من مات فقد قامت قيامته)، ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض ونسف الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم فإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدت حتى أُلقت ما فيها وتخلت، وما قبل القيامة يسمى عالم الشهادة أو عالم الملك وما بعدها يسمى عالم الملكوت، فالمر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت.

وللإنسان ولادتين الأولى خروج بين الصلب والترائب ويعيش حياة الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة، والولادة الثانية عند الخروج من الرحم إلى فضاء العالم.

وعلى ذلك فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى، وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين.

بيان كون الصبر نصف الإيمان

الإيمان يعني التصديق بأصول الدين وكذلك الأعمال الصالحة الصادرة من هذه العقيدة، وعلى ذلك فالإيمان ركنين يقين (عقيدة) وصبر (عمل) فيكون الصبر نصف الإيمان، وكذلك العمل نصفه صبر ونصفه شكر (الصبر على المكارة والشكر على المنافع).

أنواع الصبر وأقسامه

الصبر البدني والصبر النفسي.

الصبر البدني على مشاق الأعمال الشاقة في العبادات وغيرها والصبر في الأمراض والجراحات، وذلك محمود إذا وافق الشرع.

الصبر النفسي وهو الأهم والمحمود التام وهو الصبر على مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى وله أسماء كثيرة منها :

- (١) العفة : وهو الصبر على شهوة البطن والفرج.
 - (٢) الصبر : عند المصيبة في مقابلة الجزع.
 - (٣) ضبط النفس : وتضاده حالة تسمى البطر والتهور.
 - (٤) الشجاعة : ومضاده الجبن.
 - (٥) كظم الغيظ : ويسمى حلاً ومضادة التذمر، ويسمى كذلك سعة الصدر ويضاده الضجر.
 - (٦) كتمان السر : ويسمى صاحبه كئوماً.
 - (٧) الزهد : وهو الصبر على فضول العيش.
 - (٨) القناعة : وهى الصبر على يسير الحظوظ ويضاده الشره.
- وتلك أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها.

والناس أمام داعي الصبر ينقسموا إلى ثلاثة أقسام (أصناف) وهم :-

- 1) الصنف الأول : وهم الصديقون الذين يقهرون داعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة.
- 2) الصنف الثاني : وهم الأكثرون الذين يغلب عندهم داعي الهوى ويسلم نفسه لجند الشيطان ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وصار عقله في خدمة شهواته.

3) الصنف الثالث : وهم الذين تكون الحرب سجلاً بين الجندين وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، عسى الله أن يتوب عليهم.

وقال بعض العارفين، أهل الصبر على ثلاث مقامات :

ثانيها : الرضا بالمقدور، وهذه درجة الزاهدين.

ثالثها : المحبة لما يصنع به مولاه، وهذه درجة الصديقين.

وكذلك ينقسم الصبر باعتبار حكمه إلى (فرض ونقل ومكروه ومحرم):

فالصبر على المحظورات فرض.

والصبر على المكارة نقل.

والصبر على المؤذي في الدين محرم.

والصبر على المكروه في الشرع مكروه.

وكذلك الصبر نوعان (صبر على ما يوافق الهوى والصبر الذي لا يوافقه بل يكرهه) :

1) الصبر على ما يوافق الهوى : وهو الصبر على فتنه السراء مثل فتنه المال والصحة والجاه وكثرة

العشيرة كما قال الحق تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوهُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ" (٩) المناقشون وقوله

تعالى "إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ" (١٤) التغابن، والمطلوب أن يدعى حقوق الله في ماله

بالإنفاق، وفي بدنه يبذل المعونة للخلق، وفي لسانه يبذل الصدق، وهذا الصبر متصل بالشكر.

(2) الصبر على ما لا يوافق الهوى والطبع : مثل الصبر على الطاعات أمرًا ونهيًا كالصلاة والزكاة والحج

والجهاد لأن العبودية شاقة على النفس مطلقاً، وهذا الصبر قبل الطاعة بتصحيح النية، والصبر أثناء

العمل فلا يغفل عن ذكر الله والصبر بعد العمل حتى لا يفشيه.

* الصبر على المعاصي : وهو أشد أنواع الصبر كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء

وخاصة إذا انضافت (أضيفت) العادة إلى الشهوة.

* الصبر على الأذى من الغير كما قال ﷺ (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَنِ ظُلْمِكَ).

* الصبر على المصائب : وهو الصبر عند الصدمة الأولى مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال

الصحة، وهو الرضا بقضاء الله وكما قال الحق "وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا" (٤٨) الطور، وقال نبينا صلى

الله عليه وسلم (من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك)، ومما يخرج عن

مقام الصبر هو الجزع وإظهار الكتابة وتغيير العادة، فمن كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب.

إذن حقيقة الصبر وكماله هو الصبر عن كل حركة مذمومة، وحركة الباطن أولى بالصبر.

اكتساب الصبر :

الصبر وإن كان شاقاً أو ممتنعاً ولكن تحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل لأن الصبر له أقسام كثيرة، فالعلاج

يُوجّه لليلة ويضادها ليقمعها، وهي عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى، فمثلاً باعث الشهوة

يُعالج بالصوم وقطع الطعام، والبعد عن مصادر الإثارة، والتسلية بشيء من قليل من المباح.

وتقوية باعث الدين بدراسة فوائد المجاهدة ولا يتم ذلك حتى تكون المموم هما واحداً وهو الله تعالى، وكل

محموم بالدنيا هو منجذب إليها وخاصة لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع (صفات الربوبية).

والمُلْكُ مُلْكَانِ، مُلْكٌ مَشُوبٌ بِأَنْوَاعِ الْأَلَامِ وَمَلْحُوقٌ بِسُرْعَةِ الْإِنْصِرَامِ وَلَكِنَّهُ عَاجِلٌ وَهُوَ فِي الدُّنْيَا.، وَمُلْكٌ

مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه أجل ولكن خلق الإنسان عجولاً، والأحق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني

وكل الكتب والرسائل هي دعوة إلى الملك الدائم الخالد، ومُلك الدنيا يكون بالزهد فيها والقناعة باليسير منها، والتدرج في مطلوب ذلك لقول الحبيب المصطفى ﷺ (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغضن إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)، فبالزهد يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين.، ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد (هل من حاجة؟ قال كيف أطلب منك حاجة ومُلكي أعظم من ملكك ومن أنت عبد له وهو عبد لي، فقال كيف ذلك؟ فقال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك، وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي)، ويحكى أن بعض العارفين سأل الشلبي عن الصبر أيها اشد فقال الصبر في الله؟ فقال لا، فقال الصبر لله؟ فقال لا، فقال الصبر مع الله؟ فقال لا، فقال إيش؟، فقال الصبر عن الله.

ولاكتساب الصبر عند الكوارث، هو توقع أقصى وأعظم النتائج وعند مواجهة الأمر يجد أن الحدث بسيط عما توقعه فيعينه على الصبر.

الشكر

فضيلة الشكر

قرن الحق سبحانه الذكر بالشكر في قوله تعالى "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ" (البقرة ١٥٢) وأوجب الله على نفسه المزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" (٧) إبراهيم واستثنى في خمس أمور في قوله تعالى "فَسَوْفَ يُعْطِيكَمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ" (٢٨) التوبة وقوله تعالى "يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ" بغير حساب (٢١٢) البقرة، (٣٧) آل عمران، (٣٨) النور، وقوله تعالى "وَيَغْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" (٤٨، ١١٦) النساء، وقوله تعالى "وَيُثَوِّبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ" (١٥) التوبة، وقوله تعالى "فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ" (٤١) الأنعام. وقال ﷺ (أفلا أكون عبداً شكوراً)، وقال ابن مسعود (الشكر نصف الإيمان).

حد الشكر وحقيقته

الشكر ينتظم من علم وحال وعمل، فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل.
- فالعلم يعني معرفة النعمة من المنعم سبحانه وأن الباقي وسائط كالقلم واليد أي الاعتراف بنعمة المنعم والإقرار بها.
- والحال هو الفرح الحاصل (الذي يحدث) مع هيئة الخضوع والتواضع، وهو فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام.
- والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم، ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان.
فالشكر طاعة والشكوى معصية، وذلل العبد لمولاه عز والشكوى إلى غيره ذل.

كشف الغطاء عن الشكر

الشكر لله لا يفيد الحق شيئاً كما هو الحال في الشكر من البشر للبشر وذلك لأن :-

(١) أن الله تعالى منزّه عن الحظوظ والأغراض، مقدس عن الحاجة إلى الخدمة أو الإعانة.

٢) شكرنا لله هو نعمة أنعم الله بها علينا ويجب فيها الشكر للتوفيق للشكر، ولذلك لما قال سيدنا موسى عليه السلام (يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكر لك إلا بنعمة ثانية من نعمك ؟ فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني) فسبحان القيوم الشاكر المشكور وهو المحب المحبوب، ولذلك قال بعضهم لما سمع قوله تعالى "إِنَّا وَجَدْنَاهُ ضَالًّا رَافِعًا يَدَيْهِ يُعْطِي الْعَبْدَ لَهُ أَثَرًا" (٤٤) فقال (واعجباه أعطى وأثنى).

ولقد كان ﷺ لا يرقى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بعدًا بالإضافة إلى الثانية، فكان ﷺ يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصًا في سلوكه وتقصيرًا في مقامه، وإليه الإشارة بقوله ﷺ (إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة) فكان ذلك ترقيه إلى سبعين مقامًا أولها مجاوزًا أقصى غايات الخلق وهو حجب النور.

نعم لله آلات يترقى بها العبد لينال بها سعادة القرب، والله تعالى غني عن قرب أو بعد، والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبه مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فيكون قد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه.

إذن الشكر هو انصراف النعمة في جهة محبة الله.

بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه

اعلم أن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه، إذ أن معنى الشكر هو استعمال نعمه تعالى في محبته سبحانه، ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو استعمالها في مكارهه، وكل من استعمل شيئًا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى، فمثلاً من ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد إذ أن اليد خلقت له ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره، ومن نظر إلى محرم فقد كفر نعمة العين وهكذا، فكل من استعمل شيئًا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله، وكذلك مثلاً الدرهم والدينار لا غرض فيه وهو وسيلة إلى غرض فمن كثرهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما، وكذلك كل من اتخذهما آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة لأنهما لم يخلقا لهذا فكان أسوأ حالاً ممن كثرهما، وأسوأ منه من اتخذهما تجارة كمن يراي فيتخذ التعامل على النقد غاية، وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها فينبغي أن تصرف على وجهتها ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر.

فينبغي لكل ما خلُق لحكمة أن لا يُصرف عنها، ولا يعرف هذا إلا من عرف الحكمة كما قال تعالى "وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا" (٢٦٩) البقرة

فكل فعل صادر منك إما شكر وإما كفر، فلو استنجيت باليد اليمنى فقد كفرت نعمة اليمين، ولو أخذت المصحف باليد اليسرى فقد كفرت النعمة، وكذلك من بصق في القبلة أو استقبلها في قضاء الحاجة فقد كفر النعمة، وكذلك إذا لبست خفك (حذاءك) فابتدأت باليسرى فقد ظلمت، ومن كسر فرع شجرة من غير حاجة فقد كفر النعمة.

والمعاصي كلها ظلمات بعضها أقيح من بعض وينشق بعضها في جنب البعض، فمن سرق سكينًا وقتل بها فيحكم على القتل ولا يُسأل عن السرقة.

فَمَنْ فهم حكم الله تعالى في جميع أنواع الموجودات فقد قدر على القيام بوظيفة الشكر كما قال تعالى "وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" (١٣) سبأ، فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة إلى غايتها فهو شكر، وكل من خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المراد بها فهو كفران.

الركن الثاني من أركان الشكر – ما عليه الشكر

وهو النعمة، والنعمة هي كل خير وسعادة، ولكن النعمة على الحقيقة هي السعادة الأخروية وكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها، وسماها القرآن (نعمة) بكسر النون، ولكن كلمة (النعمة) بفتح النون هي السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة كما قال تعالى "وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ" (٢٧) البقرة.

فالنعمة تحقيقًا هو النافع في الحال والمآل كالعلم وحسن الخلق، وكذلك الضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب، وقال ﷺ (مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمُهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا) وقال ﷺ (نعم العون على الدين المرأة الصالحة).

ومن النعمة الصحة والقوة وطول العمر في طاعة الله تعالى، ومن النعمة خلق الملائكة الأرضية والسموية وحملات العرش، ومن النعم جميع وسائل الإدراك.

فمن نظر إلى محرم فقد كفر نعمة العين، ولا عين إلا بالرأس، ولا رأس إلا بجمع البدن، ولا بدن إلا بالغذاء، ولا غذاء إلا بالماء والهواء والأرض والمطر والغيم والشمس والقمر، ولا يقوم بشيء من ذلك إلا بالسموات، ولا السموات إلا بالملائكة، فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط بعضها ببعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض، فالعاصي بتطريفة واحدة فقد جفا على جميع ما في باقي الملك والمملوك، لذلك قال الحق "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" (٣٤) إبراهيم، (١٨) النحل.

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

لم يقصر الخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فبالجهل والغفلة منعوا عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن تستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريد بها، ولم يدركوا النعمة في الأمور العامة كالماء والهواء والنار وهذا جهل، ولم يدركوا النعمة إلا إذا عجزت عن أداء دورها مثل العمى والشم واليد واللسان، ولم يدركوا النعمة في خروج البول والبراز.... وهكذا، وفي الخبر (ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه، فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال).

وعلاج القلوب الغافلة عن الشكر يكون بزيارة المقابر، زيارة المرضى في المستشفيات، زيارة أماكن إقامة الحدود ومشاهدة الجناة التي تقطع أيديهم وأرجلهم.

ما يشترك فيه الصبر والشكر

- إن الله تعالى في كل موجود نعمة تستحق الشكر، وأن الله تعالى لم يخلق شيئًا إلا وفيه حكمة ولم يخلق شيئًا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم، وفي خلق البلاء نعمة إما على المبتلى أو غير

المبتلى ولا يوجد بلاء مطلق أو نعيم مطلق، وكذلك يجتمع الصبر والشكر لأن الشيء الواحد قد يغم به من وجه ويفرح به من وجه آخر، الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح، وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ما ابتليت ببلاء إلا كان الله تعالى عليّ فيه أربع نعم، إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم منه، وإذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه)، ثم إن تعجيل العقوبة في الدنيا تستحق الشكر، وكل مصيبة أو بلاء في الدنيا هي مسجلة في أم الكتاب وكان لابد من وصولها وقد وصلت واستراح العبد من بعضها أو من جميعها وثوابها في الآخرة أعظم، وإن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يتلى ببلاء فيبلغها بذلك، وقال ﷺ (ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى "إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" اللهم أجري في مصيبتى واعقبني خيراً منها، إلا فعل الله ذلك به)، وقال لقمان لابنه (العبد الصالح يُجَرَّبُ بالبلاء، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط).

- قال قائلون (الصبر أفضل من الشكر) وقال آخرون (الشكر أفضل) وقال آخرون (هما سياتان) وقال آخرون (يختلف ذلك باختلاف الأحوال) ومع هذا تفضل النعمة على البلاء، وقال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (اللهم إني أسألك الصبر) فقال ﷺ (لقد سألت البلاء فسأل العافية) أي سلوا الله العافية، ولذلك قالوا (أعافى فأشكر أحب إلّى من أن أتلى فأصبر).

- والصبر حال الفقير والشكر حال الغني، وكذلك الغني الذي معه مال وقد غلب عليه البخل وحب المال فأمره بإخراج الدراهم له أفضل من قيام الليل، والصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء الفكر، فهو كالمرضى الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به.

- منهاج السالكين العمل الذي يقود للحال الذي يقود للمعرفة، ولكن أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس فإن الأعمال تتراد للأحوال والأحوال تتراد للعلوم (فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال) فالعلم بفضل القرآن يدفع لتعلمه للعمل بما فيه.

- الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيها يتحد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين الشكر، لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو مقصود منها والصبر يعني ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى، فالصبر والشكر اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين، فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبراً بالإضافة إلى باعث الهوى ويسمى شكراً بالإضافة إلى باعث الدين، وعلى ذلك ليس بمدح الغني بالوجود ولا بمدح الفقير بالعدم وإنما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما.

وللصبر درجات وللشكر درجات :-

درجات الصبر أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ثم وراءها الرضا ووراءه الشكر على البلاء.

ودرجات الشكر تبدأ بالحياء من تتابع نعم الله عليه، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر، والاعتذار من قلة الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر، والاعتراف بأن النعم ابتداءً من الله تعالى من غير استحقاق شكر، وشكر الوسائط شكر، وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر، وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغیرها شكر.

كتاب الخوف والرجاء صـ ١٤٢

سبحان الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم للطائف آلائه إلى النزول بفنائه والعدول عن دار
بلائه بالخوف من مستقر أعدائه، وعلى ذلك فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام
محمود ومطيتان بهما يقطع من قصد الآخرة كل عقبة كؤد.

الرجاء

الرجاء حال ومقام، فهو حال إذا كان عارضاً سريع الزوال، ويسمى مقاماً إذا ثبت وأقام.
الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده.
والخوف هو ألم القلب لانتظار ما هو مكروه عنده، فإذا كان المحبوب المتوقع له أسباب ممكنة فهو الرجاء،
وإذا لم تكن الأسباب معلومة وغير ممكنة فهو التمني أو هي أحلام اليقظة
والرجاء والخوف يطلقان على ما لا قطع فيه، ولذلك لا يقال (أرجو طلوع الشمس) ولكن يقال (أرجو
نزول المطر)، فمن صدق في إيمانه وتعهد به الطاعات كان رجاءه حقيقياً، ومن ترك القلب مشحوناً
برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا فإن انتظاره ليس رجاءً ولكن حمق وغرور كما قال صلى
الله عليه وسلم (الأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني).
فالعبد المجتهد في الطاعات حقيق أن يرجو تمام النعمة بدخول الجنة، ولذلك قال تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ" (٢١٨) البقرة، ومن ينهمك فيما يكرهه الله
تعالى ولا يذم نفسه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاءه المغفرة حمق كرجاء من بث البذور في أرض
سبخة، وهذه الحالة تثمر جهد العمل والجهاد فالرجاء باعث بطريق الرغبة والخوف باعث بطريق الرهبة،
وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى "وَيَدْعُونا رَعْبًا وَرَهْبًا" (٩٠) الأنبياء وقال عز وجل "يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا" (١٦) السجدة، وعكس الرجاء هو اليأس الذي يصرف عن العمل، وعكس الخوف هو الأمن
الذي يصرف عن العمل.

بيان فضيلة الرجاء

أقرب العباد إلى الله أحبهم له، والرجاء من باب الحب ومن متعلقات أسماء الجمال، فهو أعلى من الخوف
الذي هو من متعلقات أسماء الجلال.
فالرجاء وحسن الظن بالله أفضل من الخوف، وقال ﷺ (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله)
ويقول الله عز وجل (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء)، وقال سيدنا علي رضي الله عنه
لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط (يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك)
الأسباب التي يجلب بها الرجاء

نذكر هنا علاج من غلبه اليأس فترك العبادة وهو كذلك علاج من غلبه الخوف فأسرف في العبادة، والمطلوب هو الوسط فلا إفراط ولا تفريط وهذا لا يكون إلا بالاتي :-

(١) العلم بلطائف نعم الله وأن كل أحكام الشريعة لصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها.
(٢) استقراء الآيات والأخبار التي وردت في الرجاء كقوله تعالى "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (٥٣) الزمر وقوله تعالى "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى" (٥) الضحى وقوله تعالى "يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" (٨) النجم، إن الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار (فإذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم العبد بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عَزَّ وَجَلَّ).

وفي حديث طويل لأنس رضي الله عنه (أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنْ يَلِي حِسَابَ الْخَلْقِ ؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ هُوَ بِنَفْسِهِ ؟ قَالَ نَعَمْ، فَتُبَسَّمُ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا قَدَّرَ عَفَا وَإِذَا حَاسَبَ سَامِحٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ الْأَعْرَابِيُّ أَلَا لَا كَرِيمٌ أَكْرَمُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ)، وقوله ﷺ (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ، وَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا حُرِمَتْ عَلَيْهِ النَّارُ وَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ إِيْمَانٍ) .

إن لله مائة رحمة ادخر منها عنده تسعاً وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة منها فيها يتراحم الخلق، فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه، وكل رحمة منها طباق السموات والأرض .

وقال ﷺ (إِنِّي اخْتَبَأْتُ شِفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي، أَتْرُونَهَا لِلْمُطِيعِينَ الْمُتَّقِينَ بَلْ هِيَ لِلْمُتَلَوْنِ الْمُخْتَطِطِينَ)، (مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَسْتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَكْشِفَ سِتْرَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعُوقِبَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثْنِيَ عِقَابَهُ عَلَى عَبْدِهِ فِي الْآخِرَةِ).
وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن به ولذلك قال ﷺ (سَلُوا اللَّهَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فَإِنَّمَا تَسْأَلُونَ كَرَمًا، وَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَأَعْظَمُوا الرِّغْبَةَ وَاسْأَلُوا الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاضَمُهُ شَيْءٌ).

الخوف

هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل، والخوف والرجاء هما بداية المقامات ولكن من وصل واتصل وشاهد صار حاله أعلى من الخوف والرجاء ولم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء، وفي هذه الحالة فإن الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد، والخوف مثل الرجاء ينتظم في علم وحال وعمل.

أسباب الخوف:-

(١) من ارتكب جناية ويخاف العقاب.

٢) قد يكون الخوف لا عن سبب جنائية قارفها (ارتكبها) بل عن صفة الخوف (كالذي وقع في مخالاب سبع جائع أو في مجرى سيل أو داخل حريق) لأن الله صفات الجلال وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع لقوله تعالى "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ" (٢٣) الأنبياء

٣) وتارة يكون بهم جميعاً.

درجات الخوف

قوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال.

أقل درجات الخوف هو الكف يعلوها التقوى (وهو البعد عن المحرمات) ويعلوها الورع والعفة الذي يؤدي إلى الصديقية، أما حديث النفس فهو الخوف الذي لا يؤدي إلى الكف ومنع الجوارح عن المعاصي. وكذلك فإن الخائفين ينقسموا إلى قسمين، قسم يخاف معصيته وجنائته، وقسم يخاف الله تعالى نفسه بصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة، خوف المعصية هو خوف الصالحين، والخوف من الله هو خوف الموحدين والصديقين لقول الحق في الحديث القدسي (هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي).

فضيلة الخوف

وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال التي تقرب إلى الله زلفى، وقال ﷺ (رأس الحكمة مخافة الله)، وقال الله تعالى "وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ" (٤٦) الرحمن وقال تعالى "هَٰذِهِ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِزَمَانِهِمْ يَرْهَبُونَ" (١٥٤) الأعراف وقال تعالى "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (٢٨) فاطر وقال تعالى "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ" (٨) البينة، وقال صلى الله عليه وسلم (سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله (وذكر منهم ورجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه))، والبكاء ثمرة الخشية كما قال تعالى "أَقِمِينَ هَٰذَا الْحَدِيثَ تَعْبُودُونَ" (٥٩) وَتَصْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ" (٦٠) وأنتم سَامِدُونَ" (٦١) النجم، وكل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء والتقوى والورع هو دلالة على فضل الخوف.

أيهما أفضل غلبة الخوف أو غلبة الرجاء ؟

سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز أفضل أم الماء ؟، فالخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلها بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى فالخوف أفضل، وإن كان الغالب على القلب اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل، وعلى العموم فالرجاء أفضل لأنه مستقي من بحر الرحمة ومستقي الخوف من بحر الغضب، ولكن مع هذا الزمان فإن أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء لأجل غلبة المعاصي.

وروي عن سيدنا على كرم الله وجهه أنه قال لبعض ولده (خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت به بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيت به بسيئات أهل الأرض غفرها لك) أي "يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا" (١٦) السجدة.

والأصلح هو الخوف في الصحة والرجاء في المرض وعند الموت، ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله تعالى ولقائه، فإذا كان الغالب على القلب عند الموت حب الأهل والولد والمال والعقار والرفقاء والأصحاب فإن هذا الرجل محابه كلها في الدنيا فموته هو خروج من جنته، وأما إذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته وأن الدنيا شاغله له عن المحبوب فالدنيا إذن سجنه ولذلك فإن موته هو قدوم على محبوبة وخلص من السجن، فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا سبيل إلى ذلك إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن والدعاء بما دعا به نبينا ﷺ (اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحباً يقربني إلى حبك، واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد)

كيف يستجلب الخوف ؟

حفت الجنة بالمكاره، فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء، والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف، فمن اشتاق للجنة سلا عن الشهوات، والخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق، والثاني الخوف منه وهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين لأن من صفاته جلّ جلاله ما يقتضي الهيبة والخوف وهو خوف الحجاب، ولو كملت معرفة العبد لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلط عليه الغفلة خلى وترك وإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته، فإذا علم أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً سخرها لأسبابها شاءوا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلاً سخرها لأسبابها شاءوا أم أبوا وهذا يخاف أهل البصيرة لقوله تعالى "وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (١٣) السجدة فهذا خوف العارفين من سوء الخاتمة بالرغم من رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم فكيف لا يخاف الضعفاء ؟؟.

وسيدنا رسول الله ﷺ كان أخوف البشر وهو سيد الأولين والآخرين وكان يقول (شييتني هود وأخواتها) فلولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ رَوَّحَ قلوبهم بروح الرجاء لاحتقرت قلوبهم من نار الخوف، وسيدنا إبراهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق قال (حسبي الله) فامتنح بسيدنا جبريل في الهواء حتى قال له (ألك حاجة ؟، فقال أما إليك فلا) فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله (حسبي الله) فأخبر الله عنه بقوله "وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى" (٣٧) النجم.

بيان معنى سوء الخاتمة

لسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة، والنفاق له أوصاف :

- إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر.
- اختلاف السر والعلانية.
- اختلاف اللسان والقلب.
- اختلاف المدخل والمخرج.

- أن تكره من الناس ما تأتي مثله.

حال الموت هو حال كشف الغطاء، حال سكرات الموت مثل حال النائم لا يشغل قلبه إلا ما كان يعيش فيه وقلبه متعلق به، فمن خرجت روحه وقلبه متعلق بأمر دنيوي فقد ساءت خاتمته والعياذ بالله، وأما الذي يتوفى على الحب (حب الله) فإنه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه.

أسباب سوء الخاتمة

(١) البدعة : فكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به، والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل يُنجي منه الاعتقاد الحق، والبله بمعزل عن هذا الخطر وهم الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيماناً مجملاً راسخاً كسائر العوام، ولذلك قال ﷺ (أكثر أهل الجنة البله).

(٢) ضعف الإيمان في الأصل واستيلاء حب الدنيا على القلب، وفي المقابل فإن ضعف حب الله تعالى من أسباب سوء الخاتمة وهو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها، وحب الدنيا رأس كل خطيئة.

(٣) كثرة المعاصي : فرما انقبضت روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوباً عن الله تعالى.

وعلاج ذلك بالمجاهدة طول العمر في فطام نفسه عن الشهوات والمواظبة على ذكر الله تعالى فإن كل نفس من أنفاسك خاتمة ربما لا تعود، وإذا نمت فم على طهارة، والموت والبعث شبيه النوم واليقظة، وكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه.

وقال حاتم الأصم (لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبه لقي ما لقي، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ما لقي، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة من المصطفى ﷺ ولم ينتفع ببلقائه أعداؤه وأقاربه).

ودخل يزيد الرقاشي على سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له (عظني يا يزيد ؟ فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت، فبكى وقال زدني ؟ قال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت).

كتاب الفقر والزهد ص ١٨٩

الدنيا على حقيقتها كمجوز شمطاء عجنت من طينة الحزني ولكن ظاهرها صورة امرأة جميلة، فلما انكشفت للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال زهدوا فيها زهد المبغضين لها، ولا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها، وهذا الحال إما يكون بانزوائها عن العبد ويسمى فقراً وإما بانزواء العبد عنها ويسمى زهداً.

الفقر

الفقر هو فقد ما هو محتاج إليه، وعلى هذا فإن كل موجود سوى الله تعالى هو فقير لأنه محتاج إلى دوام وجوده فليس في الوجود غني واحد سوى الله تعالى وكل ما عداه محتاجون إليه ولهذا قال سبحانه "وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ" (٣٨) وهذا هو معنى الفقر مطلقاً.

والمقصود هنا هو الفقر النسبي أي فقر المال على الخصوص، والعلاقة بين العبد والمال له خمسة أحوال :-

(١) الزاهد : وهو الذي لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب منه مبغضاً له ، وصاحبه يسمى زاهداً.

(٢) الراضي : وهو لا يرغب ولا يكره وجود المال ، وصاحبه يسمى راضياً.

(٣) القانع : وهو الذي يكون وجود المال أحب إليه من عدمه.

(٤) الحريص : وهو الذي يسعى للحصول على المال بالتعب.

(٥) المضطر : وهو كالجائع الفاقد للخبز وهو الذي يسعى للحصول على المال بهمة.

(٦) المستغني : وهو الشخص الغني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضاً، أي لا يتأذى عند إخراجه ولا يفرح به ليحتاج إلى بقاءه، فهو إلى (الغني) الذي هو وصف الله تعالى أقرب، فهو مستغني وليس غنياً ليبقى الغني اسماً لمن له الغني المطلق لأن هذا العبد وإن استغني عن المال لم يستغن عن أشياء أخرى ولكن الله غني عن الجميع

بيان فضيلة الفقر

يقول الله تعالى "لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ" (٨) الحشر وقدم الفقر على الهجرة، وقوله تعالى "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا" (٢٧٣) البقرة وقدم الفقر على الإحصار، وقال ﷺ (يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام) وفي حديث آخر (بأربعين خريفاً) وهذا الاختلاف لاختلاف درجات الفقر، وفي رواية (حتى أن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج).

ورفض سيدنا رسول الله ﷺ أن تكون جبال مكة له ذهباً، وقوله ﷺ (من أصبح منكم معافى في جسمه آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها).

وفي الخبر أن آخر الأنبياء دخولاً الجنة سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام لمكانة ملكه، وآخر صحابي دخولاً الجنة هو سيدنا عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه، وفي حديث آخر (رأيت يدخل الجنة زحفاً).

وفي الخبر (إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغني مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته)

وقال ﷺ (أكثرنا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة ، قالوا يا رسول الله وما دولتهم ؟ قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة)، وقال ﷺ (ألا أخبركم بملوك أهل الجنة، قالوا بلى يا رسول الله، قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره).

وقال بعض الحكماء (مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لنجا منها جميعاً، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بها جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين

جميعاً)، وقال يحيى بن معاذ (حبك الفقراء من أخلاق المرسلين، وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين، وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين).

وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ قال (إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة)، وفي الحديث (أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى) وقال ﷺ (لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً)

وقال أبو الدرداء (ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص)، وقال ذو النون رحمه الله (أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له)، وقال الحسن رضي الله عنه (لعن الله أقواماً أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه، ثم قرأ "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ" ⁽²²⁾ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنتُمْ تَنطَلُونَ" (٢٣) الباريات).

بيان فضيلة الفقر على الغنى

- بعضهم يقول (الفقر أفضل) مثل الخواص، وقال بعضهم (الغنى الشاكر القائم أفضل من الفقير الصابر).
- ولكن فقير صابر ليس بحريص على طلب المال بل هو قانع راضي أفضل من الغني الحريص الممسك للمال.

- غني منفق ماله في الخيرات ليس بحريص على إمساك المال أفضل من الفقير الحريص على طلب المال.
- كم من فقير شغله الفقر وصرفه عن القصد، وكَم من غني لم يشغله الغني عن الله عزَّ وجلَّ.
- المحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر، والدنيا معشوقة الغافلين والمحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها إلا من رحم ربي.

- الفقير عن الخطر أبعد إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء، لذلك زجر الشرع الغني وذمه وفضل الفقير ومدحه.

- وفي الخبر (إن لكل أمه مجلاً، ومجل هذه الأمة الدرهم والدينار)، وكان سيدنا على كرم الله وجهه يقول (يا صفراء غري غري).

- ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس.
ولنطلق القول نقول إن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لأن علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعبادته، ولأن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالاً وينفق طيباً ومع ذلك يطول حسابه وفي عرصات القيام يطول انتظاره (ومن نوقش الحساب فقد عذب)، وقال سفيان الثوري رحمه الله (اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء، اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب، وما أعطي عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذه على ثلاث أثلاث شغل وهم وطول حساب).

بيان آداب الفقير في فقره

للفقير آداباً في باطنه وظاهره وعمله.

الآداب الباطنة : أن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر وإن كان كارهاً للفقر، وهو معنى قوله ﷺ (يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا)، وأرفع من ذلك أن يكون راضياً به، وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً به، وهذا يدل على أن كل فقير ليس بمحمود بل المحمود الذي لا يسخط ويرضى أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته.

الآداب الظاهرة : يُظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره، فستر الفقر من كنوز البر، وأما في الأعمال فأدبه أن لا يخالط الفقير الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم ولا يتواضع لغني لأجل غناه، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عزَّ وجلَّ، ولا يفتر بسبب الفقر عن عبادته، ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه، (ودرهم صدقة من مقل أفضل عند الله من مائة درهم من غني).

بيان آداب الفقير في قبول العطاء

- الهدية لا بأس في قبولها ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة.
- أن يكون المال حلالاً خالياً من الشبهات.
- أمر العالم والواعظ اشد في قبول العطاء.
- وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (لاحق لابن آدم إلا في ثلاث، طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبیت يكنه، فما زاد فهو حساب).
- يحرم السؤال من غير ضرورة، ويباح عند الضرورة لأن في السؤال إظهار الشكوى ومذلة للسائل وكذلك إيذاء للمسؤول فرما يعطي حياءً أو يعطي رياءً، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم) وقال ﷺ (استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير) والمضطر هو سؤال الجائع وسؤال المريض لحاجة الدواء العاجل.
- قال شفيق البلخي لإبراهيم بن أدهم (كيف تركت الفقراء في خراسان ؟ قال تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا، فقال شفيق هكذا تركت الكلاب في بلخ عندنا، فقال له إبراهيم فكيف الفقراء عندك ؟ فقال إن منعوا شكروا إن أعطوا آثروا) يقصد فقراء الصوفية

كتاب الزهد ص ٢١٦

الزهد هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زاهداً، فكل من باع الدنيا فهو زاهد في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضاً زاهد ولكن في الآخرة، والزهد المطلق هو الذي يرغب عن كل شيء ما سوى الله تعالى حتى الفردوس والجنان، فالتوبة هي ترك المحظورات، والزهد هو ترك المباحات.

والزهد مقام له علم وحال وعمل.

والعلم الذي يثمر الحال هو العلم بأن المتروك حقير بالإضافة إلى المأخوذ وأن ما عند الله باقٍ وأن الآخرة خير وأبقى، ومن قوى يقينه يبيع نفسه وماله مع ثقته أن صفقته رابحة، وقد يعلم ذلك ولا يقدر على ترك الدنيا لاستيلاء الشهوة عليه وتسويق الشيطان يوماً بعد يوم.

والحال هو خروج حب الدنيا من القلب.

والعمل هو حب الطاعات وتوظيف اليد والعين وسائر الجوارح في وظائف الطاعات، فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهداً مطلقاً.

الزهد هو أن تترك الدنيا لعلك بحقاتها بالإضافة إلى نفاسه الآخرة، أما الترك طمعاً في الذكر والثناء والاشتهار والفتوة والسخاء استئقالاتاً لما في حفظ المال من جهد ليس من الزهد أصلاً.

الزاهد من أتمته الدنيا راغمة صفواً عفواً وهو قادر على التمتع بها من غير نقصان جاه ولا فوات حظ نفس فتركها خوفاً من أن يأنس بها فيكون آنساً بغير الله ومحباً لما سوى الله.

بيان فضيلة الزهد

قال تعالى "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (٧) الكهف، وقال ﷺ (من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة) وقال ﷺ (إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا) وقال ﷺ (من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأطلق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام).

ولما قال حارثة لسيدنا رسول الله ﷺ (أنا مؤمن حقاً، قال وما حقيقة إيمانك ؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوي عندي حجرها وزهبيها، وكأني بالجنة والنار، وكأني بعرش ربي بارزاً، فقال ﷺ عرفت فالزم عبد تور الله قلبه بالإيمان).

وقال المسيح عليه السلام (الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها)، وقال سيدنا عمر رضي الله عنه (الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد).

درجات الزهد

الدرجة الأولى : هو المتزهد أي الذي يجاهد نفسه ويكفها.

الدرجة الثانية : وهو الذي يترك الدنيا طوعاً لاستحقاقها، وهو الذي ينهى النفس عن الهوى، وهي تتناول جميع مقتضيات الطبع كما قال تعالى "زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ.....(الآية)" (١٤) آل عمران.

الدرجة الثالثة : وهو الذي يزهد في زهده فلا يرى زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئاً لأن الدنيا لا شيء (وهو كمال الزهد)، وقال يحيى بن معاذ الرازي (الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر وسكنه حيث أدرك، الدنيا سجنه والقبر مضجعة، والخلوة مجلسة والاعتبار فكره، والقرآن حديثه والرب أنيسة، والذكر رفيقه والزهد قرينه، والحزن شأنه والحياء شعاره، والجوع إدامه والحكمة كلامه، والتراب فراشه والتقوى

زاده، والصمت غنيته والصبر معتمده، والتوكل حسبه والعقل دليله، والعبادة حرفته والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى).

وكذلك ينقسم بالنسبة للمرغوب فيه إلى ثلاث درجات :-

1) زهد الخائفين : وهذا مطلبه النجاة من النار.

2) زهد الراجين : وهذا مطلبه دخول الجنة.

3) زهد المحبين : وهو الدرجة العليا من الزهد، وهذا لا مطلب له سوى رؤية الله تعالى ولقائه وهو الموحد

الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله فقد عبده (وهو الشرك الخفي).

ولكن اعلم أن للنفس ضرورات من الأكل والشرب والملبس ومخالطة الناس حتى تبقى قادرة على ذكر الله وما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه، وذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد.

بيان علامات الزهد

ليس كل من ترك الدنيا زاهد، ولكن الزاهد من تركها وهي مقبلة عليه قاصداً وجه الله، وله ثلاث علامات:-

(١) أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود (الزهد في المال).

(٢) أن يستوي عنده ذامه ومادحه (الزهد في الجاه)

(٣) أن يكون أنسه بالله تعالى وأن يكون الغالب على قلبه حلاوة الطاعة.

إذن فإن علامة الزهد هو استواء الفقر والغني والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة الأنس بالله وبترك الدنيا ولا يبالى من أخذها، وقالوا (علامة الزهد عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رئاسة).

كتاب التوحيد والتوكل ص ٢٤٣

سبحان الله الذي صرف أعين ذوي القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب، فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيلاً توكلوا عليه وقالوا (حسبنا الله ونعم الوكيل). وقالوا (ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد، والتشاغل عنها بالكلية طعن في السنة وقدر في الشرع).

بيان فضيلة التوكل

في القرآن يقول الحق سبحانه وتعالى "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (١٥٩) آل عمران ويقول تعالى "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ" (٣) الطلاق ويقول تعالى "وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (١٢) الأعراف، فأعظم بمقام الله تعالى حسبه وكافيه ومحبة وراعية.

وقال ﷺ (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) وقال ﷺ (من سره أن يكون أغني الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه) وقوله ﷺ (رأيت أمتي قد ملؤوا السهل والجبل فأتعبتني كثرتهم وهياتهم فقيل لي أراضيت ؟ قلت نعم، قيل ومع هؤلاء سبعون ألفاً

يدخلون الجنة بغير حساب، قيل من هم يا رسول الله ؟، قال الذين لا يكتبون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى رءسهم يتوكلون، فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ؟ فقال رسول الله ﷺ اللهم اجعله منهم، فقام آخر وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ؟ فقال ﷺ سبقك بها عكاشة).

وروى أنه لما قال سيدنا جبريل لسيدنا إبراهيم عليهما السلام وقد رمى إلى النار بالمنجنيق (ألك حاجة) قال (أما إليك فلا) وفاء بقوله (حسبي الله ونعم الوكيل) إذ قال ذلك حين أخذ ليرمي فأنزل الله تعالى "إبراهيمَ الَّذِي وَفَّى" (٣٧) النجم، وقال بعضهم (متى رضيت بالله وكيلًا وجدت إلى كل خير سبيلًا).

بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل

التوكل لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل

العلم : وهو المسمى إيمانًا، فمن قال (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) وكان هذا الوصف لازماً لقلبه غالباً عليه تم له الإيمان، وهو التوحيد الذي يترجمه قولك (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) والإيمان بالقدرة الذي يترجمه قولك (له الملك) وكذلك قولك (وهو على كل شيء قدير) والإيمان بأن له الجود والحكمة بقولك (وله الحمد).

والتوحيد له أربعة مراتب هي (لب ولب اللب وقشر وقشر القشر).

(١) قشر القشر : من يقول لا إله إلا الله وقلبه غافل أو منكر (وهو كتوحيد الغافلين).

(٢) القشر : وهو أن يصدق قلبياً بمعنى اللفظ وهو اعتقاد العوام.

(٣) اللب : أي يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق (وهو مقام المقربين) وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

(٤) لب اللب : أن لا يرى في الوجود إلا واحداً (وهي مشاهدة الصديقين) وتسميه الصوفية (الفناء في التوحيد) لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً (بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق أجمعين).

فالأول كالقشرة الخارجية من اللوز، والثاني كالقشرة الداخلية، والثالث كاللب، والرابع كالدهن المتخرج من اللب، فتوحيد المنافق يصون من سيف الغزاة، وتوحيد العوام يحفظ من العذاب في الآخرة إذا لم تضعفه المعاصي والبدع، وفي المستوى الثالث انشرح صدره وأشرق نور الحق فيه.

فالأول والثاني بعيدين جداً عن التوكل، ويبدأ التوكل من المستوى الثالث (وهو اللب)، وأما المستوى الرابع فقد خرج عن التوكل إلى الفناء في التوحيد.

التوكل هو أن ينكشف لك أنه لا فاعل إلا الله تعالى وأنه الفاعل على الانفراد دون غيره وأن ما سواه مسخرون، هذا الاعتقاد ربما يصدك الشيطان عنه بالنظر إلى الأسباب (والأسباب إما جمادات كالمنطق والشمس والقمر والرياح وإما حيوانات كصاحب العمل وصاحب السيف والجلاد).

فمثلاً أن يكتب الملك توقيعاً بالعمو عن المجرم ولكن المجرم لا يشكر الملك ولكن ينظر ويرى أن نجاته في القلم أو الحبر أو الورق الذي كتب عليه العفو أو ينظر لليد التي تنفذ الأمر ولم ينظر إلى صاحب القرار

الأول الذي به كل هذه الأمور الحيوانية والمادية تتحرك، وكذلك من نظر للأسباب مثل حال النملة التي ترى سن القلم يُسود الورق فقط ولم يمتد بصرها إلى القلم أو اليد أو العقل المدبر.

والعوالم ثلاث :-

(١) عالم الملك والشهادة.

(٢) عالم الجبروت.

(٣) عالم الملكوت.

فعالم الملك والشهادة كل من يمشي على الأرض كما هو القلم يكتب، وعالم الجبروت أول منازل القدرة والإرادة والعلم لأن العلم يولد الإرادة، والإرادة تولد القدرة أمّا عالم الملكوت فلا يدركه البشر بعقولهم. فكيف يمكن الجمع بين التوحيد والشرع، لأن التوحيد يعني لا فاعل إلا الله، والشرع هو إثبات الأفعال للعباد، لأن الفعل الواحد تارة ينسب للعبد وتارة ينسب للرب مثل قوله تعالى "وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى" (١٧) الأفعال وكذلك قوله تعالى "قُلْ يَتَوَقَّأَكُم مَّلِكُ الْمَوْتِ" (١١) السجدة وقوله تعالى "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا" (٤٢) الزمر.

فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة، ومن أضافه إلى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجهًا.

إذن لا أحقّ بالحقيقة إلا الحي القيوم الذي ليس كمثل شيء فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته، وما يحدث مع العباد هو عدلٌ محض لا جور فيه وحقٌ صرف لا ظلم فيه، فمن يطلب التوكل اعتقادًا قاطعًا بصدق تصديقًا يقينيًا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عزَّ وجلَّ لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلى علم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا يُنتهى ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت لما اقتضى تدبيرهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزداد فيما دبر الله سبحانه جناح بعوضه ولا يرفع منها ذرة ولا يخفض منها ذرة ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضرر عن بلي به، فإن الطعام الجيد فيه الملح والشطة والبهارات بقدرها ولا يكون جيدًا إلا بها فسبحان الله.

بيان حال التوكل

التوكل حال العلم أصله والعمل ثمرته، والكلمة مشتقة من (الوكالة) فيقال (وكل أمره فلان) أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه، ويسمى الموكل إليه (وكيلًا) ويسمى المفوض إليه (متكلاً عليه ومتوكلاً عليه) فالتوكل هو اعتماد القلب على الوكيل وحده.

ولا بد للوكيل من أن يتواجد فيه أربعة شروط هي :

(١) منتهى الهداية.

(٢) منتهى القوة.

(٣) منتهى الفصاحة.

(٤) منتهى الشفقة.

وهذا في الوكيل من البشر، وقس عليه المتوكل على الله تعالى.

فإذا ثبت في نفسك باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله لتام علمه وتام قدرته فلا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته عناية ورحمة اتكّل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره ولا إلى نفسه وحوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن كنت لا تجد هذه الحالة في نفسك فسببها أولاً ضعف اليقين والثاني ضعف القلب والعزم لاستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه.

وحال التوكل لها ثلاث درجات هي :-

أدناها : أن يكون حاله مع الله كثرة العبد بوكيله من البشر، فهو يتوكل بالتكلف والكسب وإذا طلب منه الوكيل أمراً أو أوقافاً أحضرها له تنفيذاً لأمر وكيله وهذا ممكن ولا ينفي التدبير، وإذا تأملت ذلك اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل، فإذا فرغ المتوكل إلى حوله وقوته في الحضور والإحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى فلا حول ولا قوة إلا بالله حقاً وصدقاً وهذه الكلمة تضيف شيئاً إلى الله تعالى هما الحول والقوة، أما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل إليه.

أوسطها : أن يكون حاله مع الله كحال الطفل الرضيع مع أمه، فإنه واثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها، وهذا فنى عن توكله ولا يلتفت إلا على المتوكل عليه فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه، وهذا عزيز ودائم في فزع ودعاء إلى الله.

أعلاها : أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي المغسل لا يفارقه تحركه القدرة الأزلية، وهذا المقام يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته جلّ وعلا، وهذا المقام عزيز نادر وإن وجد فهو حال لا يدوم.

وقال أبو الدقاق (التوكل ثلاث درجات، التوكل ثم التسليم ثم التفويض، فالتوكل سكن إلى وعده، والتسليم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه) ومن أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل، فإياك أن تجمع بين الإفلاسين الإفلاس عن وجود المقام ذوقاً والإفلاس عن الإيمان علماً.

بيان أعمال المتوكلين

قد يُظن أن معنى التوكل هو ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب، وهذا ظن الجهال وذلك حرام شرعاً.

حركة العبد لا تعدو أن تكون (١) جلب النافع أو حفظه، (٢) دفع الضار أو قطعه.

وهذه الأحوال الأربعة لها أسباب (١) إما مقطوع بها، (٢) مظنون النتائج، (٣) موهوم النتائج.

الأسباب المقطوعة النتائج : وهي النتائج المرتبطة بالأسباب ارتباطاً مطرداً لا يختلف، فمن لم يتزوج لم ينجب، ومن لم يزرع الأرض لم يجد ثمرة، كالنوم في أرض مسبعة أو في مجاري السيل يؤدي إلى الهلاك أو شرب الماء عند العطش ضرورة وإلا الموت وهكذا، فالواجب السعي في الأسباب مع اليقين أن الأسباب يمكن أن تتعطل في آخر لحظة ولا تجد نتيجة.

الأسباب المظنونة : وهي التي ليست متيقنة النتائج فلا حرج في تركها لأن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه، وقال بعضهم (العبيد كلهم في رزق الله تعالى، لكن بعضهم يأكل بذل السؤال وبعضهم يتعب وانتظار (كالنجار والعمال) وبعضهم بعز (كالصوفية) يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم ولا يرون الوساطة.

الأسباب الموهومة : وهي ملامسة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى النتائج كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب، وهذا يخرج بالكلية عن درجات التوكل.

توكل الميعيل :

أي الذي يعول مجموعة ومستول عنهم، وهذا ليس حر نفسه وعليه بتوكل المكتسب كتوكل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذ خرج للكسب بعد اختياره خليفة لسيدنا رسول الله ﷺ، فهذا عليه السعي في الأسباب (وترك الأخذ بالأسباب توكلا حرام).

كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ص ٢٩٣

المحبة هي الغاية القصوى من المقامات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا هو ثمرة من ثمارها كالشوق والأنس والرضا ولا قبل المحبة مقام إلا هو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر والزهد، وقال أبو يزيد (المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه)، وقال الشلبي (الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم)، وقيل (المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح) لأن أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى.

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى

محبة الله تعالى ورسوله ﷺ فرض على كل مسلم ومسلمة، وإثبات الحب لله قوله تعالى "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" (٥٤) المائدة وقوله تعالى "وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ" (١٦٥) البقرة، وقوله ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) وفي حديث آخر يقول الحبيب المصطفى ﷺ (لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله ونفسه والناس جميعًا، فقال عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال ﷺ والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي)، وقد أمر سيدنا رسول الله ﷺ بالمحبة فقال (أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله إياي) وقوله ﷺ (المرء مع من أحب)، وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه (من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه جميع البشر).

بيان حقيقة المحبة وأسبابها

لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك، والحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملد فإذا تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقًا

وما يلد إما يدرك بوسائل الإدراك (وهو الجمال المادي) أو يدرك بالعقل (وهو جمال المعاني) فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكاً من العين، ولذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل أن تدركها الحواس أتم وأبلغ، ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة.

أسباب المحبة

(١) المحبوب الأول عند كل حي هو نفسه وذاته، ومعني حبه لنفسه أن في طبعه ميلاً إلى دوام وجوده ونفقه عن عدمه وهلاكه، ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه، إذن فالمحبوب الأول عند كل حي هو ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله، والمكروه عنده هو ضد ذلك.

(٢) الإحسان، فإن الإنسان جُبِلَ على حب من أحسن إليه ويُغض من أساء إليه، وهذا راجع للسبب الأول فإن المحسن هو مَنْ أمد بالمال والمعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود كحب الطبيب والمعلم والمتصدق، وهذا الحب يزول بزوال المسبب.

(٣) أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال من وراءه بخلاف السبب السابق كحب الجمال والحسن والخضرة والماء كقوله ﷺ (وجعلت قرّة عيني في الصلاة)، ومثاله قولك (هذا فرش حسن، وهذا خط حسن، وهذا صوت حسن، وهذا ثوب حسن، وهذه سيرة حسنة)، ومن هذا الباب حب الأنبياء وحب الصحابة لاستحسان صورتهم الباطنية من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره، والمحسن محبوب وإن كان إحسانه لا يصل إليك.

(٤) المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب لمجرد تناسب الأرواح كما قال ﷺ (فما تعارف منها ائتلف وما تنكر منها اختلف).

كل هذه الأسباب مجتمعة على أكمل صورة في حب الله وحب رسوله ﷺ فليس في الوجود شيء له بنفسه قوامه إلا الحي القيوم الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به، فمن عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله، وكيف يتصور أن يحب العبد نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه

وكذلك حبه لمن أحسن إليه وهل في الوجود من أحسن إليه بعد رب العزة إلا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع العلم بأن الإحسان من البشر للبشر لغرض في نفس المعطي وهو أرجح عنده من ماله كما أن الإنسان لا يلتقي ماله في البحر إذ لا غرض له ولكن سيدنا رسول الله ﷺ فهو المحسن لصالحك أولاً ثم الله سبحانه وتعالى الذي أنعم على العالمين إحساناً إليهم ولأجلهم لا لحظ وغرض يرجع إليه فإنه سبحانه يتعالى عن الأغراض.

فحب المحسن لذاته لما فيه من صفات الكمال والجمال وهذا متحقق في حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، فالجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له، الفرد الذي لا ضد له، الصمد الذي لا منازع له، الغني الذي لا حاجة له، القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، العالم

الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض، القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابة، الأزلي الذي لا أول لوجوده، الأبدى الذي لا آخر لبقائه، القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به، المتفرد بالعزة والجبروت والمتوحد بالملك والملكوت، ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال، فسبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

والسبب الأخير هو المناسبة فإن الإنسان نفخة من روح الله لقوله تعالى "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي" (٢٩) الحجر، (٧٢) ص وقوله ﷺ (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وقوله ﷺ (لأن الله خلق آدم على صورته) حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس، فعلى العبد التخلق بأخلاق الربوبية واكتساب محاسن الصفات من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة والنصيحة والإرشاد إلى غير ذلك من مكارم الشريعة.

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله والنظر إلى وجهه الكريم

خلق في الإنسان مجموعة من الغرائز ولها مدركاتها، فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام، وغريزة شهوة الطعام مثلاً لتحصيل الغذاء، وغريزة الجنس لبقاء النسل، وكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى "أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ" (٢٢) الزمر وقد تسمى العقل ونور البصيرة، وليس بخفي أن العلم والمعرفة ألد ما في الوجود حتى أن الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يغم به.

والمعارف يقدر شرفها بحسب شرف العلوم، وليت شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها، وعلى ذلك فإن الاطلاع على أسرار الربوبية أطيبها وأشهاها.

ولذلك فإن لذة المعرفة بالله تعالى وصفاته وأفعاله أقوى من سائر اللذات، وهي تخالف سائر اللذات كمخالفة لذة الوقاع لذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة، وغاية العبارة عنه قوله تعالى "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ" (١٧) السجدة وكذلك فإن المعارف الحسية يقطعها الموت ولكن معرفة الله تعالى ومحملها الروح لا يقطعها الموت بل تزداد وضوحاً ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه لقوله تعالى "وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (٦٤) العنكبوت، فمقصد العارفين وصله ولقاءه فقط فهي قرة العين، وأسعد الخلق في الآخرة أقوام حبا لله تعالى في الدنيا، ومن كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغولاً بنفسه ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغولاً بربه.

تطور الحب عند الإنسان

الصبي يحب اللعب واللهو، ثم تظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب فيستحقر معها لذة اللعب، ثم يظهر بعد ذلك لذة الوقاع وشهوة النساء، ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي أعلى لذات الدنيا، ثم بعد ذلك تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله فيستحقر معها جميع ما قبلها (فكل متأخر هو الأقوى) وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشغل

بغيرها ، والعارفون يضحكون من الجميع ويقولون "لن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ" (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ" (٣٩) هود.

بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى

يقوى الحب بأسباب حتى ينتهي إلى الاستهتار الذي يسمى عشقًا، ويحصل هذا بسببين :-

(١) قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب، وكما قال سبحانه "مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ" (٤) الأحزاب وقوله سبحانه وتعالى "قَلَّ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ" (٩١) الأنعام وقوله تعالى "لِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا" (٣٠) فصلت، (١٣) الأحقاف، فأحد أسباب ضعف حب الله هو قوة حب الدنيا ومنه حب الأهل والمال والولد والأقارب والعقار والبساتين، وسبيل ذلك الزهد وملازمة الصبر والاعتقاد بزم الخوف والرجاء

(٢) بعد تطهير القلب من الشواغل يزرع حب الله وينمى حتى يستولي على جميع القلب بالعمل الصالح المبني على العلم (أي علم المعاملة) والغرض من علم المعاملة والعمل به هو صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليلة الحق ويتبين بعلم المعرفة (وهو علم المكاشفة)، فالعلم هو الأول وهو الآخر ولا يوصل إلى هذه المعرفة إلا الفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى ومخلوقاته وترويض أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس، فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله وشغله بنفسه حجاب له.

والواصلون إلى هذه الرتبة نوعين :-

الأقوياء : وهم الذين سبقت معرفتهم بالله تعالى ثم به يعرفون غيره.

الضعفاء : وهم الذين يكون أول معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل، وهذا هو الطريق الأسهل والأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكير والاعتبار، فزيادة المعرفة تزداد المحبة، فإن كنت طالبًا سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر والفكر فعساك أن تحظى منها بقدر يسير، والناس متفاوتون في الحب ولكن المؤمنين مشتركون في أصل الحب.

بيان سبب قصور إفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى، واعلم أن كل ذرة تنادي بلسان حالها أن وجودها ليس بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجود ومحرك لها، والأشياء تستبان بأضدادها، وسبحانه وتعالى عم وجوده حتى أنه لا ضد له ففسر إدراكه، ولذلك فإن أهل البصيرة لا يرون إلا الله تعالى ولا يعرفون غيره ويعلمون أنه ليس في الوجود إلا الله فلا ينظر أحدهم في شيء من الأفعال إلا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل وينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزًا إلى غيره.

بيان معنى الشوق إلى الله تعالى

كل محبوب يُشتاق إليه في غيبته، والشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجه آخر فأما ما لا يدرك أصلاً فلا يشتاق إليه، فمن غاب عنه معشوقة وبقي في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤيا أو أنه رأى وجهه محبوبة ولم يرى شعره فيشتاق لرؤيته، فإن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فيتولد من ذلك الشوق، وكمال الوضوح وتمام إشراق التجلي لا يكون إلا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق وحب اللقاء.

بيان محبة الله للعبد ومعناها

قال تعالى "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" (٥٤) المائدة وقال تعالى "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا" (٤) الصف وقال تعالى "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (٢٢٢) البقرة

محبة العبد لله عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق، والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط، أما حب الله للعبد فلا يكون بهذا المعنى أصلاً، بل أن الأسماء كلها لو أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلاً، وحب الله لعباده معناه كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه، أي يتقرب العبد لربه بالنوافل حتى يصفو قلبه وترتفع الحجب ويحصل القربة، وكل ذلك بفعل الله تعالى ولطفه فهذا معنى حبه.

إذن فإن محبة الله للعبد تعني رفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه، وأن محبة العبد لله هو ميله إلى إدراك هذا الكمال، وأما الفعل الدال على كونه محبوباً من الله فهو أن يتولى الله أمره ظاهره وباطنه سره وجهره.

علامات محبة العبد لله تعالى

(١) أن يتمنى العبد لقاء ربه (لقاء الحبيب) ولا يتمنى الموت مع أن الموت هو مفتاح اللقاء، وأن يستغرق الهم في الاستعداد للقاء.

(٢) أن يكون مؤثراً ما أحبه الله على ما يحبه في ظاهره وباطنه فليزِم شاق العمل ويتجنب إتياع الهوى، والحب لا يمنع من المعصية ولكن يضاد كمال الحب ولذلك قال الفضيل (إذا قيل لك اتحب الله تعالى فاسكت، فإنك إن قلت لا كفرت، وإن قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين، فاحذر المقت).

(٣) أن يكون مستهتراً بذكر الله، لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه.

(٤) أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه، وقال يحيى بن معاذ (من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق، ولقاء الله تعالى عن لقاء الخلق، والعبادة على خدمة الخلق)، وقال أبو يزيد (إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب ما وراء ذلك فإن عنده فوق ذلك أضعافاً مضاعفة).

(٥) لا يتأسف على ما يفوته عما سوى الله وتكون هفوته سبباً لتجدد ذكره وصفاء قلبه، واعلم أن الحكمة تقتضي شمول الغفلة لعبارة الدنيا، فلو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوماً لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الأسواق والمعاش، بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ووقفت الألسنة والأقلام وما انتشر العلم

ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر أسرار وحكم كما أن له في الخير أسراراً وحكماً ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته.

(٦) أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها، وقال بعضهم (العمل على المحبة لا يدخله الفتور، فإن العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقة).

(٧) أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحماً بهم شديداً على جميع أعداءه ولا تأخذه لومة لائم.

(٨) أن يكون في حبه خائفاً متضائلاً تحت الهيبة والتعظيم لأن إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب، وهذا الخوف درجات أولها خوف الأعراض ثم خوف الحجاب ثم خوف الإبعاد، وقد قال بعض العارفين (من عبد الله تعالى بمحبه من غير خوف هلك بالبسط والإدلال، ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش).

واعلم أن العبد في طلب المزيد من القرب والحب والمعرفة باستمرار، وسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم وأما الخصوص فيحبهم عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون إلى ما ظهر من مبادئ اللطف، وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخة ومن له شيخ يصره، وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق المحب.

(٩) الأنس والرضا، وعلامته ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم، واستهتاره بعذوبة الذكر، ومخالطة الناس بالبدن فقط، وهذا يغلب عليه الفرح بالقرب ويسمي استبشاره أنساً وهو استبشار القلب بمطالعة الجمال، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له (أنت مشتاق ؟، فقال لا إنما الشوق إلى غائب)، ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة، وهم أهل الدلال على الله الذي يثمر نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى، وهو الذي إذا أقسم على الله لأبره، وقال الجنيد (يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلوتهم أشياء هي كفر عند العامة ولكنهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك مثل قول سيدنا موسى عليه السلام "إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ" (١٥٥) لأعراف وهذا من غير سيدنا موسى سوء أدب، وكذلك قول سيدنا عيسى على نبينا وعليه السلام "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (٣٣) م. وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس، وسبحانه قِيلَ مِنْ إِخْوَةِ يَوْسُفَ الْكَثِيرِ وَعَفَا عَنْهُمْ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ سَيِّدِنَا الْعَزِيزِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ وهي قوله "أَنْتَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا" (٢٥٩) البقرة.

وإجمالاً فإن جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق هي ثمرة الحب، وأن المحبة منتهى المقامات وإظهارها إظهار للخير ولكن التظاهر بها مذموم لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار.

معنى الرضا بقضاء الله

الرضا هو ثمرة المحبة وهي من أعلى مقامات المقربين، وفي الحديث أن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول (سلوني) فيقولون (رضاك) فسؤالهم الرضا بعد النظر هو نهاية التفضيل وأما سألوه الرضا لأنه سبب دوام النظر لأنه لا رتبة فوق النظر إليه سبحانه وتعالى، وقد روي عن النبي ﷺ أنه سأل طائفة من أصحابه

(ما أتم ؟ فقالوا مؤمنون، فقال ما علامة إيمانكم ؟ فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرضا بواقع القضاء، فقال مؤمنون ورب الكعبة)

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان، وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول دعوه لو قضى شيء لكان) ، وقال الثوري يومًا عند رابعة (اللهم ارض عني، فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض، فقال أستغفر الله)، وسئل الفضيل متى يكون العبد راض عن الله؟ (فقال إذا استوي عنده المنع والعطاء) وقال آخر (إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة) لأن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب وذلك يكون من وجهين :-

(١) أن يبطل الإحساس بالألم لأن القلب إذا صار مستغرقًا بأمر من الأمور مستوفي به لم يدرك ما عداؤه. (٢) أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيًا به بل راغبًا فيه مريدًا له كمن سافر لطلب العلم أو طلب الربح فإنه يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمره سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيًا بها وساعيًا إليها، وهذا الرضا مخالفًا للهوى فمن تصور استيلاء الحب على قلبه حب الجمال الأزلي الأبدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعترضا الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف يرضى بكل فعل الله.

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا

الدعاء لا يخرج صاحبه عن مقام الرضا كما أمرنا ربنا بالدعاء، وكذلك كراهة المعاصي ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتناقض مع الرضا، والرضا بالقضاء وكراهة القضاء لا يتعارضان لأن الرضا والكراهة متضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد، فليس من التضاد أن تكره الشيء من وجه ويرضى به من وجه آخر، وكذلك فإن المعصية لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث أنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به تسليماً للملك في ملكه ورضا بما يفعله، ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه مقيمًا عند الله ومبغضًا عنده فهو من هذا الوجه منكر ومذموم، والشر والخير داخلان في المشيئة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي عنه وعلى العبد الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع إنها من قضاء الله، والدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي غير مناقض للرضا بقضاء الله فإن الله أمر العباد بالدعاء ليستخرج منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع، وكذلك فإن التمسك بالأسباب جرياً على سنة الله تعالى ورسوله لا يناقض التوكل والرضا ولكن الشكوى تناقض الرضا وأقلها قولك (اليوم حار، أو ذم الأطعمة)، وكذلك الفرار من البلاد التي فيها البلاء لا يناقض الرضا ويستوي إن كان هذا البلاء مرضاً أو معصية كقوله تعالى "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا" (٧٥) النساء وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل المقامات الثلاث (رجل يحب الموت شوقاً على لقاء الله تعالى، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى، ورجل قال لا أختار شيئاً بل أرضى بما اختاره الله تعالى) وقيل إن الأخير أفضلهم لأنه أقلهم فضولاً.

وقالوا (من لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محباً لأولياء الله مؤمناً بهم فعسى أن يحشر مع من أحب)، وقال ﷺ (لا يكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال، إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له) وقال ﷺ في حديث آخر (ثلاث من أوتيهن فقد أوتي ما أوتي آل داود، العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وخشية الله في السر والعلن).

كتاب النية والإخلاص والصدق — ٣٦١

لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة، والناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملين، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء، فالعمل بغير نية عناء والنية بغير إخلاص رياء.

النية

فضيلة النية :-

يقول تعالى "وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" (٥٢) الأنعام يقول الحبيب المصطفى ﷺ (إنما الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) وقال صلى الله عليه وسلم (الناس أربعة، رجل آتاه الله عزَّ وجلَّ علماً ومالاً فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فيها في الأجر سواء، ورجل آتاه الله تعالى مالاً ولم يؤته علماً فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فيها في الوزر سواء) وقوله ﷺ (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال لأنه أراد قتل صاحبه)، وقال بعض السلف (رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية).

إذن فإن عماد الأعمال هي النيات، والنية في نفسها خير وإن تعذر العمل بعائق، والمقصود هو نية العزم والقصد وليس نية التمني وأحلام اليقظة.

بيان حقيقة النية

هي حالة وصفة للقلب وهي انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلاً وإما آجلاً، والنية يلزمها علم وعمل يتبعه، والعمل يلزمه إرادة وقدرة لأن الإنسان لا يريد ما لا يعلمه ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من إرادة، ولتنفيذ هذه الإرادة لا بد من قدرة على الفعل.

أولاً المعرفة والعلم وجعل لها الله وسائل الإدراك وهي الحواس الظاهرة والباطنة، فإذا رأى مثلاً الطعام وعلم أنه موافق له ومحتاج إليه تتولد الإرادة وهي النزوع في النفس وتوجه القلب لهذا الغرض (أي أنه بالإرادة وجد في نفسه رغبة لهذا الطعام) ثم تأتي القدرة لتنفيذ هذه الرغبة وهو العمل، فالنية هي الصفة المتوسطة وهي الإرادة وانبعثت النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق الغرض إما في الحال أو في المآل.

والانبعث للعمل يكتنفه أربعة أحوال :-

(١) إخلاص العمل ، وهو أن يكون الباعث واحد فقط كمن رأى أمامه سبباً مفترساً فليس أمامه إلا الفرار.

(٢) أن يجتمع باعثن كل واحد منهما مستقل بالإنهاض لو انفرد، فمثلاً لو طلب فقير من غني صدقة وفي نفس الوقت هو قريب ذو رحم فأعطاه، ولو كان فقيراً فقط لأعطاه وهذا الحال يسمى (مرافقة البواعث).
(٣) أن يجتمع باعثن وكل واحد منهما لا يكفي للفعل، فلو طلب منك فقير صدقة فلا تعطه وإذا سألك ذو رحم صدقة فلا تعطه ولكن إذا اجتمع ذو رحم وهو فقير وطلب صدقة في هذه الحالة تعطه لاجتماع دافعين للعمل ويسمى هذا (مشاركة البواعث).

(٤) أن يجتمع باعثن ولكن منهما واحد قوي دافع للعمل والثاني غير كافٍ للعمل ولكن وجوده يعين على العمل، ومثال ذلك إذا طلب من أحدهم صدقة فهو عازم على دفعها وإذا وجد من يراه يفعل هذا الفعل زاد من عزمه وهو ثوب الرياء، ومثال آخر من عليه ورد في الصلاة يؤديه كل يوم ولكن في أحد الأيام رآه أحدهم فأعانه أكثر على تنفيذ ما تعود عليه ويسمى هذا الجنس (المعاونة).

فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقاً أو شريكاً أو معيئاً، أما إذا كان الباعث واحد فقط فهو الإخلاص والعمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قال ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) لأنها تابعة ولا حكم لها في نفسها.

بيان سر قوله ﷺ (نية المؤمن خير من عمله)

كل طاعة تنظم بنية وعمل فالنية من جملة الخيرات والعمل من جملة الخيرات، والنية خير من العمل لأن العمل كثيراً ما يشوبه رياء أو نقص، والقلب هو المقصود والجوارح خادمة للقلب وموصلة للمقصود ولذلك قال ﷺ (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد) وقال ﷺ (اللهم أصلح الراعي والرعية) فمن هذه الدرجة تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح وهي ميل القلب إلى الخير وإرادته له، والغرض من أعمال الجوارح هو تعود القلب على إرادة الخير فوضع السجود يؤكد صفة التواضع أما إذا قصد به العبد رياء أو تعظيم شخص آخر لا يكون وجود السجود كدمه بل زاده شراً، وبهذا نفهم قوله ﷺ (مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ) لأن هَمَّ القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وإنما الإتمام بالعمل يزيدها.

بيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنية

الأعمال وإن اختلفت إنما هي معاصي أو طاعات أو مباحات.

القسم الأول : المعاصي :-

وهي لا تتغير عن موضعها بالنية كالذي يغتاب إنساناً مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقير من مال حرام وقصده الخير فهذه النية لا تقلب شرّاً خيراً فإن فعل ذلك وهو يعلم فهو معاند للشرع وإن جهل فهو عاص بجهله لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فمن قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور، وطوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه، وكذلك لا يوصف بالسخاء من أعطى مالاً لمن يشرب به الخمر وهو يعلم، ولا صدقة لمن يعطي طفلاً في الشارع وهو يعلم أنه يعينه على الفساد.

القسم الثاني : الطاعات :-

وهي كل طاعة يقصد بها وجه الله تعالى لا غير فهي طاعة ولكن إن قوى الرياء صارت معصية أي أن أعمال الخير ربما تقلبها النية الفاسدة معصية، والطاعة الواحدة يكتنفها أكثر من نية حسنة وله بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها، فمثلاً الجلوس في المسجد هو طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة فمثلاً :

- (١) أنه زائر لله كما قال ﷺ (من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور أن يكرم زائره).
- (٢) أن ينتظر الصلاة فهو من الرابطين.
- (٣) التزهب بكف السمع والبصر.
- (٤) عكوف الهم على الله ولزوم السر والفكر.
- (٥) أن يترك الذنوب حياء من الله وهو جالس في بيته.
- (٦) أن يصلي تحية المسجد.
- (٧) أن يصلي على جنائز المسلمين إن حضرت.
- (٨) أن يشارك في حلقات العلم والذكر إن وجدت.
- (٩) أن يكثر الجماعات في صلاة الفرض وهكذا في سائر الطاعات والمباحات.

ثالثاً : المباحات :-

المباحات كثيرة ولا يمكن إحصاؤها ولهذا قال بعض العارفين (لني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلتي وشربي ونومي ودخولي الخلاء) وإن ضاع له مال يقول هو في سبيل الله حتى في استعمال الطيب لا بد فيه من نية فمثلاً ينوي اتباع سنة سيدنا رسول الله ﷺ وينوي تعظيم المساجد واحترام بيوت الله فلا يرى أن يدخله زائر الله إلا طيب الرائحة ويقصد به ترويح جيرانه في المسجد ودفع الروائح الكريهة عن نفسه فكل ذلك نيات حسنة ولكن إذا طلب به الدنيا مثل الرياء أو قلوب النساء الأجنيات أو التناخر بكثرة المال والتنعم بلذات الدنيا فبذلك يكون استعمال الطيب معصية، ومن أمثلة النيات الحسنة في المباحات الأكل للتقوية على العبادة والوقاع لتحسين نفسه وتطيب أهله والتوصل به إلى النسل الصالح.

فإياك أن تستحق شيئاً من حركاتك فلا تحتز من غرور النفس وشروها ولا تعد جواباً يوم السؤال والحساب لقوله تعالى "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" (١٨) فإذا فكرت في عمل وعلمت أن لا باعث له إلا الدين فامض عزمك وإلا فامسك ثم راقب أيضاً قلبك في إمساكك فإن ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي أن يكون الداعي للفعل أوترك الفعل هوى خفي ولا يغرنك ظواهر الأمور، فحديث سيدنا رسول الله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي إذ أن الطاعة تنقلب إلى معصية بالقصد وكذلك المباح ينقلب معصية أو طاعة بالقصد فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أبداً.

وليست النية هي قول القائل بلسانه نويت أو بقلبه ولكن لابد من انبعاث القلب وتوجهه وميله إلى ما ظهر له أن فيه غرضها إما عاجلاً وإما آجلاً فمثلاً يقول أدرس لله أو أكل لله ويظن ذلك نية، وهيهات فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر وانتقال من خاطر إلى خاطر والنية من جميع ذلك بمعزل ومنه براء.

ونيات الناس في الطاعات أقسام :-

- منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف من النار.
- ومنهم من يكون عمله إجابة لباعث الرجاء في الجنة.
- أما عباده ذوي الألباب فهي حباً لجمالها وجلاله وهم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

الإخلاص

قال تعالى "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ" (٥) البينة وقال تعالى "أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ" (٣) الزمر وقال تعالى "فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (١١٠) الكهف وقال سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث القدسي عن رب العزة (الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي) وقال ﷺ (أخلص العمل يُجْزِكَ القليل منه).

بيان حقيقة الإخلاص

كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا بما يشوبه وخلص عنه سمي خالصاً، والإخلاص يضاده الشرك إلا أن الشرك درجات، والشرك منه الشرك الخفي ومنه الجلي، وجرى العرف على تخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب، وقالوا (الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد) وقالوا (الإخلاص هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين) وقالوا (الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر للحق).

والإخلاص في النية يرجع إلى إجابة البواعث فإذا كان الباعث واحداً كانت النية خالصة لله وإذا تعددت البواعث كانت النية غير خالصة لله، ومثال ذلك أن يصوم المرء لينتفع بالحمية بالصوم مع قصد التقرب لله أو يبيع ليصح مزاجه بحركة السفر أو يصلي بالليل وله غرض طرد النعاس أو يتعلم العلم ليزداد به عزاً في أهله أو يكون عقاره وماله محروساً بعز العلم عن الأطماع أو يتوضأ لينظف ويتبرد أو يغتسل لتطيب رائحته أو يعُود مريضاً ليعاد إذا مرض أو يشيع جنازة ليشيع جنازة أهله أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف

بالخير، فكل ذلك يخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك، ثم أن هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة الموافقة أو في رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة. إذن فعلاج عدم الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب ولا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى، وقال الفضيل (ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منها). والآفات المشوشة للإخلاص بعضها جلي وبعضها خفي، فمثلاً :

الدرجة الأولى : وهي الرياء الظاهر وهو قول الشيطان له (حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح).

الدرجة الثانية : وهو أن يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها الحذر ولكن يقول له شيطانه (أنت متبوع ومقتدى بك فأحسن عملك حتى يتأس بك غيرك) وهو أيضاً عين الرياء.

الدرجة الثالثة : وهي أدق مما قبلها وهو أن صلاته في الخلوة مثل صلاته بين الناس ولكنه مشغول بهم بالخلق في الملا والخلا جميعاً لأنه يستحي أن يكون في صورتين.

فالشيطان ملازم للمشمعين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة حتى في قص شاربه والتطيب يوم الجمعة.

بيان حكم العمل واستحقاق الثواب به

اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى بل امتزج بشوب من الرياء أو حظوظ النفس فكذلك الثواب شابه النقص، فإذا كان الباعث الديني مساوياً للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وإذا كان باعث الرياء أغلب فهو عمل مضر ومفض للعقاب وإذا كان قصد التقرب أغلب فله ثواب بقدر ما فضل، فلا ينبغي أن يضع قصد الخير وكذلك لا يضع مثقال ذرة من الخير أو الشر ولا ينفك عن تأثير في إنارة القلب أو تسويده وفي تقريبه من الله أو إبعاده لقوله تعالى في الحج "لَيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ" (٢٨) والحج وتفسير قوله تعالى في الحديث القدسي (أنا أغنى الأغنياء عن الشركة، من عمل لي عمل فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي) وقوله ﷺ {يقال لمن أشرك في عمله خذ أجره ممن عملت له} أي أن لفظ (الشركة) ورد في مطلق التساوي، أي إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن لا له ولا عليه.

وقال بعضهم (جاورت البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله)، ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند الخوف من الرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان، وأن طلب الإخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص، فما قلت لك اترك العمل ولكن أخلص العمل.

الصدق

فضيلة الصدق .

قال تعالى "رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ" (٢٣) الأحزاب وقال ﷺ (إن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور

يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) والصدق هو الحكم المطابق للواقع، وأقل درجات الصدق هو استواء السر والعلانية، وضد الصدق هو الكذب وعلامته جوده باليمين بغير مستحلف.

ولفظ الصدق يستعمل في خمسة معان (١) صدق في القول (٢) صدق في النية والإرادة والعزم (٣) صدق في الوفاء بالعزم (٤) صدق في العمل (٥) صدق في تحقيق مقامات الدين كلها.

1) صدق اللسان : وهذا أشهر أنواع الصدق وأظهرها، وهو حفظ اللسان عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه، والخبر إما يتعلق بالماضي أو المستقبل، ولهذا الصدق كمالان :

الكمال الأول ، وهو الاحتراز عن المعارض، وقد قالوا في المعارض مندوحه عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب وهو أن يقول كلاماً صادقاً وإن كلامه يفهم على غير ما هو عليه، ورخص في الكذب عند الصلح بين الناس أو كلام الرجل لزوجته أو في حالة الحرب، والصدق هنا يتحول إلى النية فلا يرعى فيه إلا صدق النية وهي إرادة الخير.

الكمال الثاني ، وهو أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي ينادي بها ربه كقوله "وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ" (٧٩) الأنعام وهو مشغول عن ربه أو يقرأ الفاتحة ويقول (الحمد لله) وهو ساخط ويقول (إياك نعبد وإياك نستعين) وكان له مطلب سوى الله لم يكن صادقاً.

2) صدق النية والإرادة والقصد : وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى ، وكما قال الحق عن المنافقين "وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ" (١) المائدة وقد قالوا (إنك لرسول الله) وهذا صدق ولكن كذبوا في شهادتهم بقولهم "نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ" (١) المائدة.

3) صدق الوفاء بالعزم : فإن النفس تسخو بالعزم والنذر في الحال إذ لا توجد مشقة في الوعد والعزم، فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن هاجت الشهوات وانحلت العزيمة، وهذا يضاد الصدق ولذلك قال الله تعالى "رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ" (٢٣) الأحزاب وقال تعالى "وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ" (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ أَنْ يُلْقَوْهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" (٧٧) التوبة فجعل العزم عهداً وجعل خلف العزم كذباً والوفاء به صدقاً.

4) الصدق في الأعمال : وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمرٍ في باطنه لا يتصف به، فمثلاً وقف في الصلاة والجميع يراه كذلك وهو بوجدانه واقف في السوق بين يدي شهوة من شهواته (وهو رياء الأعمال) أو قد سلك مسلك الصوفية من السكينة والوقار وداخله غير ذلك، ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية.

إذن فإن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الإخلاص، وإن كانت عن غير قصد يفوت بها الصدق، إذن فإن مساواة السريرة للعلانية هو أحد أنواع الصدق.

5) الصدق في مقامات الدين : وهو أعلى الدرجات وأعزها كالصدق في الخوف والرجاء والصدق في الزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور وكما قال تعالى "لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ (١٧٧) البقرة إلى قوله تعالى "أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (١٧٧) البقرة.

وهذه المقامات لا غاية لها ولا انتهاء حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوي، فإذا قوي سمي صادقاً فيه لمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه (والصحابة رضوان الله عليهم كانوا خائفين وما بلغوا مقدار خوف سيدنا رسول الله ﷺ)، والصادق في جميع هذه المقامات عزيز، ثم إن درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون البعض فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً.

فالصدق ثلاثة، صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة، ومن علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعاً وكراهة اطلاع الخلق عليها.

كتاب المراقبة والمحاسبة ص ٣٩٣

سبحانه وتعالى الرقيب على كل نفس بما اجتاحت، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض إذا تحركت أو سكنت، وهو المحاسب على الفتيل والنقير والقطمير لقوله تعالى "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ" (٤٧) الأنبياء وقال تعالى "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ" (٣٠) آل عمران ولذلك قال الحق "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَبِّطُوا" (٢٠٠) آل عمران.

والمراقبة تمر بستة مراحل هي (١) المشاركة (٢) المراقبة (٣) المحاسبة (٤) المعاقبة (٥) المجاهدة (٦) تويخ النفس ومعاتبتها.

(١) المشاركة (توصية النفس) : وهو أن يشترط على نفسه كيف يقضي هذا اليوم (وذلك بعد صلاة الصبح مباشرة) فهذا يوم جديد قد أمهلني الله فيه هل لي أو عليّ وقد أنسا الله في أجلي ويقول لنفسه إياك أن تضيعي هذا اليوم، وكما قال الشاعر أحمد شوقي

دقات قلب المرء قائمة له ***** إن الحياة دقائق وثوان

ثم يوصي وسائل إدراكه (العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل) لتعمل بمقتضى الشرع ويشارطها (أي يشرط عليها) إن خالفت شيئاً عاقبها بالمتع عن الشهوات، ثم يستأنف توصيتها في وظائف الطاعات المفروضة، والنوافل التي يقدر عليها يستكثر منها والتي لا يقدر عليها يراودها على فعلها لأن النفس بطبعها متمردة على الطاعات وأن التأديب يؤثر عليها وكما قال سيدنا رسول الله ﷺ {الْكَيْسَ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي} ودان نفسه أي حاسبها، ويوم الدين هو يوم الحساب.

(٢) المراقبة : إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال.

فضيلة المراقبة : أن تعبد الله كأنك تراه، وقال الجنيد (إن نظر الحق إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه) وقال أبو حفص (إذا جلست للناس فكن واعظاً لنفسك وقلبك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك).

والمراقبة هي علم القلب بقرب الله تعالى فإنك لا تغيب عنه لحظة، وقال سلمان بن علي (لئن كنت إذا عصيت الله خالياً ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت).

حقيقة المراقبة : هي حالة في القلب يثمرها نوع من المعرفة وهي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه للعلم بأن الله مطلع على السرائر والضمائر.

درجات المراقبة : هي درجتان ، درجة الصديقين ودرجة أصحاب اليمين.

مراقبة المقربين والصديقين : وهي مراقبة التعظيم والإجلال، وهو الذي صار همه هما واحداً وقلبه مستغرق بملاحظة جلال الله، وقد يغفل عن الخلق وهم بجواره وهو فاتح عينيه.

مراقبة الورعين وأصحاب اليمين : وهؤلاء على يقينهم بمراقبة الله لهم فقد بقيت قلوبهم على حد الاعتدال ملتفتة إلى الأحوال والأعمال، نعم غلب عليهم الحياء من الله وعند الإقدام على عمل لهم نظر قبل العمل ونظر عند العمل ونظر بعد العمل.

النظر قبل العمل : يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجراحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو هوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به، وهذا يستلزم إحكام العلم ومعرفة آفات الأعمال.

وفي الخبر أنه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاث دواوين (لِمَ تُمَ كَيْفَ تُمَ لِمَن) أولاً (لِمَ فعلت هذا ؟) هل لرغبة في نفسك أم لمولاك، فإن كان لله قيل (كيف فعلت هذا ؟) يعلم أم بجهل، فإن كان يعلم قيل (لِمَن عملت ؟) ألوجه الله خالصاً أم مرآة لأحد ، وقال ﷺ (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

النظر عند العمل : وهو المراقبة بكيفية العمل ليقضي حق الله، ولا يخلو العبد إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح، فمراقبة نفسه في الطاعات بالإخلاص والإكمال وحراستها من الآفات، وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء، وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب وشهود المنعم، وإجمالاً أن يكون العبد على حاله لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة مصداقاً لقوله ﷺ (لا يكون المرء ظاعناً إلا في ثلاث، تزود لمعاد أو مreme لمعاش أو لذة في غير محرم).

(٣) المحاسبة : وهي تكون بعد العمل كما قال الحق "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ" (١٨) الحشر ولذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا) وقال الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى "وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ" (٢) لقائمة قال (لا تلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ؟ ماذا أردت بأكلتي ؟ ماذا أردت بشربتي ؟) والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه.

حقيقة المحاسبة :-

وكما أن المشاركة تكون أول النهار فإن المحاسبة تكون آخر النهار على ما شارط نفسه عليه فيحاسبها على الفرائض والنوافل ويطلبها بتجهيز الجواب عن أقواله وأفعاله ونظراته وأفكاره وقيامه وعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لِمَ سكت.

(4) المعاقبة : إذا حاسب نفسه لم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير فلا ينبغي أن يهملها ولكن يعاقبها من نفس الباب فيعاقب البطن بالجوع والنظر بالحرمان والنوم بالسهر، والعجيب أنك تعاقب ولدك وابنتك وعبدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير ولا تحاسب نفسك.

(5) المجاهدة : أولا الحساب ثم العقاب ولكن إذا كان التقصير كسلاً فعليك بالمجاهدة وزيادة الأوراد ويلزمها فنوناً من الوظائف جبراً لما فات تقصيره، فطوبى لمن طال عمره وحسن عمله. وقصص المجاهدين من الرجال والنساء كثيرة لا تحصى :-

فمثلاً : كان أويس القرني يقول (هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله راكعاً، وإذا كانت الليلة التالية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله ساجداً)، وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعشق رقبة، وقال الجنيد (ما رأيت أعبد من السري أتت عليه (٩٨) ثمان وتسعون سنة ما رؤى مُضجعاً إلا في علة الموت)، وقيل لبعض الصالحين (كيف صبرك على سهر الليل وظماً الهواجر ؟ فقال هل هو إلا إني صرفت طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر)، وقال أبو بكر المطوعي (كان وردني في شببتي كل يوم وليلة اقرأ "قل هو الله أحد" إحدى وثلاثين ألف مرة (٣١٠٠٠) مرة)، وفي مجاهدات رابعة العدوية وأمثالها الكثير، فإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله (وكتاب حلية الأولياء فيه الكثير من أبواب المجاهدة).

(6) توبيخ النفس ومعاتبتها : النفس خلقت أمانة بالسوء ميالة للشر وإذا لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة ارتقت إلى النفس اللوامة التي أقسم بها الله ورجوت أن تصير إلى النفس الملهمة ثم المطمئنة ثم الراضية ثم المرضية ثم العبدية (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) وأن الجنة محفوفة بالمكاره.

والشهوة كالشجرة التي تحاول اقتلاعها وكلما تأخرت ازدادت الشجرة تمسكاً في الأرض وازدادت أنت ضعفاً يوم بعد يوم، والقضيب الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك، والتمتع بالشهوات الصافية الدائمة لا يكون إلا في الجنة (والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمني على الله الأماني).

قل لنفسك الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم ؟ أما ترين كيف يجمعون ما لا يأكلون ويننون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون ؟ يبني الواحد منهم قصراً مرفوعاً إلى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الأرض.

وكنذك فإن الجاه لا معنى له، فبعد خمسين سنة لا يبقى لك ذكر ولا ذكر لمن عظمك، وكيف أنك تفرح كل يوم بزيادة مالك ولا تحزن بنقصان عمرك، وما ينفع مال يزيد وعمر ينقص.

كتاب الفكر ص ٤٢٣

سبحان من ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيري، وكلما اهترت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسراً وإذا همت بالانصراف أيسه نوديت من سرادقات الجمال صبراً صبراً.

فضيلة الفكر

يقول الحق تعالى "وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا" (١٩١) آل عمران ويقول تعالى "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" (١٩٠) آل عمران، وقال الحسن (من لم يكن كلامه حكمه فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكيراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو)، أي (نطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبداً)، وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (الفكرة في نعم الله عزَّ وجلَّ من أفضل العبادات) وقال الجنيد (أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، والتنسم بنسيم المعرفة، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد، والنظر بحسن الظن لله عزَّ وجلَّ).

حقيقة الفكر وثمرته :

معنى الفكر : هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منها معرفة ثالثة... وهكذا، ويسمى (اعتباراً) أي عبوراً من فكرتين إلى فكرة ثالثة، وإن لم يقع العبور لم يكن إلا الوقوف على المعرفتين ويسمى (تذكر)، فائدة التذكر تكرر المعارف على القلب لترسخ، وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة جديدة (ومثله التدبر والتأمل)، وأما أكثر الناس إنما منعوا الزيادة في العلوم لفقدانهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فإنه لا يقدر على الربح.

ثمرة الفكر : الفكر هو مفتاح الخيرات كلها لأن ثمرته العلم الذي يتبعه الحال في القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح (علم ثم حال ثم عمل) والحال هو تغير القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، إذن فإن ثمرة الفكر هي العلوم والأحوال والأعمال.

بيان مجاري الفكرة : الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين، وإنما الغرض هنا فيما يتعلق بالدين وهو المعاملة بين العبد وبين الرب تعالى، والفكر إما يتعلق بالعبد وصفاته وأحواله وإما يتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله (أي شقين).

(١) فيما يتعلق بالعبد من الفكر : هو عشرون خصلة نصفها مهلكات والنصف الآخر منجيات :-
فالمهلكات هي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشراهة الطعام وشراهة الوقاع وحب المال وحب الجاه (وجملتها المعاصي) وهي تبعد الحبيب عن محبوبة والمنجيات التي يجب التفكير فيها هي الندم على الذنوب، الصبر على البلاء، الرضا بالقضاء، الشكر على النعماء، اعتدال الخوف والرجاء، الزهد في الدنيا، الإخلاص في الأعمال، حسن الخلق مع الخلق، حب الله تعالى والخشوع له (وجملتها الطاعات) وهي تقرب المحب من محبوبة.

(٢) فيما يتعلق بالمعبود من الفكر: وهو الفكر في جلال الله وعظمته، وهو كذلك على مقامين:-

أ) النظر في ذات الله، وهو يورث الحيرة والدهشة والصواب عدم التعرض له.
 ب) التفكير في أفعال الله ومجاري قدره وعجائب صنعته وبدائع أمره في خلقه، فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقديسه وتعاليه، والنظر في الآثار يدل على المؤثر، وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرته ونور من أنوار ذاته، فهذا سر قوله ﷺ (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله تعالى)، ويبدأ التفكير في الإنسان وخلقته من نطفه وما تؤول إليه، والتفكير في السموات والأرض والحيوان والنبات ووحدة فكرة الخلق في الأرض والسماء في اليابسة والماء وفي الهواء والماء، ثم بعد كل ذلك "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (٨٥) الإسراء.

كتاب ذكر الموت وما بعده ص ٤٤٨

سبحان الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة فَنُقِلُوا من القصور إلى القبور ولم يجدوا من الموت حصناً ولا اتخذوا من دونه حجاباً، فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء.

ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره

الناس بالنسبة للموت ثلاثة أصناف :-

- ١) منهمك في الدنيا ولا يذكر الموت.
- ٢) تائب يكثر من ذكر الموت ويخاف أن يتخطفه الموت قبل قبول التوبة.
- ٣) عارف يذكر دائماً الموت لأنه موعد لقاء حبيبه.

بيان فضل ذكر الموت

قال ﷺ (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات) لأن الغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا، والدنيا سجن المؤمن، وقال ﷺ (أكثرُوا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويذهب في الدنيا) وقال ﷺ (كفى بالموت واعظاً)، وقال بعضهم (من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا)، وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لبعضهم (عظني ؟ فقال لست أول خليفة تموت وليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك).

أكثر من ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضَيِّقُهُ عليك وإن كنت ضَيِّقُ العيش وَسَّعُهُ عليك، والذكر يكون بقلب فارغ عن الدنيا، ويعينه على ذلك ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ويذكر حالهم في الدنيا وحالهم في الآن وكيف حالهم في التراب وحال أولادهم من بعدهم، ويعين على ذلك كثرة دخول المقابر (زيارة المقابر) ومشاهدة المرضى.

فضيلة قصر الأمل

قال سيدنا رسول الله ﷺ (إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً)، وقال بعضهم (رأيت زرارة بن أبي أوفى بعد موته في المنام فقلت أي الأعمال أبلغ عندكم؟ قال التوكل وقصر الأمل)، وقال الثوري (الزهد في الدنيا وقصر الأمل).

أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم، أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً من غير عُدّة.

وطول الأمل في الدنيا له سببان هما الجهل وحب الدنيا، الجهل بأن الموت وارد في كل لحظة وكل سن وفي الصحة والمرض وحب الدنيا يدعو إلى التسويف وأنه سوف يحمل مثل غيره للقبر، وعلاج ذلك أن يعرف أن حب النفيس هو الذي يحو عن القلب حب الحقير فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسه الآخرة أعرض عن الدنيا.

بيان المبادرة إلى العمل وضرر آفة التأخير

نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الصحة والفراغ، ويقول الحبيب المصطفى ﷺ (بعثت أنا والساعة كهاتين (وقرن بين إصبعيه))، وقال سيدنا عمر رضي الله عنه (التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الخير للآخرة) والآيات في ذلك كثيرة.

في سكرات الموت

كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك، وقال سيدنا رسول الله ﷺ (تقبل التوبة ما لم يغر). ودواهي الموت ثلاثة (١) شدة النزاع (٢) رؤية ملك الموت بأشع صورة للعصاة وأحسن صورة للمطيعين (٣) مشاهدة العصاة مواضعهم من النار والمطيعين يشاهدون مواضعهم من الجنة لقوله ﷺ (لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار)، ويستحب عند الموت الهدوء والسكون وأن ينطق الشهادة بلسانه وقلبه وأن يكون حسن الظن بالله، وعلى من بجوار المحتضر أن يذكره بالشهادة لقوله ﷺ (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) وقوله ﷺ (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)، وقال سيدنا عمر رضي الله عنه (احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا إله إلا الله)، وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف، وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن الظن بالله.

أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر

من آداب حضور الجنائز التفكير والتنبه والمشي أمامها (أي أمام الجنازة) على هيئة التواضع وحسن الظن بالميت وإن كان فاسقاً، وكان الربيع بن خيثم قد حضر في داره قبراً وكان إذا وجد في قلبه قسوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء ثم يقول (رَبِّ ارْجُفُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) يرددها ثم يرد على نفسه (يا ربيع قد رجعت فاعمل).

زيارة القبور والدعاء للميت

زيارة القبور مستحبة على الجملة (الإجمال) للتذكر والاعتبار ، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار، والزيارة سنة وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرًا) وقال ﷺ (زوروا موتاكم وسلموا عليهم فإن لكم فيهم عبرة) وقال ﷺ (من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتبَ بارًا) وقال ﷺ (من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي) وقال ﷺ (من زارني في المدينة محتسبًا كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة) وقال ﷺ (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم)، وقال سليمان بن سحيم (رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقهم سلامهم؟ قال نعم وأرد عليهم).

ويستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له كما أمر سيدنا رسول الله ﷺ حين قال (إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدًا، ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثالثة فإنه يقول (أرشدنا يرحمك الله) ولكن لا تسمعون، فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأنت رضىت بالله ربًا وبالإسلام دينًا ومحمد ﷺ نبيًا وبالقرآن إمامًا، وأن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجة ويكون الله عزَّ وجلَّ حجيجهم دونهما، فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه؟ قال فلينسبه إلى حواء)، ولا بأس بقراءة القرآن على القبور، وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه (إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد)، ويستحب الثناء على الميت وألا يذكر إلا بالجميل وقال ﷺ (لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه).

حقيقة الموت

(١) الموت هو خروج الروح من الجسد، والروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة، وتعطل أعضاء الجسد وعدم الحركة يماثل قطع العصب المغذي للعضو، وخروج الروح يماثل قطع العصب المغذي للجسم كله.

(٢) ينكشف للروح ما لم يكن مكشوفًا في الحياة (فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) وهذا الانكشاف يحدث عند انقطاع النفس وقبل الدفن، ثم عند الدفن ترد الروح للجسد للنعيم أو العذاب (فالقبر إما حفرة من حفر النار وإما روضة من رياض الجنة)، ولا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه، وقال ﷺ (لأن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء لم يحب أن يرجع إلى مكانه)، وعن عمر بن دينار قال (ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفونونه وإنه لينظر إليهم، وإن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره).

وأهل القبور يترقبون الأخبار فإذا جاء الميت سألوه واستقبله أهله كما يستقبل الغائب.

وقال ﷺ (إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا (إنا لله وإنا إليه راجعون) ذهب به إلى أمه الهاوية)، فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم أو نعيم مقيم، فينبغي أن يكون الاستعداد له.

أحوال الميت من وقت نفخة الصور على الاستقرار في الجنة أو في النار

نفخة الصور : سيدنا إسرافيل ينفخ النفخة الأولى فيصعق من في السموات والأرض من شدة الفزع إلا ما شاء الله، ثم يأمر ملك الموت فيقبض روح سيدنا جبريل ثم روح سيدنا ميكائيل ثم روح سيدنا إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت فيموت، ثم يحيي الله تعالى سيدنا إسرافيل فيأمره أن ينفخ النفخة الثانية فإذا هم قيام ينظرون، وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق لقوله تعالى "وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ" (٥٠) التكاثر ثم تقبل الشياطين خاشعة ذليلة، ثم يحشر (يساق) الجميع إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلا وهي أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد وليس فيها ظل إلا ظل رب العالمين فيعرق الناس عرقاً شديداً (وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً) وهذا يوم طويل يقوم الناس فيه ثلاثمائة عام (وقيل خمسين ألف سنة) وإنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلحها في الدنيا.

وهذا اليوم له أكثر من مائة اسم لما فيه من أهوال فهو (يوم القيامة، يوم الحسرة، يوم الندامة، يوم المحاسبة، المسألة، المسابقة، المناقشة، المنافسة، الزلزلة، الدمدمة، الصاعقة، الواقعة، القارعة، الرجفة، الرادفة، الغاشية، الداهية، الآزفة، الحاقة، الطامة، الصاخة، التلاق، الفراق، المساق، القصاص، التناد، الحساب، المالب، العذاب، الفرار، القرار، اللقاء، النقاء، القضاء، الجزاء، البلاء، البكاء، الحشر، الوعيد، العرض، الوزن، الحق، الحكم، الفصل، الجمع، البعث، الفتح، الخزي، يوم عظيم، عقيم، عسير، يوم الدين، اليقين، النشور، المصير، النفخة، الصيحة، الرجعة، الرجة، الزجرة، الكره، الفرع، المنتهى، الجزع، المأوى، الميقات، الميعاد، المرصاد، العلق، العرق، الافتقار، الانكدار، الانتشار، الانشقاق، الوقوف، الخروج، الخلود، التغاين، يوم عبوس، الساعة، يوم مشهود، يوم لا ريب فيه، يوم تبلى السرائر، وكذلك أسماء وصفية مثل يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً).

صفة الخصماء ورد المظالم

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإذا مات العبد قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه يوم القيامة ويأخذ كل ذي حق حقه، هذا يقول ظلمي وهذا يقول شمتني وهذا يقول اغتابني، وهذا يقول أسأت جواربي وهذا يقول غشني وغشني في البيع، وهذا يقول ما أطعمتني وأنت الغني، وهذا يقول رأيتني مظلوماً فما نصرتني، فعند ذلك تؤخذ حسناته لمن ظلمه فإن لم تكف يؤخذ من ذنوب من ظلمه وتوضع في ميزان الظالم (أي تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم).

فسبحان الله المقصّر يدخل الجنة بحسنات من ظلمه والصالح يدخل النار بذنوب من ظلمهم واغتياهم !! فكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجاء من القرناء ثم يقول كوني ترابا، وكيف حالك يامسكين يوم ترى صحيفتك خاوية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي؟ فيقال نقلت إلى صحيفة خصائك، وترى صحيفتك بسيئات طال في الصبر عنها نصيبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط؟ فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة، فأكثر من الحسنات حتى يبقى لك شئ بعد رد المظالم أو ذنوب تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة، ولا يخرج من هذه المقاصة إلا الصوم كما قال الحق (الصوم لي وأنا أجزي به).

صفة الصراط : يقول الحبيب المصطفى ﷺ (يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يجيز بأتمته من الرسل، ولا يتكلم يؤمئذ إلا الرسل وقولهم (اللهم سلم، اللهم سلم)) فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا.

صفة الشفاعة : إن الله تعالى بفضله يقبل شفاعة الأنبياء والصديقين قبل شفاعة العلماء والصالحين، وفي يوم القيامة في حديث طويل (يذهب البشر إلى سيدنا محمد ﷺ ويقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، فأطلق فأتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تُشفع، فأرفع رأسي فأقول أمتي أمتي يا رب).
فإن كنت قليل البضاعة فعليك بالشفاعة ووسيلتها هو حبك لسيدنا رسول الله ﷺ وتعظيم سنته، وقال ﷺ (أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شفيع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر).

صفة الحوض : من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأول الناس وروداً عليه هم فقراء المهاجرين.

صفة جهنم : وإن منكم إلا واردها فدع التفكير فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت أن النار مورد للجميع وهي (جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية) وقال ﷺ (إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه، وإن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقتها أهل الدنيا)، وفي الحديث قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (ضرس الكافر في النار مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث).

صفة الجنة : يقال لهم "سلامٌ عليكم طِبُّمُ فادخلوها خَالِدِينَ" (٧٣) الأعراف، واللذة الكبرى هي النظر إلى ولا خطر على قلب بشر.

قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً) فذلك قوله عزَّ وجلَّ "وَوَدُّوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (٤٣) الأعراف، واللذة الكبرى هي النظر إلى

وجه الله تبارك وتعالى ولا يوجد شبه لشيء من لذات الجنة إلى لذة (تعاذل لذة) الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وقال سيدنا رسول الله ﷺ (إن أهل الجنة مرد جماد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم طولهم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع)، وقال مجاهد (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي).
سعة رحمة الله:

يدخل الجنة من الأمة المحمدية سبعون ألفاً بغير حساب، وهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيلون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ؟ فقال سيدنا رسول الله ﷺ أنت منهم، ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة، فقال النبي ﷺ سبقك بها عكاشة، ثم تغيب سيدنا رسول الله ﷺ ثلاثاً لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة فلما كان اليوم الرابع خرج وقال (وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم، وإني سألت ربي هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجداً كريماً فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً).
أي ($70,000 \times 70,000 = 4,900,000,000$) أي أربعة مليارات وتسعمائة مليون مسلم يدخلون الجنة بغير حساب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقتطفات من كتاب عوارف المعارف

للعارف بالله الإمام السهروردي

- هو أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي ، يقول :-
- أصل طينه سيدنا رسول الله ﷺ من مكة ، وهى سرّة الأرض ولذلك سمي أميًا لأن مكة أم القرى وذرتة أم الخليقة.
- يقول ﷺ (ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع)
- الظهر هو التفسير والبطن هو التأويل.
- التفسير والتأويل والفرق بينهما:-
- التفسير هو علم نزول الآية وشأنها وقصتها والأسباب التي نزلت فيها.
- أما التأويل فهو صرف الآية إلى معنى تحمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافق الكتاب والسنة وقوانين اللغة العربية ، ومع ذلك فإن التأويل يختلف باختلاف المؤول من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى.
- طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة : العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم هو علم الفرائض الخمس ، وقالوا (علم الأمر والنهي).
- كن طالب الاستقامة لا طالب كرامة.
- الاستقامة هي كل الكرامة.
- قال تعالى "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (٢٨) فاطر بدأ بكلمة "إِنَّمَا" فينتفي العلم لمن لا يخشى الله.
- مكتوب في الإنجيل (لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم) ، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ قال لأنس بن مالك رضي الله عنه (يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل) ثم قال ﷺ (يا بني وذلك من سنتي ، ومن أحيا سنتي فقد أحياي ومن أحياي كان معي في الجنة) ، والصوفية هم الذين أحبوا السنة وهم أوفر الناس حظًا من متابعة الرسول ﷺ ومحبة الله تعالى ، والصوفية من بين الطوائف ظفروا بحسن المتابعة لقوله تعالى "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" (٧٧) الحشر وقوله تعالى "اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ" (١٣) الشورى فقوم من الصوفية خُصوا بالاجتناء الصِّرف ومنهم قوم خُصوا بالهداية بشرط الإنابة.
- أهل الاجتناء رُفعت الحُجُب عن قلوبهم فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال.
- والفرق الثاني في قوله تعالى "وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ" (١٣) الشورى هم الذين قال فيهم "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا" (٦٩) العنكبوت ، وهذه الهداية هداية خاصة لأنها هداية إليه غير الهداية العامة التي هي الهدى إلى أمره ونهيه ، وهؤلاء يدرجهم الله في مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر

وظلماً الهواجر، وقال الجنيد (ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المالكوفات والمستحسنات).

ماهية التصوف

- قال رويم (التصوف بني على ثلاث خصال ، التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار) وقال (التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد).
- وقال الجنيد (أن تكون مع الله بلا علاقة).
- وقالوا (هو الدخول في كل خلق سني والخروج عن كل خلق دني).
- قال سهل بن عبد الله (الصوفي من صفا من الكدر ، وامتلاً من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر).
- في زمن سيدنا رسول الله ﷺ كان أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ يُسمون الرجل (صحائياً) لشرف الصُحبة وبعدهم جاء من أخذ منهم العلم ويُسمى (تابعياً) ثم جاء بعدهم الصوفية.
- الملامتية: نوع من الصوفية تشربت عروقهم طعم الإخلاص وتحققوا بالصدق ، ولا يجب أن يطلع أحد على حاله أو أعماله.
- الذكر على أربعة أقسام : ذكر باللسان ، وذكر القلب ، وذكر السر ، وذكر الروح.

المشيخة

ورد في الخبر عن سيدنا رسول الله ﷺ قوله (والذي نفس محمد بيده لئن شئت لأقسمن لكم أن أحب عباد الله إلى الله ، الذين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله ويمشون على الأرض بالنصيحة) هم المشايخ الميرين.

- من سلك طريقاً يلتمس به علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة.

- أمر الصالحين السالكين ينقسم إلى أربعة أقسام :-

(١)- سالك مجرد.

(٢)- مجذوب مجرد.

(٣)- سالك يتدارك بالجذبة.

(٤)- مجذوب متدارك بالسلوك.

- ولا يؤهل للمشيخة إلا رقم (٣) وهو السالك الذي يتدارك بالجذبة ، ولكن المقام الأكمل في المشيخة القسم الرابع وهو المجذوب المتدارك بالسلوك.

- ولا يصلح المريد حتى يُظهر الانقياد لشيخه ظاهراً وباطناً وهو إحياء سنة تحكيم سيدنا رسول الله ﷺ كما قال تعالى "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" (٦٥) النساء.

- وهناك فرق بين من تلقى العهد تبركاً ومن تلقاه إرادة وعزماً.

أخلاق الصوفية

- الصوفية هم أوفر الناس حظًا في الاقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ وأحقهم بإحياء سنته والتخلق بأخلاق سيدنا رسول الله ﷺ وكما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن) أي متخلقًا بأخلاق الله تعالى.

- وقال ﷺ (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون المتفقهون).

- ذو الخلق العظيم لا يتخاصم ولا يتخاصم ، وكما قال الإمام الجنيد (اجتمع فيه أربعة أشياء ، السخاء والألفة والنصيحة والشفقة).

- مكارم الأخلاق عشرة (صدق الحديث ، وصدق التأسي ، وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وحفظ الأمانة ، وصلة الرحم ، والتذم للصاحب ، وإقراء الضيف ، ورأسهم الحياء).

- وكم نفس تُجيب إلى الأعمال ولا تجيب إلى الأخلاق.

- يقول أبا بكر الكتاني (التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك بالتصوف).

- وعن أبي الدرداء قال سمعت النبي ﷺ يقول (ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق).

- وقد كان من أخلاق سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه ويأتيه الليل لا يأوى إلى منزله ويبيت في المسجد حتى يبرأ منه.

- وقد أوصى سيدنا رسول الله ﷺ معاذًا بوصية جامعة لمحاسن الأخلاق فقال له (يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح، وإياك أن تسب حليمًا أو تكذب صادقًا أو تطمع آثمًا أو تعصى إمامًا عادلاً أو تفسد أرضًا ، أوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية).

في تفاصيل أخلاق الصوفية

- (1) التواضع : ومن رُزق هذا فقد استراح وأراح (وما يفعلها إلا العالمون).

- وقال ﷺ (إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت ، وترد السلام على من سلم عليك ، وأن ترضى بالدون من المجلس ، وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر).

- وقال الجنيد (هو خفض الجناح ولين الجانب).

- وقال يوسف بن أسباط (غاية التواضع أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدًا إلا رأيته خيرًا منك).

- وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه ؟ قال نعم ، أمّا النعمة فالتواضع وأمّا البلاء فالكبر.

- وحقيقة التواضع هو رعاية الاعتدال بين الكبر والضعفة وإذا ارتحل التواضع من القلب وسكن الكبر انتشر أثره على بعض الجوارح (فكل إناء ينضح بما فيه) كالتبعية والزهو والعزة وغير ذلك ، إلا أن العزة

تشبهه بالكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعفة ، والتواضع محمود والضعفة مذمومة ، والكبر مذموم والعزة محمودة.

- فالعزة معرفة للإنسان بحقيقة نفسه وإكرامها كما أن الكبر هو جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها.
(٢)- ومن أخلاق الصوفية المداورة واحتمال الأذى من الخلق فلا يذم طعاماً ولا ينهر خادماً ، واحتمال الأذى يظهر جوهر النفس ، وقال ﷺ {المؤمن الذي يُعاشِر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم}.

(٣)- ومن أخلاق الصوفية الإيثار والمواساة ، وهو يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود.
- قال أبو اليزيد البسطامي (ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجاً فقال لي يا أبا اليزيد ما حد الزهد عندكم ؟ قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا ، فقال هكذا عندنا كلاب بلخ ، فقلت ما حد الزهد عندكم ؟ قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا) ، والأنصار كما قال الحق "وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" (٩) الحشر.

- وحقيقة الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذو معرفة.
- وقال بعضهم (أن تؤثر بحظ آخرتك فإن الدنيا أقل خطراً من أن يكون فيها للإيثار محل).
(٤)- ومن أخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة.

- قال أبو سفيان (الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك) لأن الإحسان إلى المحسن متاجرة كنقد السوق ، وقال الحسن (الإحسان أن تعم ولا تخص كالشمس والريح والغيث) ، وقال ﷺ (من مكارم الأخلاق أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك).

(٥)- ومن أخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه كما قال ﷺ (كل معروف صدقة) وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك ، وقلب الصوفي فرح مسرور لقول الحق "قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا" (٥٨) يونس.

(٦)- ومن أخلاق الصوفية السهولة ولين الجانب ، وترك التعسف والتكلف ، وكان أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ يتمازحون وكان سيدنا رسول الله ﷺ يمازحهم ولا يقول إلا صدقاً ، وكان يقول ﷺ (أما إني أمزح ولا أقول إلا صدقاً).

- وقال سعيد بن العاصي لابنه (اقتصد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ويجري عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤمنين ويوحش المخالطين) ، وقالوا (إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب).

(٧)- ومن أخلاق الصوفية ترك التكلف لأن التكلف تصنع ورياء ، والتكلف قد يخرج العبد إلى صريح النفاق حتى التكلف في الدعاء مكروه وكذلك التكلف في المأكل والملبس والتكلف في الكلام ؟

(٨)- ومن أخلاق الصوفية الإففاق من غير إقتار وترك الادخار ، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (ما من يوم إلا له ملكان يُناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً) ، وقال ﷺ (أنفق بلائاً ولا تحش من ذي العرش إقللاً) ، ويقول ﷺ (لو توكلتُم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطائناً).

٩- ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا لأن القناعة تدعو للعز كما قالوا (الحر عبد ما طمع ، والعبد حر ما قنع) ، وقال ﷺ (ما قل وكفى خير مما كثر وألهى) وقال ﷺ (من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه فكأنما حيزت له الدنيا).

١٠- ومن أخلاق الصوفية ترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق واعتماد الرفق والحلم ، لأن الناس صنفان رجلان أحدهما مقبل على الله وهذا لا يجادله الصوفي والآخر مفتن بالدنيا وهذا ليس معه منافسة لأن الصوفي زهد فيما رغب فيه المفتن ، وفي الخبر (من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربح الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها) ، وروى الأصمعي عن أعرابي قال (إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ في متابعة الهوى).

١١- ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والمواقفة مع الإخوان وترك المخالفة كما قال الحق "أشداء على الكفار رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" (٢٩) الفصح لأنهم مُتَحَابُونَ في الله ، وقيل (لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة).

١٢- ومن أخلاق الصوفية شُكْرُ الْمُحْسِنِ على الإحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم ولكن يفعلون ذلك اقتداءً بسيدنا رسول الله ﷺ فلا يحجبه الخلق عن الحق (ومن قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الشناء).

١٣- ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للإخوان والمسلمين كافة كما كان نبي من الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس.

وقال سهل بن عبد الله : لا يستحق الإنسان الرياسة في الطريق حتى تجتمع فيه أربعة خصال :

(١) يصرف جملة عن الناس.

(٢) يحتمل جمل الناس.

(٣) يترك ما في أيديهم.

(٤) يبذل ما في يديه لهم.

في ذكر الأدب ومكانة التصوف

- يقول الحبيب المصطفى ﷺ (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

- والأدب هو تهذيب الظاهر والباطن وهي مكارم الأخلاق ولاتنال إلا بالممارسة والرياضة وصحبة الأفاضل ، لهذا احتاج المريدون إلى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعلم عوناً على اكتساب حسن الخلق..

- وقال الجنيد (من أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه) وقال سري (صليت وردي ليلة ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري هكذا تجالس الملوك !؟) وقال الجنيد (فبقي ستين سنة ما مد رجله ليلاً ولا نهراً).

- وقالوا فمن أساء الأدب على البساط رُد إلى الباب ، ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب، والإفراط في البسط يسد باب المزيد ، والاتبساط في حال الأُنس غرة ، والاتبساط بالقول مع الحق ترك الأدب (فنحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم).

من آداب الطهارة

- الاستنجاء هو إزالة الخُبث وطهارة المزيل للخبث ، واستعمال الماء بعد الحجر سنة (وَحَالِيَا يستبدل الحجر بورق الحمام).

- الاستنجاء باليد الشمال سنة.

- والاستبراء يسبق الاستنجاء.

- والاستنقاء يسبق الاستبراء.

إذن هي استنقاء يتبعه استبراء يتبعه استنجاء

- والحرص من الوسوسة ولا يجعل للشيطان سبيلاً.

- وينبغي أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها في الخلاء (ولا يكره استقبال القبلة في البنيان).

- عند الدخول (لقضاء الحاجة) يقول (بسم الله أعوذ بالله من الخُبث والخبائث) ويقدم رجله اليسرى.

- وعند الخروج يقول (غفرانك ، الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وأبقى عليّ ما ينفعني)..

- ولا يصطحب معه شيئاً عليه اسم الله ولا يدخل حاسر الرأس.

في آداب الوضوء وأسراره

- إذا أراد الوضوء يبتدئ بالسواك (وَحَالِيَا فرشاة الأسنان والمعجون).

- الأولى أن يكون مستقبلاً للقبلة إن أمكن ذلك لأن الوضوء في ذاته عبادة.

- الدعاء عند غسل كل عضو بما يناسبه ، فمثلاً عند الاستنثار يقول (اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد وعلى

آل سيدنا مُحَمَّد ، وأعوذ بك من روائح النار وسوء الدار).. وعند غسل الوجه يقول (اللهم صل على

سيدنا مُحَمَّد وعلى آل سيدنا مُحَمَّد اللهم بيض وجهي يوم تُبيض وجوه أوليائك وهكذا).

- فرائض الوجوه سبعة وسننه ثلاثة عشر.

- حضور القلب.

- الوضوء قبل الأذان ، وقال بعضهم (ما أقيمت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء).

- ترك الإسراف في الماء وكما قال ﷺ (للوضوء شيطان يُقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء).

- لا مانع من اتخاذ المناديل بعد الوضوء للتجفيف.

- استقصاء تطهير البواطن حتى يكون نصف الإيمان على الحقيقة.

في فضيلة الصلاة وكبر شأنها

- الصلاة صلة بين الرب والعبد ، والصلاة لغة هي الدعاء.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين

- فإذا قال العبد "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" قال الله عز وجل مجدني عبدي.

- وإذا قال "الحمد لله رب العالمين" قال الله تعالى حمدي عبدي.

- وإذا قال "الرحمن الرحيم" قال الله تعالى أثني على عبدي.

- وإذا قال "مالك يوم الدين" قال الله تعالى فوض لي عبدي.

- وإذا قال "إياك نعبد وإياك نستعين" قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي.

- وإذا قال "اهدنا الصراط المستقيم" صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل).

- يقول الحق "لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ" (٤٣) النساء يدخل فيها الغافل الذي يصلي بلا حضور ، وقيل من حب الدنيا ، وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ (إذا صليت فصل صلاة مودع).

- الفاتحة فيها تقديم الثناء على الدعاء.

- ومن الآداب ترك الدنيا.

- وقيل الصلاة أربع هيأت وستة أذكار ، فالهيئات الأربع هي (القيام والقعود والركوع والسجود) ، والأذكار هي (التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ).

- أن يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الإلهية بباطنه.

- لكل شيء صفة وصفة الصلاة التكبيرة الأولى.

- أقل مراتب الخصوص الجمع بين القلب واللسان في التلاوة.

- في الصلاة سر المعراج وهو معراج القلوب ، والتشهد مقر الوصول فليدعن ويتأدب في السلام على رب البريات ، ويسلم على النبي ﷺ ويمثله بين عينيه وهو يقول (السلام عليك) ثم يقول (أيها) ولا تقال إلا لمن حضر في المواجهة.

- رفع المسبحة في الشهادة في (لا الله) لا في كلمة النفي (لا).

في ذكر آداب الصلاة وأسرارها

- أحسن آداب المصلي أن لا يكون مشغولاً بشيء قل أو كثر ، قلباً وقالاً ، أي إذعان الظاهر والباطن ، أي فراغ القلب في الصلاة بما سوى الله.

- ومن فقه الرجل أن يقضي حاجته قبل الصلاة ، ولهذا ورد إذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ، ولا يصلي وهو حاقن أو حازق ، فلا ينبغي للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو في أتم الهيئات.

- وقيل إن الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من عن يمينه وشماله ، وقيل من الشيطان الوسوسة والتشاؤم والحكاك والالتفات والعبث والسهو والشك.

- الأدب في التلاوة أن يشاهد ويسمع كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى.

- وقال سيدنا رسول الله ﷺ (أقبح السرقة أن يسرق الرجل من صلاته ، قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته ؟ قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها) ، وقال ﷺ (لا يكتب للعبد صلاته إلا ما يعقل).

- قال الخواص (ينبغي للرجل أن ينوي نوافله لتقصان فرائضه).

- فتح العين في الصلاة أولى من تغميض العين.

- وقال حاتم الأصم عندما سئل أفتحسن أن تصلي ؟ قال نعم (أقوم بالأمر وأمشي بالخشوع وأدخل بالهيبة وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترتيل وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأقعد للشهادة بالتمام وأسلم على السنة وأسلمها إلى ربي).

في فضل الصوم وحسن أثره

- الصبر نصف الإيمان ، والصوم نصف الصبر.

- ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب برد المظالم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص.

- وفي الخبر (الصوم لي وأنا أجزي به).

- وقيل في قوله تعالى "إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (١٠) ^{الزمر} هم الصائمون.

- قال لقمان لأبنيه (إذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة).

اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار :

- منهم من يديم الصوم في السفر والحضر.

- ومنهم من كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

- ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوماً.

- ومنهم من كان يصوم يوم ويفطر يومين.

- ومنهم من كان يصوم الاثنين والخميس والجمعة.

- ومنهم من يصوم الأيام البيض وهي (١٣ ، ١٤ ، ١٥ من الشهر العربي).

في آداب الصوم ومحامه

- هو ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الآثام.

- وليس من الأدب أن يُمسك العبد عن المباح ويفطر بحرام.

- ومن الأدب أن يقلل الطعام عن الحد الذي يأكل وهو يفطر لأن مقصود الصوم هو قهر النفس ومنها أخذهم من الطعام قدر الضرورة.

- من السنة التسحر (السحور) وتعجيل الفطر ولو بتمرات قبل الصلاة.

- إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته.

- ومن مهام آداب الصوم كتمانها مما أمكن.

- ومن كان صائماً نقلاً ونزل ضيقاً على أحد أو ضيف أحداً فله أن يفطر ويقضي يوماً مكانه ، فعن أبي سعيد الخدري قال (اصطنعت لرسول الله ﷺ وأصحابه طعاماً فلما قُدم إليهم قال رجلاً من القوم إني صائم فقال رسول الله ﷺ افطر واقض يوماً مكانه).

وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه أكلوا وبلال صائم فقال سيدنا رسول الله ﷺ (نأكل رزقنا ورزق بلال في الجنة).

في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة

- أن يكون الطعام حلالاً وتسبقه النية الصحيحة كما قال الله تعالى لنبيه آمراً له "قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (١٦٢) الأنعام وأن يكون طعامه عوناً على الطاعة.

- رؤية المنعم على النعمة وأن يبتدئ بغسل اليد قبل الطعام (الأكل) ، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر).

- يُستحب أن يقول في أول لقمة (بسم الله) وفي الثانية (بسم الله الرحمن) وفي الثالثة (بسم الله الرحمن الرحيم) لقوله تعالى "وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ" (١٢١) الأنعام

- وكذلك يشرب الماء بثلاثة أنفاس يقول في أول نفس (الحمد لله) إذا شرب وفي الثانية (الحمد لله رب العالمين) وفي الثالثة (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم).

- ومن الذكر عند الأكل الفكر (التفكير) فيما هبه الله تعالى من الأسنان واللحاه والجهاز الهضمي بأكله والماء الحلو الذي يُعين على ذلك ويضاف الكبد وبقية الأعضاء.

- يُستحب الاجتماع على الطعام.

- ويصغر اللقمة ويجود الأكل بالمضغ الجيد.

- لا يبتدئ الطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ.

- لا يصمت على الطعام ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين فيه نهياً ، ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجميع.

- أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع.

- أن يلثم الخادم إذا لم يجلس مع القوم (وهو سُنّه) وإذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى.

- يغسل يديه قبل الأكل وبعده ، ويستحب مسح العين ببلل اليد ، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ {إذا توضأتم فأشربوا أعينكم الماء ولا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان} قيل لأي هريرة في الوضوء وغيره؟ قال نعم في الوضوء وغيره.

- ومن دعي إلى طعام فالإجابة من السنة ، ويتجنب الدخول على قوم في وقت أكلهم فقد ورد (من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً) إلا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته.

- إذا أكل عند قوم فليفضل وعند فرغه يقول (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة).

- أن لا يستحقر ما يقدم له من طعام.

- ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار.

في ذكر أدبهم في اللباس

اللباس من حاجات النفس وضروراتها لدفع الحر والبرد ، والصادق لا ينبغي له أن يلبس الثوب إلا لله (وهو ستر العورة) ، وطهارة الثوب شرط من شروط صحة الصلاة.

- قال ﷺ (لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من الكبر) فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ، فقال النبي ﷺ (إن الله جميل يحب الجمال) ، فتكون هذه الرخصة في حق من ملبسه لا يهوى نفسه غير مفتخر به أو مختال.

- وكان سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من ألين الناس لباساً من قبل أن يُسلم عليه بالخلافة فلما سلم عليه بالخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بأطمار له رثه فلبسها (ومنهم من حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق له الثوب الناعم فيلبسه فإذا قيل له في ذلك قال هل ترى ثوبنا يكرهه الشرع أو يجرمه؟ فيقول لا).

في فضل قيام الليل

- ينبغي أن يكن ثلث الليل والنهار نومًا حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات للنوم (ساعتين من ذلك بالنهار وست ساعات بالليل).

- أهل الليل في ليلهم أشد لذة من أهل الهوى في لهوهم.

- من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار.

- صلاة الليل الداعي فيها هو الحق وليس المؤذن بقوله (هل من مستغفر فأغفر له).

الأسباب المعينة على قيام الليل

- يستقبل الليل عند غروب الشمس بالوضوء.

- ترك الحديث بعد العشاء الآخرة.

- النوم عن الغلبة ، وإنك قيل (نوم المحبين كنوم الغرقى وأكلهم أكل المرضى).

- صدق العزيمة لقوله تعالى "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ" (١٦) السجدة ، وأرباب الهمم يصدق عليهم قول الحق تعالى "أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ عِندَ الْبَيْتِ الْبَيْتِ سَاجِدًا وَقَائِمًا" (٩) الزمر.

- أن يغير العادة فإن كان ذا وسادة يتركها.

- ومن ذلك خفة المعدة من الطعام ولا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار.

- الأحوط أن يوتر قبل النوم.

- أن ينام على طهارة الظاهر والباطن.

- أن يستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فإما على جنبه الأيمن كالمملوحود وإما على ظهره مستقبلاً القبلة كالميت المسجى ، ويقول (باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفر لها

وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) وبقية الدعاء ثم يقول (اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك).

في آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل

- لينظر ويعتبر عند انتباهه من النوم ما هم ؟ فإنه هكذا يكون عند القيام من القبر ويقول باللسان (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور).

- ثم يقرأ العشر الأواخر من سورة آل عمران من قوله تعالى "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" (190) إلى قوله تعالى "وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (٢٠٠) آل عمران.

- ثم يتوضأ أو يغتسل ويصلي ركعتين بنية الطهارة.
- ثم يصلي اثني عشرة ركعة أو ثمان ركعات أو يزيد على ذلك.

في تقسيم قيام الليل

- منهم من يقوم الليل كله ، أي يُصلُّون الغداة بوضوء العشاء.
- ومنهم من يقوم ثلثيه أو ثلثه.

- وأقل الاستحباب سدس الليل وأن يكون القيام بين نومتين وإلا فيغالب النفس من أول الليل ويتنفل فإذا غلبه النوم نام فإذا انتبه يتوضأ ، وفي الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (لَيُصَلِّ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا تيسر فإذا غلبه النوم فليتم) وقال ﷺ (لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن شاده يغلبه، ولا تبغضن إلى نفسك عبادة الله).

- ولا يليق بالطالب أن يطلع الفجر وهو نائم.
- وكمن نائم يسبق القائم لموفور علمه وحسن نيته.

في استقبال النهار والأدب فيه والعمل

- يستعد العبد لصلاة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر ويستقبل الفجر بتجديد الشهادة ثم يستغفر الله ويسبح الله تعالى ويصلي على سيدنا رسول الله ﷺ.

- يصلي الصبح ويبقى في مكان حتى تحل النافلة ويصلي ركعتين ، وروي عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال (لأن أقمع في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب).

- ثم يصلي ركعتين بنية الاستخارة لكل عمل يعمل في يومه وليلته.
- ثم يصلي ركعتين لخروجه من المنزل ليقية الله سوء المخرج ، ولا يدخل البيت إلا ويصلي ركعتين ليقية الله سوء المدخل بعد أن يسلم على من في المنزل.
- يصلي صلاة الضحى وأقله ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة.
- يقيّد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيّد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر.
- أن يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب أحدهما الآخر.

في آداب المريد مع الشيخ

هو اقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه لقوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا يَمَنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ" (١) الحجرات

- وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره ، وإن كان في مجلس الشيخ ينبغي له أن يلزم السكوت ولا يقول شيئاً بحضرة من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة في ذلك.
- يحب للشيخ كل منزلة عالية ، وينبغي للمريد أن لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ.
- وقال أحدهم لمريده (يا بني اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً) ، ومن لزم الأدب يبلغ مبلغ الرجال.
- وقيل من قال لأستاذ (لا) لا يفلح أبداً.
- ومن الأدب أن لا يكتم عن الشيخ شيئاً من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة وإجابة.
- ومتى كان عند المريد تطلع إلى شيخ آخر لا تصفو صحبته.
- ومن الأدب مع الشيخ أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل على مكالمته والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه.
- وقال ﷺ (ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعلمنا حقه).

في آداب الشيخ

- أن يكلمهم كلام الوالد لولده الناصح المشفق بما ينفعه في دينه ودنياه ، ولا يتكلم مع المريد بالكلمة إلا وقلبه ناظر إلى الله مستعين به في الهداية للصواب من القول.
- وعلى الشيخ أن لا يكلم أحد من المريدين إلا في أصفى أوقاته.
- من المريدين من يصلح للتعبد المحض وأعمال القوالب ، ومن المريدين من يكون مستعداً صالحاً للقرب وسلوك طريق المقرين المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية (أي على الشيخ أن يعرف كل شخص وما يصلح له).
- وكان سيدنا رسول الله ﷺ يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح له فمنهم من كان يأمره بالإتفاق ومنهم من كان يأمرهم بالإمساك ومنهم من أمره بالكسب ومنهم من أعانه على ترك الكسب كأصحاب الصفة ، وأما في رتبة الدعوة فقد كان يعمم الدعوة على الجميع.
- ومن آداب الشيخ أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص.
- ومن آداب الشيخ إذا رأى المقبل على الله فليألفه بالرفق ولا يألفه بالعلم فإن الرفق يؤنس والعلم يوحشه.
- ومن آداب الشيخ التعطف على الأصحاب وقضاء حوائجهم.
- ومن آداب الشيخ إذا رأى من المريد ضعفاً في مراغمة النفس أن يرفق به ويوقفه على حد الرخصة.
- ومن آداب الشيخ إذا رأى من بعض المريدين مكروهاً لا يصرح له بذلك ولكن يكشف وجه المذمة مجملًا.

- ومن جملة مهام الآداب حفظ أسرار المريدين فيما يكشفون به ويمنحون من أنواع المنح (فيسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه) ويعرفه أن الوقوف مع شيء من هذا يُشغل عن الله ويسد باب المزيد ويعرفه أن شأن المريد طلب المنعم لا النعمة.

في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر

المقتضي للصحبة وجود الجنسية ، يميل أهل كل ملة بعضهم إلى بعض ويميل أهل المعصية بعضهم إلى بعض ، فليفتقد الإنسان نفسه عند الميل إلى الصحبة وينظر ما الذي يميل إلى صحبته ويزن أحوال من يميل إليه بميزان الشرع.

- وقد ورد في الخبر أن أحكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون ، والأحرى تألف قلوب الصالحين ، وقد وجدهم سيدنا رسول الله ﷺ في لقاءه مع ربه حين قال (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فهم مجتمعون وإن كانوا متفرقين وصحبتهم لازمة ، والأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله.

- وقد يفقد المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما يفقد بأهل الفساد ، ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقتهم فأخذ حذره أمّا أهل الصلاح فتمر بهم فترة خمول (فالخطر من تقليدهم في هذه الحالات).

- وفي مقابلة الصحبة هو العزلة. والعزلة نوعان فريضة وفضيلة، فالفريضة عن الشر وأهله ، والفضيلة عزلة الفضول وأهله ، وسيدنا رسول الله ﷺ كان يخلو في غار حراء يتحنث الليالي ذوات العدد.

في أداء حقوق الصحبة والإخوة في الله تعالى

- قوله تعالى "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" (٢) المائدة

- وقوله تعالى "وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (٣) النحر

- وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (وهل يفسد الناس إلا الناس).

- وقال سيدنا رسول الله ﷺ (لا تُهَارِ أَخَاكَ وَلَا تُهَازِرْهُ وَلَا تُعَدِّهِ مَوْعِدًا فَتُخْلَفُهُ).

- ومن حقوق الصحبة أنه إذا وقع فرقة ومباينة لا يذكر أخاه إلا بخير ولا يبغيض الأخ بعد الصحبة ولكن يبغيض عمله وكما قال تعالى لنبيه ﷺ "فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ" (٢١٦) الشعراء ولم يقل (إني بريء منكم).

- وفي الخبر (اتقوا زلة العالم ولا تقطعوا وانتظروا فينته).

- ومن شرط الحب في الله إثارة الأخ بكل ما يقدر عليه من أمر الدنيا والدين.

- فمن أدبهم التغافل عن زلل الإخوان.

- وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (رحم الله امرئ أهدى إلى عيوي).

- ومن آداب الصوفية القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم.

- ومن آدابهم أن لا يرون لأنفسهم مملكا يختصون به.

- ومن آدابهم إذا استثقلوا صاحباً يهتمون أنفسهم ويتسببون في إزالة ذلك من بواطنهم.

- ومن آدابهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والإيثار بالموضع.
- ومن آدابهم ترك صحبة مَنْ همه شيء من فضول الدنيا.
- ومن آدابهم بذل الإنصاف للإخوان وترك مطالبة الإنصاف.
- ومن آدابهم التعطف على الأصاغر.
- ومن آدابهم رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط.
- ومن آدابهم ستر عورات الإخوان.
- ومن آدابهم الاستغفار للإخوان بظهر الغيب.
- ومن آدابهم كما قال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة أو الجأك إلى الاعتذار أو تكلفت له).

في معرفة الإنسان لنفسه

- الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (لأن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار).
- الروح شيء استأثر الله بعلمه وخلقها الله قبل الأجساد لقوله تعالى "وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ" (١١) الأعراف يعني الأرواح "ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ" (١١) الأعراف يعني الأجساد.
 - وقيل النفس لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات المذمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات الحمودة ، وصفات النفس لها أصول من أصل تكونها لأنها مخلوقة من تراب.

- والسر بعد الروح وأعلى منها وألطف وهو محل المشاهدة ، والروح محل المحبة ، والقلب محل المعرفة.
- العقل هو لسان الروح وهو أول ما خلق الله.
- وروي عن وهب بن منبه أنه قال (لاني أجد في سبعين كتاباً أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل سيدنا رسول الله ﷺ كهية رمله وقعت من بين جميع رمال الدنيا).

في معرفة الخواطر وتفضيلها وتمييزها

- قال سيدنا رسول الله ﷺ (لأن للشيطان له بابن آدم وللملك له ، فأما لمة الشيطان فيإعاذ بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فيإعاذ بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ" (٢٦٨) البقرة).

- الخواطر من الملك أو من الشيطان ، ومن الخواطر ما هي إلا رسل الله تعالى إلى العبد ، والخواطر أربعة :-

(١) خاطر من القلب.

(٢) خاطر من الحق.

(٣) خاطر من الشيطان.

(٤) خاطر من الملك.

- والنبوه محفوظة من إلقاء الشيطان.

- الخواطر بمثابة البذر منها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة.

- وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا (إن النفس تطالب وتُلح فلا تزال كذلك حتى

تصل إلى مرادها ، والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يُجب يوسوس بأخرى إذ لا غرض له في تخصيص بل

مراده الإغواء.

في شرح الحال والمقام والفرق بينهما

الحال سمي حالاً لتحوله ، والمقام سمي مقاماً لثبوته واستقراره ، وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير

مقاماً ، ومنها مقام المشاهدة وهو فروع كثيرة وترقى من حال إلى حال أعلى منه كالترقي من عين اليقين

إلى حق اليقين.

في الإشارات إلى المقامات

- التوبة أصل كل مقام وهي أول المقامات.

- المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق في كل لحظة ولفظة ، ولا تستقم التوبة والمراقبة إلا بصدق المجاهدة

، ولا يصدق العبد في المجاهدة إلا بوجود الصبر.

- وأفضل الصبر هو الصبر على الله بعكوف الهم عليه.

- والصبر نوعان : فرض وفضل.

- الصبر الفرض كالصبر على أداء المفترضات والصبر على المحرمات.

- والصبر الفضل كالصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الأولى وكتمان المصائب والأوجاع وترك الشكوى

والصبر على كتم المنح والكرامات ورؤية العبر والآيات.

- والصبر على النعمة هو أن لا يصرفها في معصية الله.

- والصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ، وروي عن بعض الصحابة (بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا

بالسراء فلم نصبر) ، وفي الخبر عن سيدنا رسول الله ﷺ (من خير ما أعطى الرجل الرضا بما قسم الله

تعالى له) وهو نتاج الصبر.

- ولا يكون التائب تائباً إلا وهو راج خائف ، فالخوف والرجاء مقامان شريفان من مقامات أهل اليقين ،

فإذا صحّت التوبة وتركت النفس انجلت مرآة القلب وبان قُبْح الدنيا فيحصل الزهد ، والزاهد يتحقق فيه

التوكل.

- فالزهد أفضل من الفقر لأن الفقر عادم الشيء اضطراباً والزاهد تارك الشيء اختياراً.

- فإذا تحقق العبد بالتوبة والزهد وداوم العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتي ويصل إلى مقام ترك التدبير والاختيار ثم يصل إلى أن يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله تعالى لزوال هواه.

إشارات المشايخ في المقامات

التوبة:

تعني أن يتوب من توبته وأن يستغفر من استغفاره كما قالت رابعة العدوية (استغفر الله العظيم من قلة صدقي في قولي استغفر الله).

- وقال ذو النون (توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة ، وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ما نال غيرهم).

- وقال أبو الحسن الثوري (التوبة أن تتوب عن كل شيء سوى الله تعالى).

الورع :

- سئل الشبلي عن الورع فقال (أن تتورع أن يتشتت قلبك عن الله طرفة عين).

- وقال (الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا).

- وقالوا (الورع أن لا يتكلم العبد إلا بالحق وأن يكون اهتمامه بما يرضي الله تعالى).

- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ توضأ على نهر فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله في النهر وقال (يبلغه الله عزَّ وَجَلَّ قومًا ينفعهم الزهد).

- قال الجنيد (الزهد خلو الأيدي من الأملاك والقلوب من التبع).

- وقال سري (الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا) ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحب المحمدة والثناء.

الصبر:-

-الصبر هو انتظار الفرج من الله.

- وقال بعضهم (الصبر أن تصبر على الصبر).

- قيل وقف رجل على الشبلي فقال أي صبراً أشد على الصابرين ؟

فقال الصبر في الله ، فقال لا.

فقال الصبر لله ، فقال لا.

فقال الصبر مع الله ، فقال لا.

فغضب الشبلي وقال ويحك أي شيء هو ؟ فقال الرجل الصبر عن الله.

الفقر:-

إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله تعالى.

الشكر:-

هو الغيبة عن النعمة برؤية المنعم.

- وفي الحديث (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله).

الخوف:-

قال سيدنا رسول الله ﷺ (رأس الحكمة مخافة الله) ، وقيل (الخائف الذي لا يخاف إلا الله).

الرجاء :

هو ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو.

والخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوي الطائر.

والخوف والرجاء للإيمان كالجناحين ، ولا يكون خائفًا إلا وهو راج ، ولا راجيًا إلا وهو خائف.

التوكل:-

التوكل هو الانخلاع من الحول والقوة وترك تدبير النفس.

والتوكل على قدر العلم بالوكيل ، فكل ما كان الوكيل أتم معرفة كان المتوكل أتم توكلًا ، ومن كمل توكله

غاب في رؤية الوكيل عن رؤية توكله.

الرضا:-

الرضا هو سكون القلب تحت جريان الحكم.

قال ذو النون (الرضا سرور القلب عند القضاء).

وقالوا (الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد).

وقال الفضيل (الراضي لا يمتنى فوق منزلته شيئًا).

ذكر الأحوال وشرحها

المحبة :

- للمحبة وجوه ، وبواعث المحبة في الإنسان متنوعة منها محبة الروح ، محبة القلب ، محبة النفس ، محبة العقل.

- والحب حبان : حب عام وحب خاص (أو حب وجداني وحب عقلي).

- والحب يُذل لمحبة ومحبوب محبوب ، ومن صحت محبته تتحقق سائر الأحوال من الفناء والبقاء والصحو والمحو وغير ذلك.

- وقالت رابعة (محب الله لا يسكن أئنه وحنينه حتى يسكن مع محبوبة).

- وقال بعضهم (من ادّعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ، ومن ادّعى محبة الجنة من غير إفتاق مُلكه فهو كذاب).

- وسئل الجنيد عن المحبة فقال (لا تصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب).

- وقيل (للمحبة ظاهر وباطن ، ظاهرها إتباع رضا المحبوب ، وباطنها أن يكون مفتونًا بالحبيب عن كل شيء ولا يبقى فيه بقية لغيره أو لنفسه).

الشوق

الشوق ثمة المحبة ، فمن أحب الله اشتاق إلى لقائه.

- وأنكر بعضهم مقام الشوق وقال (إنما يكون الشوق لغائب ، ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق). وقالوا (إنما الشوق لغائب).
- وسئل ابن عطاء الله عن الشوق فقال (هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد بعد القرب).

الأنس

هو التناذ الروح بكمال الجمال.

- الأنس هو ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة ، وهو انبساط المحب إلى المحبوب.
- وقيل معناه قول الخليل إبراهيم عليه السلام "رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى" (البقرة ٢٦٠) وقول سيدنا موسى علي نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم "رَبِّ ارْنِي أَنُظِّرَ إِلَيْكَ" (الأعراف ١٤٣).
- وقال الواسطي (لا يصل إلى محل الأنس من لم يستوحش من الأكوان كلها).
- ولا يكون الأنس بالله إلا ومعه التعظيم.
- ومن يكون في الأنس يأنس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات.
- ومن الأنس خضوع النفس المطمئنة.

القرب

- لقوله تعالى "وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ" (الحق ١٩) ، وأقرب ما يكون العبد من ربه في السجود.
- بأداء الفرائض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة.
- وفي القرب قال بعضهم (لني أقول يا الله أو يا رب فأجد ذلك على أثقل من الجبال ، قيل ولم ؟ قال لأن النداء يكون من وراء حجاب ، وهل رأيت جليسا ينادي جليسه).
- وقال الجنيد (إن الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب عباده منه).
- وقال ذو النون (ما ازداد أحد من الله قربة إلا ازداد هيبة).
- وقال سهل (أدني مقام من مقامات القرب الحياء).

الحياء

- الحياء على الوصف العام والوصف الخاص.
- الحياء العام : يقصه حديث سيدنا رسول الله ﷺ في قوله (استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا إنا نستحي يا رسول الله ، قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوي ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء).
- وأما الحياء الخاص فمن الأحوال ما هو نُقل عن سيدنا عثمان رضي الله عنه أنه قال (لني لأغتسل في البيت المظلم فأطوي حياء من الله).
- والحياء هو إطراق الروح إجلالاً لعظيم الجلال.

- وقال أبو سليمان (إن العباد عملوا على أربع درجات ، على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء ، وأشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما أيقن أن الله تعالى يراه على كل حال استحيًا من حسناته أكثر مما استحيًا العاصون من سيئاتهم).

الاتصال

هو مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار ، وهو صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان وهم يتفاوتون.

- وقال يحيى بن معاذ الرازي (العمال أربعة ، تائب وزاهد ومشتاق وواصل ، فالتائب محبوب بتوبته ، والزاهد محبوب بزهده ، والمشتاق محبوب بحاله ، والواصل لا يحجبه عن الحق شيء).

- وقال ذو النون (ما رجع من رجع إلا من الطريق ، وما وصل إليه أحد فرجع عنه).

- وقال بعضهم (الاتصال أن لا يشهد العبد غير خالقه ، ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه ، وهم في ثلاثة أحرف (جمع حرفة) همهم الله وشغلهم في الله ورجوعهم إلى الله).

القبض والبسط

يقول الحق "وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ" (٢٤٥) البقرة.

- القبض والبسط يكون في أوائل حال المحبة الخاصة لا في نهايتها.

- وقيل (حال المحبة الخاصة لا يكون قبض ولا بسط وإنما يكون خوفًا ورجاءً) ، وإنما هم يعتريه فيظنه قبضًا واهتزاز نفسيًا ونشاط طبيعي يظنه بسطًا وإنما هي أحوال الأمارة بالسوء.

- ولا يكون القبض والبسط إلا مع بداية النفس اللوامة وإذا ارتقى إلى الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط وهو حال النفس مطمئنة.

- يرد وارد الحق على القلب فيمتلئ القلب والروح منه فرحًا واستبشارًا ويُسمى البسط ، وإذا ازداد البسط طغت النفس فتقابل بالقبض.

الفناء والبقاء

- الفناء هو أن يفنى العبد عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ بل يفنى عن الأشياء كلها شغلًا لمن فني فيه ، والبقاء يعقبه وهو أن يفنى عما له ويبقى بما لله تعالى وعلامة ذلك ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى.

- وبعضهم قال (هو فناء المخالفات وبقاء الموافقات) وهذا يقتضيه التوبة النصوح.

- وبعضهم قال (هو زوال الرغبة والحرص والأمل) وهذا يقتضيه الزهد.

- وبعضهم قال (هو فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف الحمودة) وهذا يقتضيه تركية النفس.

- وأصل الفناء هو استغراق الباطن في الله فلا يدرك ما سواه فهو محبوب بالحق عن الخلق ، فهو باقي بالله.

في شرح كلمات مشيرة على بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية

- أول الفهم لكلام الله العمل به ، وأول الفهم لإلقاء السمع والمشاركة لقوله تعالى "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" (٣٧).
- إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله ، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله.
- للعارفين علوم من باب قوله تعالى "عَائِيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا" (٦٥) الكهف

الجمع والتفرقة

- أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" (١٨) آل عمران فهذا جمع ، ثم فرق فقال "وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ" (١٨) آل عمران.
- والجمع لا يشاهد صاحبه إلا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع.
- والمقصود أشاروا بالجمع إلى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة إلى الاكتساب ، ولا بد منها جميعًا.
- الجمع هو العلم بالله والتفرقة هي العلم بأمر الله.
- والجمع حكم الروح والتفرقة حكم القلب ، فلا بد من الجمع والتفرقة فالجمع فقط زندقة.

التجلي والاستتار

- التجلي هو رفع حجب البشرية لا أن يتلون ذات الحق ، والاستتار هو أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب.
- وقال الجنيد (إنما هو تأديب وتهذيب وتذويب).
- فالاستتار للتأديب (وهو للعوام).
- والتجلي للتهذيب (وهو للخواص).
- والمشاركة للتذويب (وهي للأولياء).

التجريد والتفريد

- التجريد أي يتجرد العبد عن الأغراض فيما يفعله (أغراض الدنيا والآخرة).
- والتفريد أن لا يرى نفسه فيما يأتي بل يرى منة الله عليه.

الوجد والتواجد والوجود

- الوجد هو ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحًا أو حزنًا.
- التواجد هو استجلاب الوجد بالذكر والفكر.
- الوجود هو ثبات واستمرار الوجد.

الغلبة : هي وجد متلاحق.

المسامرة : وهي تفرد الأرواح بخفي المناجاة.

السُّكْر والصحو

السُّكْر هو استيلاء سلطان الحال.

الصحو هو العودة إلى ترتيب الأفعال والأقوال.

المحو والإثبات

المحو هو إزالة أوصاف النفوس (أي يحو أوصافهم ويثبت أسرارهم).

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

- علم اليقين : ما كان من طريق النظر والاستدلال.
- عين اليقين : ما كان من طريق الكشف والنوال.
- حق اليقين : الانفصال عن لوث الصلصال وهو حقيقة ما أشار إليه علم اليقين وعين اليقين.
- وقال بعضهم (علم اليقين حال التفرقة ، وعين اليقين حال الجمع ، وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد).
- وقالوا (علم اليقين للأولياء ، وعين اليقين لخواص الأولياء ، وحق اليقين للأنبياء)

الوقت

والمراد به ما هو غالب على العبد.

الغيبة والشهود

الشهود وهو في دائرة الحضور مراقبًا أو شاهدًا فإذا خرج من دائرة الحضور فهو غائب.

الذوق والشرب والري

الذوق إيمان والشرب علم والري حال.

التلوين والتمكين

التلوين لأرباب القلوب وأرباب التمكين عند ثبوت القدم ، وهذا لا يعني أن لا يكون للعبد تغير فإنه بشر.

في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها

- النية أول العمل وبحسبها يكون العمل.
- الدخول في طريق التصوف هو هجرة إلى الله ورسوله ﷺ لقوله تعالى "وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ" (١٠٠) النساء ، فمن أدركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره على الله.
- كل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم فعلى المرید أن يحكم النية في البداية.
- وقال بعض الصالحين (أخلص النية يكفيك قليل من العمل).
- ومن لم يهتد إلى النية بنفسه يصحب من يعلمه حسن النية ، ولا يحقق صدقة وإخلاصه إلا متابعة الشرع وقطع النظر عن الخلق ، وينبغي أن يكون له في كل شيء نية لله تعالى ، فعلى المرید أن يتفقد جميع أحواله وأعماله وأقواله ولا يسامح نفسه أن تتحرك بركة أو تتكلم بكلمه إلا لله تعالى

- النية عمل القلب ، ولا ينبغي للمبتدئ أن يعرف أحدًا من أرباب الدنيا وأن يهجر الأصدقاء والمعارف ويتمسك بالوحدة ويلزم الصمت وأن لا يطرق سمعه كلام الناس ويحترز من مجالسة المتصوفة فإنه يدخل عليه منهم أشر ما يدخل عليه بمجالسة أبناء الدنيا.
 - وعلى العبد أن يتمسك بكل فريضة وفضيلة وأن يراعي يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصًا.
 - ولا بد للمبتدئ أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه وتدبر آياته.
- أرباب النهايات

- هم الذين ماتت أهوائهم وخلصت أرواحهم.
- وقالوا علامة العارف ثلاث
- (١) لا يطنئ نور معرفته نور ورعه.
- (٢) لا يعتقد باطنًا وينقضه ظاهرًا.
- (٣) لا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك محارم الله ، فهؤلاء كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية.
- واعلم أن المنتهي مع كمال حاله لا يستغني عن سياسة النفس والاستقامة وأخذ الحظ من زيادة الصوم والقيام وأنواع البر لأنه ملك ناصية الاختيار في الأخذ والترك ، وعليه أن يدعو الخلق للحق.
- وسئل جنيد عن النهاية فقال (هي الرجوع إلى البداية).

تم بحمد الله وتوفيقه

ا.د. / محمد إبراهيم طه

أستاذ جراحة السالك البولية جامعة أسيوط

2016

الفهرس

	مقدمة
1	المختصر الأمين لكتاب إحياء علوم الدين
1	ربع العبادات
28	ربع العادات
35	ربع المهلكات
72	ربع المنجيات
120	مقتطفات من كتاب عوارف المعارف

